الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الحاج لخضر-باتنة-

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية وآدابها

البديعيات مضمونها ونظامها البلاغي

-بديعية ابن الخلوف نموذجا-

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب المغربي القديم

إعداد الطالبة:
نورة بن سعد الله

إشراف الدكتور:
العربي دحو

لجنة المناقشة

د.السعيد لراوي	أستاذ محاضر	جامعة باتنة	رئيسا
د.العربي دحو	أستاذ محاضر	جامعة باتنة	مشرفا ومقررا
د.السعيد جاب الله	أستاذ محاضر	جامعة باتنة	عضوا مناقشا
د.أحمد جاب الله	أستاذ محاضر	جامعة باتنة	عضوا مناقشا
د.بشير تاوريريت	أستاذ محاضر	جامعة بسكرة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1426-1427هـ/2007/2008 م

إن الشعر و الأدب بصفة عامة مثله مثل بقية الظواهر المرتبطة بالاجتماع الإنساني لا يعرف الثبات على حال قارة لا يعروها التغيير و التبديل، كما لا يعرف الاستمرار على منوال واحد على اختلاف الأطوار التي تمر بها الأمة، فصورتـــه معجما و موضوعا و مضمونا و أسلوبا تتلون بتلـــون حيـــاة الأمـــة في مسار نموهـــا و تطورها، و بانتقالها من حال إلى حال و من طور إلى طور، بصرف النظر عن سطحية أو عمق هذا التغيير الذي نجد تفسيره في مدى تفاعل الإنسان – منتج الأدب – مع حركية الحياة و تبدلاتها.

إذا كان الأمر كذلك فإن ما شهدته الديار المغربية من أحداث و تطورات و تغيرات كفيل أن يترك بصماته في الشعر العربي في هذه البيئة، و هذا أدعى بالاهتمام لما نلمسه من عزوف عن دراسة الأدب المغربي و تتبع تطوراته و تغيراته خاصة إذا ما تعلق الأمر بالمستجد، أو ما فيه خروج عن المألوف في الشعر المغربي القديم الذي يحتاج إلى مزيد من العناية و الاهتمام فهو تراثنا و امتدادنا منذ القديم، فلا يمكن التنصل منه و اتهامه بالقصور الذي يجعلنا متقاعسين عن سبر أغواره، خاصة إذا ما تحدثنا عن الشعر المغربي ذي الوهج البراق و عن إحدى الحلقات التي كادت أن تكون مفقودة ، تضاف إلى رصيد المغرب الشعري، و لما كان التطور من سنن الحياة و مواكبة ركب هذا التطور في غير انفصال عن الموروث القديم، تعد من الواجبات المنوطة بالباحثين لكشف النقاب عن الإسهامات القديمة و مدى أهميتها و عمق تأثيرها فيما تلاه من أعمال، فلقد حرصنا على أن نختار البديعيات باعتبارها تميزا وتفردا في ميدان الشعر، إذ تعد تجديدا وخروجا عن القصيدة لكن في بنية مضامينها ونظامها البلاغي فقط وليس في نظامها الإيقاعي الموسيقي، وعلى هذا الأساس فهي تقف مقابلا للموشحات التي كانت خروجا في الشكل، إنها تضفي إشراقا وروعة على الشعر المغربي فقد تراءى للكثيرين أنه ظل ولمدة طويلة جدا نسخة مكررة للشعر العربي في المشرق لا يكاد ينفعل بما حوله من حياة.

تحميل كتب http://abbassa.wordpress.com

فكانت بدبعية "ابن الخلوف"، " مواهب البديع في علم البديع "، نموذجا يجسد ذلك التميز والتفرد فقد كان موسوعي الثقافة، إسلامي المعرفة، ذا باع طويل في النحو والنثر معا، والأهم من كل ذلك فهو قسنطيني المولد فاسي الأصل، تونسي الدار، من ثمّ فهو يصحح النظرة الخاطئة و المتعلقة بقصور الأدب المغربي و اعتباره صورة مكررة لنظيره المشرقي، فهو بذلك يجسد خصائص الشعر العربي، و المغربي بالذات و بالتالي صدارته.

و هناك سبب جوهري هام و هو عزوف الباحثين عن دراسة هذا الموضوع، على امتداد واتساع رقعة المغرب العربي فلم يتناول هذا الموضوع إلا قلة قليلة في شكل إشارات، رغم أهميته واعتباره جزءا لا يتجزأ من التراث.

و ما حفزني أكثر على خوض غمار البحث هو جدته، حيث إن إخراج مثل هذه البديعية إلى النور و دراستها و كذا الإشارة إلى بعض البديعيات، يعد مساهمة في التعريف بموروث عربي عريق يتسم بالموسوعية من خلال المضمون و النظام البلاغي لبديعية تعتبر واسطة عقد بينها - بديعية ابن الخلوف — كما لا يجب أن نغفل السياق الزمني الذي ظهرت فيه ، فهي ترجمة لحقبة زمنية هامة اختلف النقاد في شأنها، إنها العصر المملوكي بأحداثه و تداعياته ، فعسى أن أنال فضل تأصيله من خلال تناول هذا الموضوع أو إثارته على الأقل ، و لعل ذلك يفتح المجال لدراسته و استكناه الدرر منه، فالبديعيات تعد موروثا ضخما يضاف إلى الأدب العربي و ذلك لأثرها العميق فيه.

و صدقا مني كي لا أغلط الآخرين فإنه من الواجب التذكير بالجهد الذي قام به "علي أبو زيد" في التعريف بهذا الموضوع، و كذا تحقيق " حورية رواق " للبديعية ، ما مكنني من دراستها و إضافة لبنة أخرى بإضفاء إشراق عليها من خلال إيجاد خصوصية هاته البديعية ، و لطبيعة الموضوع و تشابكه و اعتباره تراثيا، ارتأيت أن أعتمد في دراستي المنهج التاريخي و الفني ، و لصلته بالبلاغة كان هناك مزج من

خلال الدراسة الفنية الحديثة بتتبع بعض مواطن و مستويات الأسلوب، فكانت دراسة تاريخية موضوعاتية فنية جمالية.

و في دراستي لهذا الموضوع اعتمدت على خطة اشتملت على مدخل و ثلاثة فصول.

ففي المدخل حاولت أن أحدد تعريفا لهذا الفن الشائق من خلال بعض التعريفات في المعاجم اللغوية وكذا التعريفات الاصطلاحية للقدامى و المحدثين محاولة بذلك الوصول إلى تعريف محدد لعله يجذب الباحثين لدراسة الموضوع.

أما في الفصل الأول فقد حاولت جاهدة إيجاد الجذور الأولى لنشأة هذا الفن و العوامل التي ساهمت في إرساء دعائمه وتطوره، موضحة تلك العلاقة الوطيدة بين البديعيات و فنون معينة كالتصوف و البردة و المولديات و المدائح، مدلة على مضمونها ذي الشجون، و زمن ظهورها معرجة على ذلك الاختلاف الذي حصل بشأن الرائد في هذا الفن، ذاكرة أهم أعلام البديعيات.

أما في الفصل الثاني فقد اختصت الدراسة بمضمون البديعيات، التي أشرت إليها من خلال النسيب فيها، وكذا المضامين التي وردت في بديعية ابن الخلوف تبعا للموضوعات الثلاث لها.

أما في الفصل الثالث فقد درست النظام البلاغي للبديعية من خلال تتبع الأشكال البلاغية الواردة فيها، وكيفية توظيف الشاعر لها و أي الأشكال استوعبت هذه الرؤية الفنية الفريدة، كما تطرقت إلى الجانب الفني و الجمالي فيها بشكل مقتضب .

و أنهيت دراستي بخاتمة، حوصلت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

و في الأخير أؤكد أن هذا العمل الأدبي محاولة لفهم التراث و لدراسة موضوع شائك وصعب يحتاج إلى الكثير من البحث لتميزه،وهذا أمر منطقي لطبيعة الموضوع في حد ذاته ولتشعبه ومع ذلك تم

العمل بعون الله أولا، ثم بفضل توجيهات الأستاذ المشرف الدكتور " **العربي دحو** " الذي ذلل لي الكثير من الصعوبات التي واجهتها في البحث، فله جزيل الشكر وعظيم الامتنان فأسأل الله القبول لمثل هذا العمل الذي ينفض الغبار المتراكم على تراثنا العريق.

والحمد لله رب العالمين

المدخـــــل

البديعيات :لغويا و اصطلاحيا

1- المفهوم اللغــــــوي للبديعيـــــــات
2- المفهوم الاصطلاحي للبديعيات

إن كيان كل أمة و قلبها النابض يتجسد بحق في تعبيراتها، و إرهاصات أبنائها، في بوحهم اللاشعوري بما يعتمل في ذاكرتهم، و الذي يعد أصدق تعبير عن بيئتهم فيغدو ذلك الكلام المرسل على سجية الإنسان العربي ترجمة لاتساع الآفاق لديهم و تعدد الرؤى ، فلا غرو في أن هذا التميز و التفرد في طريقة التعبير يؤول إلى مرجعيات و عوامل متنوعة " فقد نجمت في شبه الجزيرة أحداث عظام موزعة بين السياسة و الاجتماع أخصبت الأخيلة عند العرب، و غذت المشاعر و نمت العقول، و صقلت الأفكار"[1] .

هناك بين تلك الفيافي و الوديان التي تغزو الأعماق، فتهيج روح المغامرة في ظل المجهول، تضطرم المساحات و تتوالى الأحداث، و تتوارد المنابع الصافية، فتبدو الأرض بانبساطها و كأنها تضحك بين أثافيها دونما امتعاض، و تمدك من سحرها الأخاذ فترتوي نفسك بأصدق المشاعر و تبوح بكل مكنونات ذاتك و تنصهر في بوتقة حيث يغدو الأنا هو الآخر ،و يسير هذا التوحد إلى أن يصل إلى الذروة حيث يتدفق شلالا من الكلمات ينم كل حرف منها عن دفقة شعورية تحمل موروثا جماعيا ملتحما، لهذا تغدو اللغة الوسيلة الأنجع في تحطيم كل التصورات إذ يقول إزاءها "فريدريك نيتشه" : " الآن فقط أي بعد فوات الأوان بدأ الناس يدركون الخطأ الفادح الذي ارتكبوه بإيمانهم باللغة"[2].

إنها اللغة التي أدركها الإنسان في العصر الجاهلي باتساع دلالاتها ، فكانت ديوان شعر و ميثاق أمة بأسرها ، من ثم أمكنه تصوير حياته في شتى الصور التي نقـــف أمامها مشدوهين لما تتميز به من حسن و حس فني، يوشحه صدق زمردي ، إنه سحر الكلمة الذي ينبعث كأشعة الشمس فيسلب الأبصار و يخلب العقول كما يقول "ستيفان مالارمي": ".... و من بعض الألفاظ يعيد صنع كلمـــــة

[1]- د. أحمد إبراهيم موسى، **الصبغ البديعي في اللغة العربية**، دار الكاتب العربي، القاهرة (مصر)، (د ، ط)، 1969، ص17.
[2]- جوليا كريسطيفيا، **علم النص**، ترجمة فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم،بيروت (لبنان)،(د ، ط) ، (ب ، ت) ، ص7.

شاملة تكون جديدة و غريبة على اللسان"[1] .

فلا حدود للكلمة إنها تتجاوز كل إطار من شأنه أن يحدد دلالتها، إنها تستلهم من أعماقها، فنشأ الأدب في بيئة عربية محضة، بعناصرها الشاملة و المجسدة للروح العربية "تحت اسم السحر و الشعر، و أخيرا الأدب و جدت هذه الممارسة داخل الدال نفسها طوال التاريخ محاطة بهالة عجيبة، تتمثل إما في تثمينها أو منحها في أحسن الأحوال، مكانة الزينة"[2].

جمال فياض للكلمة مرتبط بجمال رباني أخاذ، سليقة عربية و فصاحة تعبر بحق عن لغتنا التي "تتميز بالجمال و روعة الأداء و تمثل قمة الإبداع اللغوي لما تحويه من فصاحة و بلاغة تتمثل في مفرداتها و إتقان تراكيبها و زخرف أشكالها و جمال موسيقي في جرسها" [3].

إنها البيئة العربية باتساع آفاقها و جوها المنعش، الذي تهب نسماته على النفس فتطبعها بطابع الصفاء و النقاء مستمدة قوتها من " تلك السماء الصاحية الصافية التي سطعت كواكبها و وضحت شمسها و سفر بدرها طبعت العرب على صفاء النفس و دقة الحس و رقة الشعور" [4].

ارتقاء حسي تخالطه مشاعر البدوي و فطرته السليمة التي كانت بمثابة الدافع الأول للتعبير فنطقت ألسنتهم و كان الشعر الترجمان عما يختلج في صدورهم، فهو أدب عربي النشأة طبيعي المولد و "الدارس لهذا الأدب شعره و نثره يتولاه العجب حقا من تملك عرب الجاهلية لناصية القول ، أو من تفننهم في طرق التعبير عن أفكارهم و خواطرهم إلى درجة تشهد لهم بعلو المكانة في عالم الفصاحة و البلاغة"[5] ، فكأن الإنسان الجاهلي نشأ بالفطرة ، فأنشد شعرا بالسليقة، ثم أدرك بها ما فيه من خطأ أو

---

[1]- المرجع السابق نفسه ، ص7.
[2]- المرجع السابق ، ص7.
[3]- د. عائشة حسين فريد ، **وشي الربيع بألوان البديع (في ضوء الأساليب العربية)**، دار قباء، القاهرة(مصر)،ط1 ،1977، ص9 .
[4]- د. أحمد إبراهيم موسى، **الصبغ البديعي في اللغة العربية**، ص17
[5]- د. عبد العزيز عتيق، **في تاريخ البلاغة العربية**، دار النهضة، بيروت(لبنان) ، (د ، ط) ،(ب ، ت) ، ص7 .

شطط، فحاول مواءمته و الطبيعة الخلابة المؤثرة ، مما أكسبه حسا شعريا يعبر فيه عن أفكاره و مشاعره بصور جميلة منمقة ،إذ " من المعروف أن شعراء العرب و خطباءهم منذ العصر الجاهلي كانوا يغذون أساليبهم التعبيرية بالبلاغة، و أن ما جاء في شعر الشعراء العباسيين و من بعدهم لم يكن من وصفهم و تأليفهم، إنما سبقوا إليه و عرف قبلهم، و هذا ما دفع ابن المعتز إلى تأليف كتابه البديع" [1] ، حيث يعد نقطة تحول في تاريخ البلاغة العربية بأقسامها الثلاثة خاصة علم البديع إذ إن جمع و تصنيف ألوانه كان ذا أهمية كبيرة في الأدب العربي، من خلال استقلال علم من علوم البلاغة، و بروزه في نمط جديد، و اعتبار ذلك نصرا لكل من ولع بهذا الفن، لأنه غدا مطية لأشكال أخرى، و حافزا كبيرا للأدباء و البلغاء للنظم.

و لا أدل على ذلك مما أثير حول فن جديد نشأ بين غريزة حب الجمال و التنميق، الذي كان منذ القدم ، فالنص الذي يعد مركز الاهتمام و الاحتواء لكل الأيديولوجيات و المحفوف بظلامية هلامية منحها مكانتها ،إنه فن البديعيات، فيا ترى من أي السهول تفجر هذا النبع ؟ أم أنه من قمة من القمم؟ فجعل تحديد ماهيته أمرا شائقا، يعتريه الجدل و الاختلاف .

و للإجابة عن ذلك ارتأينا في البداية و قبل الخوض في غمار البحث و الإبحار في أعماقه محاولة تحديد مفهوم لهذا المصطلح "البديعيات" ، الذي لم يحدد له تعريف دقيق ، رغم دوامه فترة طويلة.

---

[1]- د. علي أبو زيد، **البديعيات في الأدب العربي (نشأتها ، تطورها ، أثرها)** ، عالم الكتب،دمشق(سوريا)، ط1، 1983، ص15.

1- المفهوم اللغوي للبديعيات

إن اللغة العربية بحر لا ينضب، منبع صاف لكل من أراد أن يغرف منه و يروي عطشه، على أن الارتواء لن يكون كليا خاصة إذا ما تعلق الأمر بشيء شائق، و فن جديد لم يكن معروفا، ثم لم يفصل فيه، و نظرا لجدته التبس معناه و شابه الغموض.

فلمعرفة دلالات كلمة "بديعية" و أصولها حاولنا البحث عن اشتقاقاتها، بالعودة إلى مادة "بدع" في المعاجم، فقد جاء في "المعجم الوسيط" :

" بدعَهُ – بَدْعًا: أنشأه على غير مثال سابق، فهو بديع. / بَدُعَ – بَداعَة: و بُدُوعًا: صار غاية في صفته خيرا كان أو شرا، فهو بديع ./ و أبْدَعَ: أتى بالبديع، و أتى بالبِدْعَة./ و بَدَعَهُ : استخرجه و أحدثه." [1]

أما في "معجم مقاييس اللغة" نجد:

" بَدَعَ: الباء و الدال و العين أصلان: أحدهما ابتداء الشيء و صنعه لا عن مثال، و الآخر الانقطاع و الكلل.

فالأول قولهم: أَبْدَعْتُ الشيء قولا أو فعلا، إذا ابتدأته لا عن سابق مثال، و الله بديع السماوات و الأرض، و العرب تقول: ابتدع فلان الركي إذا استنبطته.

و فلان بدِعٌ في هذا الأمر، قال الله تعالى: " مَا كُنْتُ بَدْعًا مِنَ الرُّسُلِ". أي ما كنت أول." [2]

و هكذا نجد تعريفات مشابهة للتعريفين السابقين سواء في "لسان العرب" "لابن منظور" أو

---

[1]- إبراهيم مصطفى، حامد عبد القادر، أحمد حسن الزيات، محمد علي النجار، **المعجم الوسيط** ، ج1 ، مجمع اللغة العربية ، جمهورية مصر العربية، 1989، ص43.

[2]- أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق و ضبط عبد السلام محمد هارون، م1، دار الجيل، بيروت(لبنان)، ط1، 1991، ص209.

"مجمل اللغة" "لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي"* ، و في "دائرة معارف القرن العشرين" "لمحمد فريد وجدي".

و للعلاقة الوطيدة بين البديعيات و البديع ثم البلاغة نتوسم بعض التوضيح من خلال "معجم المصطلحات البلاغية" "لأحمد مطلوب" و كلمة" الإبداع :من أبدع و هو أن يأتي الشاعر بالبديع، و البديع الشيء الذي يكون أولا.

و الإبداع سمة الشاعر المبتكر و الكاتب المقتدر، و قد وضعه البلاغيون و النقاد في قمة الإنتاج و إن كان قليلا إذا قيس بغيره.

قال ابن رشيق: "الإبداع: هو إتيان الشاعر بالمعنى المستظرف الذي لم تجر العادة بمثله، ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له بديع و إن كثر و تكرر فصار الاختراع للمعنى و الإبداع للفظ، فإذا تم للشاعر أن يأتي بمعنى مخترع في لفظ بديع فقد استولى على الأمد و حاز قصب السبق".

و ذكر السيوطي أن الطيبي سمى هذا الفن إبداعا،و سماه أهل البديعيات"سلامة الاختراع" "[1].

هذا ما كان من شكل و نمط البديعيات، فلم تجر العادة على مثل هذا النظم، الموشح بضرب من البديع.

لذلك آثرنا الإشارة إلى بعض الكلمات المشتقة من كلمة "بدع" لالتباس الأمر و تعقده، و لتوضيح الفرق بين هذه المصطلحات، فكلمة "بديعية" لم ترد بهذه الصورة، و لم يشر إليها في المعاجم على اعتبار أنها مصطلح علمي فني لم يظهر إلا في القرن الثامن، فتكون حركة التأليف سابقة له، ثم إنه لم يحظ بدراسات معمقة من قبل النقاد و الباحثين ، اللهم تلك الإشارات التي نجدها هنا و هناك، على اختلاف في التحديد و التوجه، لكننا مع ذلك لا نغفل دراسة "علي أبو زيد" التي أنار بها الكثير من

---

*- ت 395 هـ.

[1]- د. أحمد مطلوب، **معجم المصطلحات البلاغية و تطورها**، بيروت(لبنان) ، طبع 2000، ص23، 24.

الجوانب لهذا الموضوع الشائق و بعض الباحثين.

و يبقى التشابك و التعقيد سمة مغرية تدفعنا دوما للبحث، لاكتشاف الدرر، و استلهام الحقائق، و سنعرض لمجموعة من المعاني لبيان الاختلاف و التشابه و كذا التواشج بصورة أو بأخرى في الآتي :

" أُبْدِعَتْ حجته: أبطلت، – و بفلان: عطبت راحلته و كلت، و بقي منقطعا عن الرفقاء.

بَدّعَهُ: نسبه إلى البِدْعَةِ.

ابتَدَعَ: أتى بِبِدْعَة، و — الشئ: بَدَعَهُ.

تَبَدَّعَ: أتى بِبِدْعَة، و — صار مُبْتَدَعًا.

استبدعه: عدّه بديعا. [1]

من ذلك نجد أن البديعيات لم يحدد لها تعريف لغوي ، إذ إنها تبقى محل بحث ، فهي لم تتناول من قبل اللغويين ، و لم تلق حظها في المعاجم، و في المقابل نجد تباينا و اختلافا من الناحية الاصطلاحية حيث عرف المصطلح تعريفات عدة كما يتضح في التعريف الاصطلاحي .

[1]- **المعجم الوسيط**، ص43.

2- المفهوم الاصطلاحي للبديعيات

إن لغتنا تختلف عن باقي اللغات باتساع دلالاتها، و عمق معانيها و جمال أساليبها، إنها درة الدرر، و مكمن الجواهر، فلا ريب أن نكتشف فيها الجديد العجيب، و يبرز فن من الفنون يجسد نوعا من أنواع السحر و الفتنة فيها، و يغدو محط أنظار الكثير، و يثير شجنا و جدلا كبيرا، فالبديعيات من ضمن المصطلحات التي تضاربت الآراء و المفاهيم بشأنها، إذ تباينت بحسب الثقافة و الرؤى ، من ثم سنحاول التطرق إلى حيثيات هذا المصطلح من خلال إلقاء الضوء على بعض آراء النقاد و مواقفهم من هذا الفن، للوصول إلى تعريف قد يحقق الدقة.

و قد ارتأينا أن تكون البداية مع " محمود رزق سليم "، الذي حاول إعطاء صورة شاملة عن عصور الانحطاط (المملوكي، الأيوبي، العثماني..) في شتى الجوانب، كما أشار إلى هذا الفن بشكل معمق إذ يرى أن " فن البديعيات صناعة فكرية أكثر منها صناعة أدبية، و هي ضرب من ضروب "شعر حقائق العلوم و الفنون"، ذلك لأنه في جملة ما نظم فيه من القصائد يدور حول ذكر لونين من الحقائق، حقائق الأصباغ البديعية، و حقائق السيرة النبوية، و لا ننكر أن النزعة الدينية لها صلة بوجود هذا الفن"[1].

فمن خلال هذا التعريف تتجلى لنا بعض المحاور العامة و المضامين التي تدور حولها هذه القصائد البديعية، إذ جمعت بين ألوان بديعية و مضمون ديني عميق و هو مدح الرسول – صلى الله عليه و سلم– من خلال استذكار سيرته ، و في هذا الصدد يقول " محمد زغلول سلام ": " و سار كثير من شعراء العصر على أثر البردة، فاحتذاها و عارضها جماعة من الشعراء، و تناول معانيها و أسلوبها جملة ممن اهتموا بالمديح من بعده، كالخيمي و صفي الدين الحلي و ابن جابر الأندلسي الضرير،

[1]- د. محمود رزق سليم، **عصر سلاطين المماليك و نتاجه الأدبي و العلمي** ،م8 ، مكتبة الآداب، القاهرة (مصر)، ط1، 1965، ص177.

و ابن حجة الحموي، و لكن صفي الدين الحلي و من تبعه انتهجوا نهجا جديدا في مدائحهم إذ طرزوها بالبديع و أسموها البديعيات ضمنوا كل بيت فيها نوعا من البديع، فجعلوها مديحا و متنا في علم البديع معا"[1].

فمن خلال هذين التعريفين نلاحظ تشابها و اتفاقا حول شيئين مهمين: المديح النبوي و ألوان البديع المختلفة، و نظرا للتغيرات التي حدثت في كيان الأمة الإسلامية، و ما شابها من تراجع في الجانب العقيدي و ميل قوي تجاه الرفاهية و الزخرفة، "مني الشعر العربي منذ المائة السابعة إلى العصر الحديث بفئة كل عتادها ألوان من البديع"[2].

فالعلاقة وطيدة بين البديعيات و هاته الزخرفة التي صبغ بها الشعر، و وله بها الشعراء، و إن كانت لهم مبرراتهم في ذلك، فيجب الاعتراف أن الكلمة جذابة، و تثير شاعرية أي كان و بالتالي حاولوا السير على السبل التي توصلهم إلى أحضانها، و هذا يتجلى في قول العالم الأديب الشيخ " تقي الدين أبي بكر " المعروف ب" ابن حجة الحموي "، إذ ربط مصطلح البديعية بالبديع في قوله: "إذا ما انتقلنا إلى القرنين الثامن و التاسع الهجريين، نجد أنهما قد امتازا بإيلاء العلماء و الأدباء و الشعراء علم البديع عناية ما بعدها عناية إن لم نقل أنهم تفرغوا له، و جفت قرائحهم إلا منه، و تميز بعض الشعراء و الأدباء في هذين القرنين، بنظم البديعيات التي تعتبر بحق دراسات في هذا المجال لا تكاد تعدوه" [3].

و على اعتبار أن البديعيات دراسات في علم البديع، فهي تعطي صورة واضحة، عن هذا الفن الذي أخرجه الشعراء في حلة شعرية جميلة، فبهذا انتقلوا به نقلة نوعية.

إنها تعاريف تشير بصورة عامة إلى ارتباط بين كل ما هو زخرف و هاته القصائد، و في نفس

---

[1]- د. محمد زغلول سلام، **الأدب في العصر المملوكي**، ج1، منشأة المعارف، الإسكندرية ،(د، ط) ، (ب،ت) ، ص328.
[2]- د. أحمد إبراهيم موسى ، **الصبغ البديعي في اللغة العربية** ، ص 371.
[3]- تقي الدين أبي بكر (ابن حجة الحموي) ، **خزانة الأدب و غاية الأرب** ،ج1،دار مكتبة الهلال ، بيروت (لبنان) ، ط1 ، 1987 ،ص08.

المضمون نلتقي "بجودت الركابي" الذي يعرفها و يحددها بدقة أكثر في قوله: "و قد ظهرت في هذه العصور قصائد من البحر البسيط في مدح الرسول صلى الله عليه و سلم تحوي كل فنون البديع عرفت بالبديعيات"[1].

أما "منير سلطان" في كتابه "البديع تأصيل و تجديد" فيعتبرها نوعا من الإلمام بعلم هام ألا و هو البديع في قوله: " البديعية قصيد تحتوي على كل الفنون التي أدرجت تحت علم البديع و هي في الوقت ذاته في المديح، و بخاصة مدح الرسول صلى الله عليه و سلم" [2].

فالأمر لا يتعدى المدح و البديع، و تبقى هذه التعريفات عامة و دون جراءة، و أما " أحمد إبراهيم موسى" في كتابه " الصبغ البديعي" فقد طمس كل جمال و كل ما يمكن أن يلف هذا الفن من جدة و جاذبية و رونق و معنى، بل خالف كل من سبق في تعريفاتهم و يبدو ذلك في قوله: " جاؤوا بشيء لا أجد له شبيها إلا تلك الموازين و التفاعيل التي وضعها الخليل ميزانا للشعر لا يروق لفظها و لا يفهم معناها، تلك هي القصائد التي اشتمل كل بيت منها على لون أو أكثر من ألوان البديع تمثيلا فقط أو مضموما إليه التزام التورية باسمه، و هذه هي التي وقع عليها اسم البديعيات"[3].

فجمال هذا الفن و فتنته لم تكن لتغري " أحمد إبراهيم موسى" إذ اعتبرها : " رسوما بالية و صورا خاوية لا حياة بها و لا روح فيها فلم يكن فيه من معنى الشعر إلا القافية و الوزن" [4].

فكأنه يود إلغاء كل التصورات أو التفرد أو التميز بهذا الطرح على أننا سنشير إلى هذه الرؤية في موضعها.

و في المقابل نجد "زكي مبارك" عند حديثه عن المدائح النبوية – عامة– و ما أثارته قصيدة البردة للبوصري –خاصة– إذ كانت حافزا لكتابة قصائد على منوالها يقول عنها: " و قد افتتن ابن جابر

[1]- د. جودت الركابي ، **الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار** ، دار الفكر ، دمشق(سوريا) ، ط2 ، 1982 ، ص 132.
[2]- د. منير سلطان، **البديع تأصيل و تجديد،** منشاة المعارف، الإسكندرية(مصر)، (د ، ط) ، 1986 ، ص 22 .
[3]- د. أحمد إبراهيم موسى ، **الصبغ البديعي في اللغة العربية** ، ص 372.
[4]- المرجع نفسه ، ص 374.

بقصيدة البردة و ظهر أثرها في شعره، فقد شغل نفسه بمعارضة البردة، و لكن أي معارضة؟ لقد ابتكر فنا جديدا هو "البديعيات" و ذلك أن تكون القصيدة في مدح الرسول و لكن كل بيت من أبياتها يشير إلى فن من فنون البديع" [1].

لقد ابتكر ابن جابر فنا جديدا في نظر " زكي مبارك " أثرى المكتبة العربية، في وقت ساد فيه الجمود و الإحباط من الأوضاع السائدة، إذ يناقض " أحمد إبراهيم موسى" الذي اعتبرها تكلفا و انحدارا في الأدب العربي خاصة في جانب الشعر.

و بالرغم من أن البديعيات لم يكن لها الحظ الوافر في ميدان الدراسة إلا أننا نجد بعض الإشارات هنا و هناك، و لا نعدم بعض الدراسات الحديثة الواردة في كتاب" البديع في علم البديع" ليحيى بن معطي " لمصطفى الصاوي الجويني " إذ تطرق إلى هذا المصطلح في قوله: "البديعية قصيدة مديح غالبا ما تكون في مدح النبي صلى الله عليه و سلم و غالبا ما تكون على البحر البسيط، و من قافية المتراكب و روي الميم المكسورة، و يقوم كل بيت منها شاهدا على الفن البديعي في لفظ البيت الذي يتضمن معناه" [2]، إنه تعريف دقيق بين فيه شروط البديعية، لكن يبقى ما هو متعلق بالمديح، فيبدو أنه يدخل قصائد قد تكون في غير مدح النبي صلى الله عليه و سلم ، إذ البديعية عنده تعني المدحة النبوية و غيرها، كما أنها قد تنظم على غير البحر البسيط، كمديح عيسى مثلا.

[1]- د. زكي مبارك ، **المدائح النبوية في الأدب العربي** ، صيدا ، بيروت ، (د ، ط) ، 1935 ، ص 205.

[2]- د. مصطفى الصاوي الجويني، **البديع في علم البديع ليحيى بن معطي**، تحقيق و دراسة د. محمد مصطفى أبو شوارب، دار الوفاء، القاهرة (مصر)،(د ، ط) ، (ب ، ت) ص40.

على أن "سعد سليمان حمودة" يجمع بين المدح و التوشية البديعية، في قوله: " البديعيات نمط من قصائد المدح و خاصة مديح الرسول صلى الله عليه و سلم ضمن ناظموها كل بيت منها لونا أو محسنا من محسنات البديع"[1].

في ظل هذه التعاريف، نلاحظ ترجيح كفة التحسين و التنميق، و لهذا دلالته، إذ يجسد جليا الانتقال من النسق المعرفي إلى النسق الشعري في إطار التأليف البلاغي ، و باعتبار البديعيات منظومات في البديع فإنها تتفرد و تتميز بأنساقها المعرفية المصبوغة بألوان بديعية.

غير أننا نجد "عبد الواحد حسن الشيخ" يشير لها و بدقة في قوله : " قصائد من البحر البسيط ميمية القافية غالبا تعارض أصلا بردة البوصيري التي أنشأها في مدح الرسول صلى الله عليه و سلم"[2].

فمعارضة البردة فتحت بابا لا يغلق للشعراء و الأدباء، إذ إن عمق التجربة، و لد صورا جميلة تستثير المشاعر و الوجدان، و تطرب الآذان، فتهفو إليها النفوس و تميل إليها العقول.

و ما نلاحظه هو هذا التباين في تحديد هذا المصطلح الزئبقي، الذي أثار شجون الكثير من الباحثين و الأدباء و الشعراء فرغم أنه دام قرونا إلا أننا نبقى مشدوهين أمام هذا التضارب – و إن كان الاختلاف محمودا– لكن إن دل على شئ، فهو أهمية هذا الفن و تأثيره اللامحدود، و كذا مدى تقصيرنا في دراسته، و دلالاته العميقة عمق الدين و سموه و رقيه.

و في ظل الاختلاف نبحث عن فيء فلا نجد إلا "علي أبو زيد"، في دراسة حول البديعيات، و التي كانت منطلقا و مرتكزا في بعض جوانب الموضوع، فتحديده لمفهوم "البديعيات" كان من

---

[1]- د. سعد سليمان حمودة، **البلاغة العربية**، دار المعارف،مصر،(د،ط)،(ب،ت)، ص329 .
[2]- د. عبد الواحد حسن الشيخ، **دراسات في علم البديع** ،(د ، ط) ، 1990- 2000، ص10.

منطلقين "تعريف عام و خاص"، محاولا بذلك مواءمة كل القصائد التي كتبت في هذا الميدان و جعلها في دائرته، و رسم خطوطا عريضة تحدد أطره ، لذا كان لزاما أن ندرجها في ثنايا البحث.

فالتعريف العام: " الذي شمل جميع البديعيات على شئ من التعميم الذي يخرجه عن دقة التحديد تعتبر فيه البديعية قصيدة طويلة في مدح النبي صلى الله عليه و سلم- و نادرا غيره – يتضمن كل بيت من أبياتها نوعا من أنواع البديع يكون هذا البيت شاهدا عليه، و ربما وري باسم النوع البديعي في البيت نفسه في بعض القصائد"[1] ، إذن هي قصيدة مديح تتضمن لونا من ألوان البديع.

أما التعريف الخاص: " فهي قصيدة طويلة، في مدح النبي صلى الله عليه و سلم، على البحر البسيط و روي الميم المكسورة شاهدا عليه، و ربما ورّي باسم النوع البديعي في البيت نفسه في بعض القصائد"[2].

و من خلال ما سبق يتضح أن مصطلح بديعية لم يحدد له تعريف رغم أنه ظهر و دام لفترة طويلة، و تألق نجمه، فهو فن جديد يعبر عن ذلك الانفجار الحاصل في المجتمع الإسلامي ، حتى إن الشعر كان أكثر جدة، إذ يفتح الباب على مصراعيه لآفاق جديدة، و اللغة الشعرية التي اتسمت بها هاته القصائد متفردة ، تعبر عن تأزم روحي في سياق حضاري حافل بالتناقضات الهائلة ، فالحديث لا ينتهي بشأن هذا الفن المستحدث و يبقى مجالا مفتوحا لدراسات أخرى.

و إن اعتبرنا أن البديعية نظم شعري غرضه المدح من بحر معين و روي معين ، تحمل بين ثناياها ألوانا بديعية دونما تحديد فأين الزئبقية في هذا الفن ؟ و كيف يمكن اعتباره جديدا و لغتـــه متميزة؟.

---

[1]- د .علي أبو زيد، **البديعيات في الأدب العربي (نشأتها ، تطورها ، أثرها)** ، ص 46.
[2]- المرجع نفسه ، ص 46.

و إن كانت قصائد المديح تتنوع و تتباين فلا يمكن أن نعدها من البديعيات ثم إن كانت شاملة لكل البحور فأي تفرد و أي خصوصية في هاته القصائد يمكن أن يميز البديعية ، إذ إن اتباع نمط معين له دلالته ، و كذلك الألوان ، فهل يمكن اعتبار ذلك الكم الهائل دونما تمييز مجرد صبغة بديعية أم له دلالات ؟

إن فتنة البديعية لا تقاوم و لو كانت نهايتها الموت البطيء و الضياع في غياهبها — في ظل التكلف و التصنع– لكنها تعد مكسبا للشعر، و أي مكسب، إذ إنها أثرت فيه و خلخلت لغته و رؤاه، فكانت اشراقات متفجرة في عالم الأدب.

من كل ما سبق يمكننا القول أن البديعية لا بد أن تكون قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه و سلم نبي الأمة و سراجها، تنظم على أوزان البحر البسيط و على روي الميم، باعتبار أنها تعارض البردة للبوصيري يشتمل كل بيت من أبياتها على لون من ألوان البديع، يكون شاهدا عليه و في غالب الأحيان وري باسمه.

فيا ترى كيف نشأت ؟ و في ظل ماذا ترعرعت ؟ و ما الذي جعلها تتفرد أو تتزين بهذه الحلة المزركشة، و عم ينم هذا الجمال ؟

و في النهاية يمكن أن نقول أن البديعية كلمة زئبقية اللفظ و المعنى ، لذا يصعب على كل باحث تحديد معناها ، و على كل يمكن القول أن البديعية لتكون كذلك يجب أن تشتمل على أنواع و ألوان متعلقة بعلم البديع ، إذ من شأنها أن تضفي الطابع الجمالي الفني و الدلالي عليها ، كما أن ألقها و رونقها لا يزداد إلا إذا كان المضمون متعلقا بمدح الرسول صلى الله عليه و سلم ، و يبقى سحرها مرتبطا بالمعنى و خير معبر عنه.

الفصــل الأول : البديعيات الجذور و الامتداد

تمهيـد

جذورهـا

وشائجهـا

البديعـــيـــات و المدائح النبويـــة

البديعيـــات و التـــصوف

ج. البديعـــيـــات و البـــــــردة

البديعـــيـــات و المولـــديـــات

زمن ظهورهـــا

الاختلاف بشأن الأسبقيــة

مضمــون البديعيـــات

أعـــــلامهـا

1- تمهيـــــــــــد:

إن ترجمة الذات أو الآخر منبر لا يعتليه أي كان، فهو أمر مستعص لا يمكن بلوغ غايته إلا باستنطاق جميع العوامل المتعلقة بالذات و البيئة، ساعتها يمكن اعتلاء ركب العصر و مسايرته، لكن في بعض الأحيان تمارس سلطة قهرية و تسلب إرادة الإنسان فيلجأ إلى إيجاد سبل أخرى و يبحث عن آفاق لا مرئية، رمزية لينفس عن نفسه و مكبوتاته فتكون الوسيلة الوحيدة اللغة فهي "تعبير عن موقف عملي، إنها تعبر مباشرة عن أفكار للأفراد و مشاعرهم و هي إذ تختلط معهم تعبر من خلالهم عن المشاعر الاجتماعية و عن الأمة و عن عاداتها و مؤسساتها"[1].

فينبري الأدب ليتولى مهمة التعبير عن التجربة الإنسانية في شكل صور مبتكرة تنأى عن العالم الحسي، لكنها تجسده و تتصل به من خلال أنساق شتى منمقة و مزخرفة، تبعا لما تفرضه البيئة الاجتماعية فتأثيراتها تؤدي بالشاعر إلى التحليق في عالم جميل، و تفجر ما لديه من طاقات و مكنونات، و تكون ترجمة صارخة وفق أداء جمالي متميز ،"فالشعر في كل لغة مجموعة من المصطلحات و النظم و القوانين التي تحدد صلاحيته للقول و الإنشاد، و تناثر في أشعار العرب القدماء ما يدل على أنهم كانوا يحسون أن الشعر نوع من الصناعات تحتاج إلى التنميق و التزيين، جعلوه كبرود القصب و المعاطف و الحلل و الديباج و الوشي فهو يشبه عندهم صناعة الثياب فيه الملون و غير الملون"[2].

هذه التوشية و الصناعة كانت بمثابة الهارب للأدباء و العلماء لعوامل شتى، إذ الاهتمام بتطريز الشعر كان منذ القديم فكرة مترسخة، و تجذرت و نبأت عن جمال اللغة العربية و موسيقيتها، حيث تجلى ذلك من خلال علم استهوى الكثير من الأدباء و الشعراء ألا و هو علم البديع.

---

[1]- بيير جيرو، **الأسلوب و الأسلوبية**، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء القومي،لبنان ،(د ، ط)، (ب ، ت) ، ص22.
[2]- د. عبد الفتاح لاشين، **الخصومات البلاغية و النقدية في صنعة أبي تمام**، دار المعارف، القاهرة (مصر)،(د ، ط) ، (ب ، ت)، ص5.

من ثم ارتأينا أن نشير إليه باختصار لعلاقته بموضوع الدراسة – البديعيات- هذا "اللون الأدبي كان له علاقة وطيدة و كبيرة بعلم البديع"[1] ، فلقد كان مصطلح البديع "في بداياته سليقة لدى الكتاب و الأدباء العرب، و لم يكونوا يعرفونه بهذا الاسم"[2].

و لا يخفى علينا ما عرف عن العرب من فصاحة و بلاغة ، ثم إن الميل لكل ما هو جميل شئ فطري، و بالتالي أثار هذا المصطلح فضولا و شجونا كبيرا ، لدى الكثير من الشعراء و الأدباء "فلقد ظهر هذا المصطلح الفني على ألسنة عدد من الشعراء و الرواة في القرن الثاني ، و دون ذلك أيضا منذ أن بدأ الراعي النُّمَيرِي* و بشار بن برد* و ابن هرمة* و منصور النَمَري* و غيرهم ، يتوسلون بطرائق جديدة للتعبير في أشعارهم ، على أن شيئا جديدا لفت إليه الأنظار و تناقلته الرواة"[3].

على أن الاختلاف باق دوما ، فهناك من يعتبر مسلم بن الوليد صريع الغواني، أول من وضع مصطلحات متعلقة بهذا العلم و أبو نواس من أحدث ثورة في هذا الميدان، فجاء ابن المعتز بكتابه "البديع" ليرد على ذلك و ليؤسس لهذا العلم، بعد أن كان في القديم يشمل البلاغة بعلومها الثلاثة، المعاني، البيان و البديع، و "صرح في مطلع كتابه معرضا بما يؤكد قدم هذه الوسائل الفنية في أعرق النصوص العربية، في القرآن و الشعر الجاهلي"[4] .

كما أن الجاحظ في كتابه "البيان و التبيين" تحدث عن البديع و توسع فيه دون وضع مصطلحات معينة.

---

[1]- د. عبد الواحد حسن الشيخ، **دراسات في علم البديع**، ص10.
[2]- ابن حجة الحموي، **خزانة الأدب و غاية الأرب**، ص6.
*- ت 90 هـ.
*- ت 127 هـ.
*- ت 176 هـ.
*- ت 190هـ.
[3]- د. محمد علي سلطاني، **البلاغة العربية في فنونها**، ص9.
[4]- المرجع نفسه ، ص10.

و جاء بعد ابن المعتز، قدامة بن جعفر* في كتابه "نقد الشعر" ليوسع مجال البديع أكثر بإضافة ألوان من البديع "فيلتقي مع ابن المعتز في خمسة محسنات بديعية، كان قد عرفها ابن المعتز مع اختلاف في التسمية، و يزيد قدامة إليها محسنات جديدة لم يذكرها ابن المعتز"[1].

هذه الزيادة أو هاته الجهود تتجسد أكثر مع أبي الهلال العسكري في كتابه الصناعتين "الكتابة و الشعر" إذ أفرد بابا خاصا من ضمن أبوابه العشرة بعنوان "باب في شرح البديع" كما أنه قد وصل بعددها إلى واحد و أربعين نوعا.

و " تكاد تكون صورة البديع عند علماء القرنين الثالث و الرابع مرادفة لمفهوم البلاغة، أو الصور البيانية بوجه عام، و ليس ثمة تمييز بين صور البيان وصور البديع حتى نهاية هـــذه الفترة "[2].

و مع بدايـــة القرن الخامس الهجري تتحدد المفاهيم أكثر و تزداد علوم البلاغـــة استقلالا، من خلال التمييز بين فنونها في بعض المؤلفات، إذ إن " ابن رشيق القيرواني " في كتابـــه "العمدة" خصص أبوابا لعلم البيان و أخرى لعلـــم البديع و أضاف سبعة ألوان من ابتكاره ، لم يسبقه إليها أحد فصار عددها الخمسين نوعـــا "[3].

أما عبد القادر الجرجاني فأسس لعلمي البيـــان و المعاني في كتابيه "أسرار البلاغـــة" و "دلائل الإعجـــاز"، كذلك الشأن لعلم البديع، ففي القرن السادس هجري ، نجد الزمخشري* ، و الوطواط* ، و أسامة بن منقذ* قـــد عدد في كتابه "البديع في نقد الشعر" خمسا و تسعين وجها.

---

*- ت 337 هـ.
[1]- ابن حجة الحموي، **خزانة الأدب و غاية الأرب**، ص7.
[2]- المرجع نفسه ، ص 7.
[3]- المرجع نفسه ، ص7.
*- ت 583 هـ.
*- الوطواط : هو رشيد الدين العمري ، ألف في البلاغة الفارسية كتابا سماه " حدائق السحر في دقائق الشعر "و هو محاولة لتطبيق فنون البديع العربي على الأدب الفارسي ، توفي سنة 573 هـ.
*- أسامة بن منقذ : هو أبو المظفر أسامة بن مرشد بن منقذ ، له تصانيف عديدة في فنون الأدب منها " كتاب البديع في نقد الشعر" و كتاب القضاء ، توفي سنة 574 هـ.

و يحمل الراية بعد هؤلاء نفر من علماء القرن السابع الهجري الأفذاذ منهم "الرازي*، السكاكي* و ضياء الدين بن الأثير* و التيفاشي المغربي* و زكي الدين بن أبي الأصبع المصري* و علي بن عثمان الاربلي* و بدر الدين بن مالك*، و قد أولى هؤلاء علم البديع عناية خاصة في ما ألفوه من كتب و تصانيف"[1] ، فلقد استكثروا من صور البديع فكان ، " التوسع العددي على حساب النسق المنطقي و فلسفة العلوم و مناهجها حسب الاجتهادات العربية في قراءة أرسطو فحاولوا تجنيس الصور البديعية بإرجاعها إلى مقولات عامة ، منهم أبو القاسم السجلماسي في كتابه " المترع البديع في تجنيس أساليب البديع " "[2] .

فإذا كان القرن السابع قرن تجنيس البديع فإن القرن الثامن هو قرن نظم البديع، حيث تزايد الاهتمام بعلم البديع، فغدا نبراسا و مطية كل أديب و عالم و شاعر، فكأن كل المنابع جفت إلا روافده و ينابيعه – علم البديع– التي غدت المورد الوحيد، و بتكاثف هذه الألوان و تضافرها انبثق شكل زخرفي يحمل مضمونا أروع، "البديعيات" التي تميز الشعراء بنظمها في القرنين الثامن و التاسع الهجريين، فيا ترى أي ثورة فجرت هذا الزخم البديعي، و أخرجته بهذه الصورة البديعية، فالتسمية ذاتها تحمل دلالات عميقة و تشير إلى منعطفات تاريخية، و تبدل في الذهنية، لكن السؤال الذي يطرح نفسه أي الجذور أنبتت هذه الشجرة المثمرة، المتفرعة الأغصان، الوارفة الظلال؟و ما هي العوامل التي ساعدت على ظهور هذا الفن ؟.

---

*- ت 606 هـ.
*- ت 626 هـ.
*- (588 هـ- 637 هـ)
*- التيفاشي المغربي : هو أحمد بن يوسف التيفاشي المغربي ، له مؤلف في علم البديع أحصى فيه سبعين محسنا من المحسنلت البديعية ، توفي سنة 651 هـ.
*- زكي الدين بن أبي الأصبع المصري : له ثلاث كتب هي :" الأمثال ، تحرير التحبير ، بديع القرآن "، توفي سنة 654 هـ.
*- علي بن عثمان الإربلي : ت670 هـ.
*- بدر الدين بن مالك: هو بدر الدين محمد بن جمال الدين الطائي الأندلسي أصلا الدمشقي دارا، له مؤلفات في النحو و البلاغة، توفي سنة 686 هـ.
[1]- ابن حجة الحموي، **خزانة الأدب و غاية الأرب**، ص7.
[2]- د. محمد العمري ، **البلاغة العربية (أصولها و امتدادها)** ، أفريقيا الشرق ، بيروت (لبنان) ، (د ، ط) ، 1999 ، ص61.

2- جذورهـــا

إن الحديث عن البديعيات يبدو من الوهلة الأولى أمرا شاقا فالكلمة جذابة و لها وقع خاص في الأذن و الكثير لا يدرك ماهيتها ، و جذورها المتغلغلة في أرض عربية خصبة، إنها فن تمخض عن صراع كبير و آمال تدفن، و إرادة تسلب، و صوت يخرس، و يتضح ذلك جليا من خلال تحديدنا للزمن الذي ظهرت فيه ،يقول في هذا الصدد "محمد علي سلطاني": "قصائد في المديح بدأ ظهورها حوالي منتصف القرن السابع الهجري"[1].

فلقد كانت الأوضاع حينئذ توحي بتصدع و انكسار في كيان الأمة العربية، في ظل ما وصف بعصور الانحطاط –رغم أن الكثير من النقاد لا يوافقون على هذه التسمية– فبروز شئ ما يؤول إلى جذور معينة، و إلى منبت معين ، فهو الأصل الذي أنبت هذه الزنبقة ، إنه البيئة التي: "تغدو وطن المرء الذي يولد فيه، و ينتسب إليه و يدرج بين ربوعه و يعيش في جوه و فوق أرضه و تحت سمائه و بين أهله فتفتح عينه على مرائيه، و يتنبه خاطره على أحداثه، و ينطلق لسانه فيتكلم لغته، و يرى في قومه عادات فيعتادها من صغره و تقاليد منذ نعومة أظفاره، و تعاليم يسترشد بها" [2].

فلا يمكن أبدا أن نغفل هذا الجانب، فهاته البيئة بظروفها السياسية، الاجتماعية، الثقافية، كانت بصورة أو أخرى الحافز الأكبر في هذا النزوع الفني، أي لجوء الشعراء إلى منظومات بديعية "فيما يتعلق بالبديع، أمر جوهري لا بد من الإشارة إليه و هو ارتباط هذه الظاهرة بالجو النفسي و الفكري السائد في العصر الذي شاعت فيه، فقد كان ضيق الأفق الفكري و فقدان الأمن و الحرية و تعمق التناقض الطبقي و التسلط الأجنبي في المجتمع عوامل أساسية في دفع المشاعر و الناس إلى التخلي عن التعبير الحر المنطلق و

---

[1]- د. محمد علي سلطاني، **البلاغة العربية في فنونها**، مطبعة زيد بن ثابت،دمشق (سوريا) ،(د،ط)، 1979- 1980، ص13.
[2]- د. محمود رزق سليم، **عصر سلاطين المماليك و نتاجه الأدبي و العلمي**، م7، ط1، 1965، ص9.

الخالي من القيود الشكلية"[1].

إنها رغبة ملحة في الابتعاد عن العالم المادي المحسوس، و بحث عن عالم متخيل، يعيش في ظله سلاما داخليا فحاول أن يجعل من اللغة العالم الذي يوفر له البديل عن ضيق العالم الخارجي و عطبه، فراح يوسع من حدودها ،و يجعلها ميدانا فسيحا للتقابل و التناظر و الانسجام و تصادم المعاني محققا من خلال ذلك كله في نفسه الاتساق و النظام و التوازن" [2].

فكانت النتيجة ذلك الزخم من الألوان البديعية التي تحمل الكثير من الدلالات إنها البديعيات التي كانت بمثابة المهرب، الملجأ، ترجمة للذات، الأنا، الآخر، من خلال هاته اللغة الشعرية المنمقة.

فغدت البديعيات بشكلها المتفرد المعبر عن التجربة المعاشة، في ظل واقع مرير، ثم إن ما أصاب العالم الإسلامي مشرقا و مغربا زرع في النفوس الخيبة و الإحباط، و الانكسار الروحي، إذ صار الحكم في يد الأجانب، فالعربي لا يملك سلطة القرار مما أثار سخط المسلمين و انغلقوا على أنفسهم يبحثون عن بصيص الأمل.

"فمنذ عصر الدويلات و الحكم العباسي في انحدار مستمر فهو خاضع فعليا لسيطرة الأعاجم و لا قيمة للخليفة فهو صورة يحكم من ورائها الفرس حينا و الترك حينا"[3].

كما انهارت الدولة الفاطمية ، و أصبحت تحت سيطرة الأيوبيين ، ثم المماليك الذين تسموا السلاطين ، و سقطت بغداد* في أيدي التتار بقيادة هولاكو، فعاثوا فيها فسادا ، و اجتاح الفرنجة بلاد الأندلس، و هكذا ساد اللاأمن، اليأس ، و فقد الإنسان العربي مكانته و كرامته فأصبح يحن إلى ماض زاهر

---

[1]- إلى طه حسين في عيد ميلاده السبعين، **فصل التكامل في القصيدة العربية**، د. لطفي عبد البديع، ص73. http://www.fikrwanakd.aljabriabed.net/n41_07khadir.htm

[2]- المرجع نفسه، ص73.

[3]- إنعام الجندي، **الرائد في الأدب العربي**، ج1، دار الرائد العربي، بيروت(لبنان)، ط2، 1986 ، ص543.

*- عام (656 هـ – 1358 م).

"و نتيجة هذا الوضع المزري المتوج بالضعف و الخور، أصبحت حاجة النفس ماسة لمراجعة ذاتيتها و إلى زعزعة الأصول علها تنبه الفروع اللاهية بنـــزوات عارضة، و من هنا كان الإلحاح في طلب العودة إلى أصل الينبوع"[1].

فعن طريق البديعيات تتم الإحالة على الماضي و العالم الآخر و فضائه، بالوقوف أمام قبر الرسول (ص)، و زيارة دياره ، حيث نشأت و انتشرت الدعوة الإسلامية، إنها رغبة ملحة للتوبة و العودة إلى فضاءات النبوة ، البيت العتيق، كل ذلك يتجلى في فن المدح البسيط، الذي صبغ بمعنى أعمق و أكثر روعة و شجونا عندما لم يكن إلا مدح الرسول صلى الله عليه و سلم سراج العالم، و شعور الأدباء بالإحباط و عدم إيجاد التوازن الذاتي في ظل اضطراب الحياة و صراعها، جعلهم يبحثون عنه في الشعر بالذات – البديعيات– و كذا التضرع الروحي في شخصية الرسول صلى الله عليه و سلم.

و كل هذه الظروف يمكن أن نعتبرها البذور الأولى التي أرست دعائم هذا الفن، غير أن هناك فروعا لهذا الجذر الرئيسي، منها طبيعة العصر، إذ ألفت منظومات في شتى العلوم، "فقد كانت هذه الطريقة وعاء العصر، إذ يغلب عليه الحفظ و الرواية" [2].

و على اعتبار أن البديعيات فن ابتكر في عصر المماليك فمن المنطق أن يكون تداخل و تواشج، فالأدب ابن بيئته حيث "اتجه كثير من الشعراء إلى نظم هذه المعارف و الأفكـــار العلمية وإخراجها في قصائـــد تطول أو تقصر و تزويدها بما ينبغي للأساليب العلمية أن تـــزود به فنظموا في الفقه و المواريث و الأحكام المختلفة و في النحو و البلاغة و العروض و التاريخ و غير ذلك"[3] .

ثم إن الكثير من الشعراء و الأدباء و العلماء كان لديهم ميل لنظم الشعر منذ الصغر، و بحكم

---

[1]- د. عبد الله حمادي، **دراسات في الأدب المغربي القديم**، دار البعث، قسنطينة (الجزائر)، ط1، 1986، ص214، 215.
[2]- د. صالح بلعيد، **ألفية بن مالك في الميزان**، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر،(د ، ط)، 1995، ص160.
[3]- د. محمود رزق سليم، **عصر سلاطين المماليك و نتاجه العلمي و الأدبي**، م8، ق8 من ج 4 ، ص147.

ثقافة العصر كان لزاما أن يسلكوا دروب العلم و يتخصصوا فيه: "و لكنهم لم ينسوا الشعر، و هو موهبة حبيبة إلى نفس صاحبها أثيرة عنده، لا يطاوعه قلبه على هجرها و لا التجافي عنها، بل هو يعود إليها بين الفينة و الفينة يستروح لنفسه و يسلتهم لخياله و يخلو إلى أحاسيسه"[1].

فغدت هذه الازدواجية " العلم و الشعر " شيئا مثيرا للأفكار، و حافزا كبيرا للإبداع، بإضفاء نوع من الدلالات العميقة من ثنايا الألفاظ ، ذات الوهج الشعري العلمي الذي أحال النسق المعرفي إلى نسق شعري "و لا نرتاب في أن الاشتغال بالعلم ينضح على الشاعرية و يوسع مجالاتها و يباعد بين آفاقها و يكسب الشاعر ملكة و تجربة واسعة و معرفة في ميدانه و يزيده معاني و أفكارا و يقدره على حسن التصوير و جودة التعبير، فالاشتغال ضرورة لا بد منها لاكتمال شاعرية "[2].

و بتضافر هذه العوامل ، كانت الثمرة معان متفردة تحت ظلال أنواع بديعية، أثارت الكثير من الشجن –البديعيات–، مما صير الشعر فسيفساء من الألوان البديعية ، مطعمة بشاعرية فذة، هاته الأخيرة كانت غاية في حد ذاتها، فهي تعبير عن التفوق و تملك ناصية البلاغة و مواءمة حضارة العصر الملونة و المزانة بكل مظاهر المغالاة و المبالغة و الالتواء و الزخرف ، بالتالي زادت التنافس و حب الظهور فقد "أثار الشعراء فيما بينهم ثائرة المنافسات الأدبية، فكانت حافزا آخر من حوافز شاعريتهم و دافعا من دوافع إقبالهم على نظم الشعر و مزاولة الفن..... " [3].

كـــل هذا ساهـــم بطريقة أو بأخرى في هذا النمـــط الجديد من الشعـــر، الملفت للنظر و الذي غدا فجرا جديدا، و بعث النشـــاط الأدبي بعـــد أن ســـاده الجمـــود و لفه الخمـــول فكانت اللغـــة الشعـــرية مطية الشعـــراء و وسيلتهم بل غايتهـــم في الإفصـــاح عن مكنونـــاتهم و إبراز

[1]- المرجع السابق نفسه، ص147.
[2]- المرجع نفسه ، م8، ق2 من ج4، ص264.
[3]- المرجع نفسه ، ص131.

مقدرتهم و براعتهـــم بوصف الأنـــواع البديعية، كل هذا ينم عن حب كبير للبديع، فهو...... : " فكـــان ولوعهـــم بالبديع و صنـــاعته تكـــأة كبيرة، أزكت بينهم عـــوامل المنافســـة الأدبيـــة و محاولـــة الإجادة"[1] .

هذا الولوع –كما أشرنا في البداية- ناتج عن نفس قلقة مضطربة لأساب عدة منها: عدم الاستقرار فهو نوع من التخفيف من المعاناة و آلام الوطن الجريح، و لقد تحدثنا عن ذلك سابقا، "فمعظم الشعراء الذين عرفوا بالبديع يوضح العلاقة القائمة بين إكثارهم من البديع و بين شخصياتهم القلقة المضطربة" [2].

فالعلاقة تبقى وطيدة بين حالة الشاعر و الرغبة في التأليف البديعي و بتحديد أدق حالة العصر ذاته الذي يشوبه الصراع و القلاقل، بدخول عناصر غريبة عن الأمة من أتراك و آخرين "لاجئين من المماليك أو الهاربين من فلول الإمارات الفارسية من وجه المغول" [3].

هو العصر الذي نشأت فيه البديعيات و ترعرعت بين أحضانـــه ، فكانت ترجمة لتلك التغييرات و الهزات في كيان الأمـــة و روح أبنائـــها ، إذ أصبحت الصورة باهتة و غريبة بالنسبة لهم ، تحكم أجنبي و أجناس مختلفة بعاداتها و تقاليدها و مفاهيم جديدة و مفروضة – إنه افتقـــاد للجانب الروحي ، من ثم تغدو الذات حقـــلا للصراعـــات و التناقضات ، فتنتج فنا جديدا على نحو صـــارخ، لكن " لا نعدم نمـــاذج كثيرة جيدة تسير على النماذج التقليدية في مختلف عصور الشعر منذ الجاهلية و حتى العصر العباسي، بل إن بعض الشعـــراء كانوا يعمدون إلى قصائد بعينها ذات شهـــرة فيحتذونها معارضين أو

---

[1]- المرجع السابق نفسه ، ص265.
[2]- عباس محمود العقاد، ابن الرومي(**حياته من شعره**)،ج1، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت (لبنان)، ط1 ، (ب،ت)، ص235.
[3]- د. محمد زغلول سلام، **الأدب في العصر المملوكي**، ج3، ص511.

مقلدين" [1].

إذ لاقت قصائد " اللامية " " لكعب بن زهير "إقبـــالا كبيرا من قبل الشعـــراء يعارضونها و يحتذون حذوها، فرغم الابتكار و التجديد في نمـــط اللغة الشعـــرية إلا أن " المزج بين التراث الشعــــري و الجديـــد المستحدث من السمات الواضحـــة لشعر العصر "[2].

فالتراث العربي الشعري تراث عريق، إذ يعبر عن المقوم الوطني المؤيد بالتاريخي و الاجتماعي و الثقافي، لذا فحضور تلك النصوص في الذاكرة يبقى ممتدا على مدى الزمن –على اختلافها- خاصة ذات البعد الديني العقائدي ،فمثلا قصائد كعب بن زهير و بالتحديد لاميته ،"لم تزل الشعراء من ذلك الوقت إلى الآن ينسجون على منوالها و يقتدون بأقوالها تبركا بمن أنشدت بين يديه، و نسب مدحها إليه" [3].

ما نود قوله أن المعارضة لقصائد المدح سواء كانت لامية كعب أو بردة البوصيري تقف في خط التناظر مع العاملان المذكوران آنفا، إذ يمكن إدراجه في نفس الكفة مع الجذور التي كانت الأساس في إنماء هذه الشجرة الباسقة المتفرعة الأغصان.

فالمعارضة باب يفتح آفاقا نحو التجديد، و الحوار و الجدل فهذا من شأنه أن يوسع دلالات النص، إذ يغدو نصا مفتوحا، و بالتالي تختلف الرؤى و يبقى النص واحدا، و تتشعب الأفكار و يحتدم الصراع ، ساعتها تنساب الصور انسيابا ، و يحاول كل طرف التفوق في تنويعها و تنميقها، فلا غرو في أن: "البلاغة القديمة ثمرة الجدل و المناظرة " [4].

إن هذه المناظرة جعلت الشعراء يتبارون في نسج قصائد على منوال معين مع إضفاء بعض من

---

[1]- المرجع السابق ، ص511، 512.
[2]- المرجع السابق نفسه، ص512.
[3]- د. زكي مبارك، **المدائح النبوية في الأدب العربي** ، ص28.
[4]- ايفور ارمسترونغ ريتشاردر، **فلسفة البلاغة**، ترجمة سعيد الغانمي، د. ناصر حلاوي، أفريقيا الشرق، بيروت (لبنان) ، 2002، ص32.

الجدة في النموذج أو القالب، و هذا ما حصل مع بردة البوصيري، خاصة –بالإضافة إلى لامية كعب و الكثير من القصائد– فقد انبهر بها العلماء و الشعراء إذ كانوا "مسوقين بالروح البوصيرية و لم يمض عصر إلا و البردة فيه طراز"[1] .

إنها الروح التي تجعلنا نرفرف و نحقق ذواتنا من خلال انصهار الأنا في الآخر في ظل الموروث و الآني و المستقبل، مرتكزا على فن الصدى بل و محتوى فيه ، و ما يثير الاهتمام أن البديعيات كانت جدولا من نهر صافي المنبع هو المدائح النبوية ، التي تتغنى و تترنم بطرب أصيل و لحن شجي يعزف على أوتار عود تتلمسه كل البشرية لتنال الشفاعة و الغفران و ترتاح نفسها.

و من خلال ما سبق تتضح لنا جليا الجذور التي أوجدت شجرة تفرعت فروعها و عبقت رياحينها في ثنايا الأدب و اللغة و أضفت رونقا عليها، و خففت آلام الروح ، فكانت بديلا عن واقع شابه الصمت و الانقطاع عن الكتابة، إذ إن تجربة البديعيات تأكيد لجدلية التناقض المستعصي داخل اللغة ذاتها، التي تكون عوامل الألم و الحزن دافعا إلى إثرائها ، فقد أفرزت وعيا لاشعوريا باستجابة الشعراء للمعارضة، كما أنتجت بنيات جديدة تنم عن إبداع يستحق الدراسة و النقد رغم الجفاء الذي لاقته من قبل النقاد.

و ما أحدثته البديعيات لا يمكن تجاهله أو التغافل عنه كما حدث في أدبنا ، حيث لم يمتط صهوة جوادها إلا القليل، فقد فتقت قرائح الشعراء و مكنتهم من التعبير عن ذاتيتهم المتسترة كبديل لواقع يشوبه الاضطراب.

غير أن هذا التأثير العميق و إن وضحنا جذوره في ظل خطين متناظرين ؛ تصدع العالم الإسلامي و روح المعارضة ، فإن له عوامل تتوسطهما ساعدت على بروزه و تطوره تتجلى في الجانب

---

[1]- د. زكي مبارك، **المدائح النبوية في الأدب العربي**، ص204.

الثقافي الاجتماعي ، إذ وجـــدت هذه الأخيرة استحسانـــا لدى جمهور العامـــة ، في الوقت الذي اشتغـــل فيه السلاطين بأمور بعيدة كل البعد عن اللغـــة العـــربية لعجمتهم و تشجيعهم كل ما هو عامي و بسيط فذاك المستوى من الرقي في اللغـــة لا يمكنهم الوصول إليـــه من ثم : " فإن حالة كهذه يصبح نصيب الفصيح فيها قليلا عند السلطات ستدفعـــه و لا ريب إلى طبقـــات الشعب مـــما يسمع و يفهم و يطرب لكـــل فصيح ، ليستطيع الظهور و الشهـــرة فيما بينهم، و ليضمن لأدبـــه سوقا رائجـــة و تـــجارة لا تبور"[1].

فغداة يقابل المبدع جفاء و نكرانا من قبل السلطة و ذوي القرار ، فإنه يبحث عن متلق إذ أن له "دورا كبيرا في تشكيل المعنى، فمعنى النص لا يتشكل بذاته قط، فلا بد من عمل القارئ في المادة النصية لينتج معنى"[2] .

من ثم كان التواصل بين شعراء البديعيات و عامة الناس، فهي "برزخ بين الشعر الرائع و النظم التأليفي" [3] ، فإنها أشبه ما تكون جسرا نحو لغة سحرية غارقة في الذات و جنونها، فاحتضنها عامة الناس، إذ هي تعبير عن الأنا – الآخر الذي هو الوعي الجمعي لظرف طارئ مستجد، مع تفاعلها مع عوامل الزمان و المكان فأخرجتها بحلتها المزركشة، و في هذا يقول "جي أفرت": " إن الافتراض الأساس أن كل نص يعتبر مكونا من مكونات سياق ظرف معين" [4] .

فالبديعيات تعد فنا جديدا، انبثق من تفاعل مجموعة قضايا أو عوامل بالتحديد، فهي لم تأت هكذا على حين غرة، بل إن "لها جذورا عميقة تتصل بالمجتمع و ما يعتمل فيه من حياة و ما يضج في

---

[1]- د.علي أبو زيد، **البديعيات في الأدب العربي (نشأتها ، تطورها ، أثرها)** ، ص39.
[2]- د. سامي إسماعيل، **جماليات التلقي (دراسة في نظرية التلقي عند هانز روبرت ياوس و فولفجانج ايزر)**،القاهرة(مصر) ، ط1، 2002،ص10.
[3]- د.علي أبو زيد، **البديعيات في الأدب العربي (نشأتها ، تطورها ، أثرها)** ، ص51.
[4]- جون لاينز، **اللغة و المعنى و السياق** ، ترجمة د. عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة،العراق، ط1، 1987، ص215.

مناحيه من أفكار و فلسفات"[1] ، لكنها أثارت الكثير من الاختلاف و الجدل.

وشائجهـــا

إن الحديث عن هذا الفن يبقى ذا شجون، فبعد أن عرفنا الجذور التي أنمت زنبقة عطرت بعبقها حديقة الأدب و زينتها، فيا ترى مما استمدت هذا البهاء؟ و هاته الألوان القرمزية، كانت خليطا من أي الألوان؟

هذا الخلق الفني – القصائد البديعية– لم تظهر بهذه الصورة محض صدفة بل تولدت من عوامل و واقع متميز بمعطيات شتى، فغدت له الصدارة و البقاء، و شج كل ما كان قبله فأكيد أن هذا الفن له علائق بروافد شتى كما أن الذين تطرقوا لهذا الموضوع لم يصلوا إلى حد فاصل بشأن أصوله.

حيث إن "زكي مبارك" يعتبرها متفرعة عن المدائح النبوية و "لخضر عيكوس" يعتبر الرغبة في التأليف البلاغي و البديعي، و كذا هاجس محبة الرسول (ص) كانت دافعا لمثل هذا الصبغ البديعي.

على كل فالأمر يبقى محل جدل و نقاش مستمر غير أن هذا لا يعني عدم الدقة أو معرفة طبيعة العلاقة بين هذا الجدول الزمردي – البديعيات– و الأنهار اللازوردية فالوشائج و التداخل و الترابط يبدو واضحا في ظل الاشتراك في مبادئ موحدة، فالبديعيات رغم جدتها لا تنكر استجابتها لمؤثرات ثقافية

---

[1]- د. رجاء عيد، **المذهب البديعي في الشعر و النقد**،منشأة المعارف الإسكندرية ، القاهرة (مصر)، (د ، ط) ، (ب ، ت)، ص05.

أظهرتها بهذه الصورة فلا غرو "فالثقافة بمعناها الأعم و الأفسح ذات وشائج بحسبانها نسقا من المنظومة الفكرية و التي تنبثق من كينونتها صور الإبداع لمختلف الفنون القولية"[1].

هذه الوشائج تعد نسقا من المنظومة الفكرية و الأدبية السائدة آنذاك، فظهر ذلك الزخم البديعي كنتيجة حتمية لذاك التواصل بين هذه الفنون الأدبية أو الاتجاهات: المديح النبوي، البردة للبوصيري، الصوفية، المولديات، البديع.....، إذ تختلف المشارب لكنها في أغلبها تصب في بوتقة واحدة، فالبديعيات استقت من ممالك مجاورة و أطراف مختلفة و كونت لنفسها هوية متميزة متفردة، فأعطت بذلك روحا جديدة للأدب و بخاصة الشعر و بذلك: "تعكف اللغة على خلق وشائج تناسقية، تستبطن دائرة الكون الشعري ذي الطابع الفريد و المتميز.." [2].

و هذا ما سنحاول توضيحه في ظل العلاقة و الوشيجة بداية بالمدائح.

---

[1]- د. رجاء عيد، **القول الشعري (منظورات معاصرة)**، منشأة المعارف الإسكندرية ، القاهرة ،(د،ط)،(ب،ت)، ص21.
[2]- المرجع السابق نفسه ، ص21.

أ- البديعيات و المدائح النبوية

إن التصدع الذي حدث في العالم العربي مع بداية القرن الرابع و الخامس الهجري نتج عنه انعكاف روحي، و تقهقر نحو الداخل، فقد ضاقت سبل الحياة بالشاعر و لم يجد متنفسا إلا في لغته، من ثم كان مدح الرسول صلى الله عليه و سلم - باعتباره موصول الحياة- المهرب و الملجأ، إذ تجلى كل ذلك التناقض في وشاح بديعي يعبر به عن الاضطراب و القلق فجاءت العلائق متداخلة.

و إن كان هناك من يعتقد أن "صفي الدين الحلي" أول من أنشأ فن البديعيات ، فلم يكن ذلك إلا في هذا الإطار، فهو يعترف بأنه يود أن يؤلف كتابات في البديع، ثم غير رأيه نتيجة علة، و في نصه ما يدل على ذلك: "فعرضت لي علة طالت مدهّا و امتدت شدهّا، و اتفق لي أني رأيت في المنام رسالة من النبي عليه السلام تتقاضني المدح، و تدني البرء من الأسقام، فعدلت عن الكتاب إلى نظم قصيدة تجمع أشتات البديع و تتطرز بمدح مجده الرفيع... " [1].

يمكن أن نقول و نجزم بوجود تلازم بين البديعيات و المدائح النبوية، فالاتجاه واحد و الحلقات متصلة لا يمكن الفصم بينها، و كل يقتبس نورانيته من الآخر، إذ يغدو التلاحم وهجا شعريا براقا، و يصير الشعر متلألئا بتلك الصبغة الدينية ذات المعاني السامية و الراقية، حيث إن المدائح النبوية "لون من التعبير عن العواطف الدينية، و باب من الأدب الرفيع "[2].

إنه الأدب ذاته الذي يضفي بظلاله جمالية بلاغية على النص الشعري، فيؤول إلى حقل دلالات تتضافر معانيها في شكل بديعي مطرز، حيث إن البديعيات اتسمت بتلك الحلة البديعية لكن معبقة بروح دينية، هاته الأخيرة كانت دعوة خالصة للوحدة تحت راية دين واحد، لا يفرق بين أبيض و أسود- بظهور

---

[1]- صفي الدين الحلي، **شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة و محاسن البديع**، تحقيق نسيب شاوي، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،ص19 ،20.
[2]- د. زكي مبارك، **المدائح النبوية في الأدب العربي**، ص17.

النبي صلى الله عليه و سلم- و منقذ للبشرية و رحمة لهم، فتضاربت الآراء بين مصدق و مكذب و انبرى الشعراء يدافعون و يهاجمون: " فقد امتدحوا خصال النبي و شمائله، و كان مديحهم أشبه بمديح الأجواد و الكرماء من رؤساء القبائل، ليس فيه ذكر للدين و التقوى و الأخلاق"[1].

جاء الشعر مدافعا عن العقيدة و ممثلا لها، ثم تطور و توالت القصائد "فقد كان النبي صلى الله عليه و سلم يمدح كما يمدح الرؤساء المسيطرون في شعر الأعشى و كعب بن زهير، و مدح بشيء من روح العطف و الحنان في شعر حسان، و مدح تدينا في خطب علي بن أبي طالب، و درج الشعراء بعد ذلك على الجمع بين مدحه و مدح آل البيت، فقد بلغ هذا الفن أشده في القرن الرابع" [2].

إن الرسول صلى الله عليه و سلم -كان رمزا منذ القديم و نبراسا يستضاء به- هو الكيان الروحي لكل الأمة الإسلامية حيث "ظل الشعراء في كل عصر يفعلون كما فعل حسان بن ثابت، حتى جاء القرن السابع للهجرة، فوضع محمد بن سعيد البوصيري قصيدته الهمزية الشهيرة التي زادت على أربعمائة بيت"[3] ، إذ حشد فيها سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، و معجزاته و صفاته، و وصف الليلة العظيمة التي ولد فيها، هاته القصيدة كان لها أثرها العميق في الأدب و مفعول السحر، إذ سلبت العقول و أسرت النفوس، مما ولد حبا إلهيا عن طريق حب الرسول (ص)، و من ثم قصائد أغنت المكتبة العربية و أثارت ضجة كبيرة و أحيت الأدب.

فالمدائح النبوية أرست دعائم فن شائق ، فلا شك في أن البديعيات اقتبست وهجها و لمعانها منها، فإن بدت بحلة جميلة من الألوان البديعية، فإنها تبقى جامدة ما لم تمدها المدحة النبوية بما فيها من عاطفة نبيلة، و أشواق روحية و ذكريات ماض أثيل و زاهر، و ما يؤكد ذلك قول "الخليل إبراهيم

---

[1]- إميل ناصيف، **أروع ما قيل في المديح**، دار الجيل، بيروت (لبنان)، ط1، 1992، ص24.
[2]- د. زكي مبارك، **المدائح النبوية في الأدب العربي**، ص57.
[3]- اميل ناصيف، **أروع ما قيل في المديح**، ص24.

أبو ذياب": " البديعيات تأتي في مديح الرسول صلى الله عليه و سلم و عترته الطيبين " [1].

يبقى الموضوع واحدا في كل من البديعيات و المدائح، و لو اختلفت طريقة التعبير بشكل أو بآخر – من ناحية الزخرفة اللفظية خاصة– ، فإن كان في المدائح النبوية نوع من الاعتزاز و الافتخار بل "إعجابا بالفضيلة و ثناء على صاحبها، و اهتزازا أمام النبل و الأريحية، و إكبارا للمروءة و الشجاعة"[2]، ثم غدا فيما بعد تعبيرا عن العواطف الدينية، و نوعا من التقرب إلى الله بنشر محاسن الدين و الثناء على شمائل الرسول صلى الله عليه و سلم، في حين أن البديعيات كانت حاجة نفسية، نوع من الحنين لأيام الازدهار، الأمن و الاستقرار تحت راية الدين الإسلامي، تعبير عما عاشه الإنسان العربي في ظل معاول الهدم و الغزو، من ثم لم يجد سبيلا إلا الوقوف أمام قبر الرسول صلى الله عليه و سلم و التضرع بين يديه فهو إلحاح للعودة إلى أصل الينبوع من خلال "زعزعة الأصول لعلها تنبه الفروع اللاهية بتروات عارضة" [3].

و كأن هناك تبادلا معرفيا أو بالأحرى تراكما فكريا، يعبر عنه في قوالب مختلفة، فالبديعيات و المدائح تتلاقى في تعابيرها عن مأزق الذات و تفاعلاتها من خلال اللجوء إلى رمز الرقي و السمو، منبع الروح الإسلامية– الرسول صلى الله عليه و سلم – ، و تتناغم الأفكار و تتلاحم، فالمدائح ذاتها "من فنون الشعر التي أذاعها التصوف" [4]، و تصير الحلقات متشابكة بين تصدع العالم الإسلامي و بحث الإنسان العربي عن بر أمان، و انعكافه على نفسه، من ثم كان التصوف كرد فعل قوي.

---

[1]- د. خليل إبراهيم ذياب، **الصورة الاستدارية في الشعر العربي**، دار عمار للنشر و التوزيع ، عمان (الأردن)، ط1، 1999، ص28.

[2]- اميل ناصيف، **أروع ما قيل في المديح**، ص11.

[3]- د.عبد الله حمادي، **دراسات في الأدب المغربي القديم**، ص214.

[4]- د. زكي مبارك، **المدائح النبوية في الأدب العربي القديم**، ص17.

ب– التصوف و البديعيات

في ظل كل هذا يمكن أن نقول أن التصوف و هو من العلوم الحادثة في الحياة الإسلامية ذو وشائج مع البديعيات، و نستدل على ذلك بما قاله : "سليمان حمودة" في كتابه "البلاغة العربية": " إن نمو و ازدهار مثل هذه البديعيات جاء ثمرة طبيعية لنمو و ازدهار التصوف الإسلامي فكرا و سلوكا في القرن السابع ، نتيجة الظروف المؤلمة التي مرت بالمسلمين طوال القرنين السادس و السابع الهجريين من حملات أعداء المسلمين من التتار و الصليبيين على قلب العالم العربي و الإسلامي" [1].

فالتداخل واضح رغم الاختلاف في الشكل، لكن المعاني ذاتها، إذ نجد في البديعيات بعض مصطلحات الصوفية مثل: "التجريد، الالتفات، التسليم، تجاهل العارف، الطرد...." إلى غير ذلك.

و لعل مرجع ذلك، تشابه العوامل التي أنشأت كليهما، ففي صدر الإسلام "لم يكن في حاجة إلى أن تنشأ هذه الظاهرة، فالمسلمون جميعا أهل تقوى و زهد و عكوف على الطاعات منقطعين لله تعالى"[2].

ثم تطور الأمر مع بداية القرن الثاني مع إقبال الناس على الدنيا، و أصبح التصوف بمعنى التقشف و الزهد و لبس الصوف، لكن مع بداية الانفتاح على التيارات و الثقافات الأجنبية من هندية و فارسية بدأ الانحراف، إذ برزت ظاهرة "التصوف كتيار ديني منحرف في التناول الفكري و ممارسة العقيدة داخل المجتمع الإسلامي بعد مرحلة القرنين الثالث و الرابع الهجريين"[3] حيث ازدهر العمل الصوفي تحت تأثير الدس الشعوبي، و لكن ما نريد قوله أن ما ساهم في ازدهاره هو التصدع الذي أصاب العالم الإسلامي، و انغماس المسلمين في الشهوات و الملذات، ثم إن البيئة الإسلامية حدثت فيها تغييرات و برزت مذاهب، و تشكلت رؤى جديدة أحدثت شرخا في الحياة العربية، فظاهرة التصوف مثلا و التي تعد غريبة عن الأصول

[1]- د. سليمان حمودة، **البلاغة العربية**، ص331.
[2]- د. صابر طعيمة، **الصوفية معتقدا و مسلكا**، عالم الكتب، الرياض (السعودية) ، ط2، 1985، ص27.
[3]- المرجع نفسه ،ص32.

الإسلامية " أحدثت سلبيات و انحرافات في السلوك، أدت لظهور أجيال بعد ذلك في المجتمع الإسلامي، و هي معزولة تماما عن ثقافة دينها و عن العمل بأحكام كتاب ربها، و من هنا لم تستطع الصمود أمام غزو الأفكار الوافدة، و ما استتبعها بعد ذلك من غزو معظم ديار المسلمين"[1].

فالضعف و الخور أصاب كيان الأمة العربية بابتعادهم عن الدين، و جعلهم صيدا سهلا و وفيرا لباقي الأمم، إذ تزامن غزو الأفكار مع غزو الديار فكانت النتيجة إحباطا و يأسا، و انكسارا روحيا تولد عنه اضطراب و قلق و تقوقع و تراجع نحو الخلف، فجاءت بذلك محاولة التنفيس عن الذات المقهورة و "الحاجة إلى يد تمتد له فكان التوسل بصفي هذه الأمة" [2].

إنه نوع من الهروب نحو الذات الأخرى التي تجسد المثل العليا، سواء في الصوفية أو البديعيات فهاته الأخيرة عبرت عن ذلك التغير و الانهزام في صورة بديعية، لكنها تحمل في طياتها رموزا و إشارات – غير مباشرة – سياقية لهذا التمزق، فإن انعكف الصوفي على نفسه إقبالا على الله، فقد ابتعد عن الدين بشططه و تعدد طرائقه و مذاهبه، لكن نلاحظ الاتفاق حول بعض المصطلحات و الرموز التي تصب في بوتقة واحدة، و هو اللاوعي الجمعي و محاولة استحضار الثابت الغائب.

في خضم هذه المشاعر و ما عايشه العرب من ظلم و استبداد: "نما أدب المتصوفة و شهد القـــرن السابع أعظم أئمة هذا التصوف، أبا الحسن الشاذلي، أحمد البدوي، و البوصيري صاحب البردة، و قد كان لهؤلاء جميعا مشاركة قوية في نهضة الأدب في عصرهم و الارتقاء به، و انتشاله مما وقـــع فيه من مظـــاهر الانحطاط"[3].

توالت الأحداث و تشابكت، فكانت النتائج سلبية لكن تزامن ذلك مع وجود إيجابيات –كما

---

[1]- د. صابر طعيمة، **الصوفية معتقدا و مسلكا**، ص32.
[2]- د. عبد الله حمادي، **دراسات في الأدب المغربي القديم**، ص274.
[3]- د. سليمان حمودة ، **البلاغة العربية** ، ص331.

رأينا سابقا– فالبوصيري يعد أحد الأقطاب البارزة للتصوف، و معارضة قصيدته أنتجت ذلك الفن الرائع –البديعيات– مما يؤكد العلاقة الوطيدة و الوشيجة بين التصوف و البديعيات، فلقد جاءت "المدائح النبوية و شعر التصوف ارتقاء بأغراض الشعر و أهدافه، و تركت بالتالي أثارها على شعراء القرن الثامن، فكان شعر البديعيات شعرا تهيأ له كل ما للشعر من خصائص الفن و أربى عليه بغايته التعليمية، و ذلك طور رائع من أطوار الرقي بهذا الدرس "البديع" "[1].

مما يعني أن شعر المتصوفة و المدائح كانت البذرة التي هيأت لنمو هذا الفن فلا ريب في ذلك، إذ إن شعر التصوف "شعر روحي ميتافيزقي وجداني تكسب فيه اللغة أبعادا و إيحاءات و دلالات رمزية تتجاوز دلالاتها في غيره من أنماط الشعر الأخرى"[2].

و هذا ما نجده في البديعيات من خلال تلك القيود الشكلية التي تنبئ عن أبعاد أخرى، فتعمق التناقض الطبقي و التسلط الأجنبي في المجتمع، فهي عوامل جعلت الشاعر يتخلى عن التعبير الحر المنطلق وكل ذلك تجلى في لغة مزركشة و موشاة بألفاظ بديعية، إذ تعد قصائد البديعيات"الأيقونة الأساسية التي يحقق بها الشاعر تواصله الفني مع المتلقي من جهة و تفرده و تأكيد تميزه بوصفه ذاتا مبعدة من جهة أخرى"[3].

في المقابل نجد أن البردة للبوصيري و التي قيل في شأنها الكثير فهي من أحسن القصائد في مدح الرسول (ص) و من عيون الشعر العربي، كما أنها مقتبسة من أشعار الصوفية إذ يقول "زكي مبارك" في ذلك أن "البوصيري استأنس عند نظمها بميمية ابن الفارض و دليل ذلك تشابه المطلعين، فإن مطلع قصيدة ابن الفارض و الملقب "بسلطان العاشقين" :

---

[1]- المرجع السابق نفسه ، ص331.
[2]- رمضان صادق، **شعر عمر بن الفارض (دراسة أسلوبية)** ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ،(د،ط) ، 1998، ص7.
[3]- المرجع نفسه ، ص9.

هَلْ نَارُ لَيْلَى بَدَتْ لَيْلًا بِذِي سَلَمِ* أَمْ بَارِقٌ لاحَ فِي الزَّوْرَاءِ* فَالعَلَمِ*"[1]

و مطلع قصيدة البوصيري:

" أَمِنْ تَذَّكُـــرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَـــــمِ مَزَجَتْ دَمْعًـــا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِـــدَمِ

أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاظِمَـــةٍ* وَ أَوْمَضَ البَرْقُ فِي الظَّلْمَاءِ مِنْ إِضَمِ*"[2]

فقد اشترك المطلعان في ذكر: ذوسلم، ايماض البرق، مع اشتراكهما في وزن و قافية واحدة و هكذا يتوالى التناغم و التناسق بينهما، إذ يتابع البوصيري ابن الفارض في قوله:

" يَا لَائِمًا لاَمَنِي فِي حُبِّهِمْ سَفَهًا كُفَّ المَلَامَ فَلَوْ أَحْبَبْتَ لَمْ تَلُـــمِ "[3]

يقول البوصيري:

" يَا لَائِمِي فِي الهَوَى العُذْرِيِّ مَعْذِرَةً مِنِّي إِلَيْكَ وَ لَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلُمِ "[4]

ما ينبغي ملاحظته التشابه الواضح بين البيتين معنى و نظما ، مما يؤكد أن هذا التناغم الوجداني منبعه واحد، " فتلك الفتن الداخلية المؤلمة فضلا عن الغزو الخارجي الشرس، أزكت في نفوس كثير من المسلمين مشاعر احتقار الدنيا و اليأس منها و الزهد فيها و الاتجاه إلى الله، كما ألهبت في قلوبهم الشعور بالحزن و الميل عن الناس و هذه كلها أمور لا تبتعد كثيرا عن التصوف"[5].

إذن تبقى العلائق متضافرة في حلقات دائرية مغلقة، ففي الأدب تتوارد الأفكار و تتلاقح و تنتج

---

[1]- د. زكي مبارك، **المدائح النبوية في الأدب العربي** ، ص 183، 184.
*- سلم : اسم مكان بالمدينة المنورة.
*- دجلة بغداد.
*- علم : جبل فرد شرقي الحاجر يقال له " أبان " فيه نخل و واد.
[2]- المرجع نفسه، ص 183، 184.
*- اسم مكان.
*- اسم جبل.
[3]- المرجع نفسه، ص 183، 184.
[4]- المرجع السابق، ص185.
[5]- رمضان صادق، **شعر عمر بن الفارض(دراسة أسلوبية)** ، ص15.

فنا جديدا من رحم المعاناة، فلا يمكننا الجزم بأن ميمية ابن الفارض هي الدافع أو القالب لبردة البوصيري، إذ يقول "عبده عبد العزيز قليقلة" ، "كل ما هنالك أنه كان يحفظ أو يذكر ميمية ابن الفارض و لعله كان معجبا بها فجرى في بردته على منوالها وزنا و قافية و مدحة نبوية شافية"[1].

على كل يبقى التواشج سمة الفنون الأدبية و عاملا من عوامل ازدهارها و تقدمها، فكلما كانت التجارب قاسية و مؤلمة، كان الإبداع الشعري أروع و أصدق، و أكثر تعبيرا عن عمق المأساة، من ثم يصبح مدارا لكل الاتجاهات و الأفكار التي تتلاشى و تتمركز حول هدف واحد.

[1]- د. عبده عبد العزيز قليقلة، **خط سير الأدب العربي**، دار الفكر العربي، القاهرة (مصر)، ط2، 1990، ص452.

ج- البديعـــــيــات و الـــبردة

إن قصيدة البردة تعد نقطة تحول في تاريخ أدب عصور الانحطاط، كما أنها درة الدرر في قصائد المدح النبوي، و إن قيل حولها الكثير فهي واسطة بين العبد و ربه من خلال الوقوف أمام قبر الرسول صلى الله عليه و سلم و استذكار سيرته ، فهي " أولا : قصيدة جيدة، و هي ثانيا : أسير قصيدة في هذا الباب – المدائح النبوية- ، و هي ثالثا : مصدر الوحي لكثير من القصائد التي أنشئت بعد البوصيري في مدح الرسول (ص) "[1].

ما يهمنا في هذا كونها مصدر الهام روحي للشعراء، فقد كان لها أثر عميق عمق ما نتج عن معارضتها، إذ قام صفي الدين الحلي* الشاعر المشهور ، بنسج قصيدة مطولة على منوالها، إذ له في مدح الرسول صلى الله عليه و سلم القصائد الطوال التي تبرر ندمه، و قد تأثر شعره الديني بالمعاني التي جاءت في قصائد معاصره الصوفي البوصيري* ، و خاصة المعروفة بالبردة "فقد اجتنى منها الحلي ما طاب له من الجني و سخر مواهبه و خبرته في ميدان القريض لمحاكاتها و النسج على منوالها، فصاغ قصيدته البديعية التي بلغت مئة و خمسا و أربعين بيتا، اقتفى فيها أثر معلمه و تعمد أن يكون في كل بيت منها نوع من أنواع البديع "[2]. فبعد أن نظم صفي الدين القصيدة مشبعة بروح دينية، عرضت له علة –كما أشرنا إلى ذلك سابقا-، فمن المعقول أن يستحضر هذه القصيدة و ينسج على منوالها، ليتحقق له الشفاء و البرء من المرض، حيث اجتمعت الموهبة و الشاعرية، و كذا التأليف البلاغي ،فكان التتويج بقصيدة ذات طابع مختلف .

فهي مفارقة تجلى عنها وهج شعري جديد، إذ جمع بين المديح النبوي و علم البلاغة العربية بفنونها الثلاثة "المعاني، البيان و البديع" و سمى قصيدته "الكافية البديعية في المدائح النبوية"، هذا إن اعتبرنا

---

[1]- د. زكي مبارك ، **المدائح النبوية في الأدب العربي**، ص 171.
*- ولد بالحلة بالعراق – سنة 677 هـ – توفي ببغداد 750 هـ أو 752 هـ .
*- (601 هـ - 695 هـ) .
[2]- رابح بوحوش، **البنية اللغوية لبردة البوصيري**، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، 1993، ص8-9.

صفي الدين المبدع لفن البديعيات في مرحة أولى، فالعنوان له دلالته و يحيلنا إلى شئ جديد مبتدع، ما نود قوله أن البردة كانت محط اهتمام الشعراء، و موردا خصبا، فقد قلدت و أخذ الشعراء ينسجون على منوالها، في بحرها و قافيتها و أغراضها و نزعتها في المديح، فنشأ عندنا و في أدبنا ما يسمى البديعيات.

غير أنها تختلف عن البردة في كون " الغرض الأول و الرئيسي من نظمها هو أن يتضمن كل بيت من أبياتها نوعا بديعيا واحدا على الأقل، مع الإشارة أحيانا في البيت إلى اسم النوع الذي يتضمنه، بلفظ عن طريق التورية، و قد يشار إلى اسم النوع دون إيراد مثل له في البيت"[1] ، من ذلك نجد أن التواشج و الانفصام في نفس الوقت واحد، فالبديعيات ولدت من رحم البردة، ثم حاولت الانفلات و التميز و التفرد، من خلال إضفاء صبغة بديعية فذة، رغم ذلك فالمد الروحي المشفوع بسيرة الرسول صلى الله عليه و سلم، و الوقوف أمام قبر يرمز للخلود و الأمان و السمو من خلال فن أدبي بسيط ألا وهو المدح يجعل الأمر مبهرا ، بالتعبير عنه في قالب لفظي يأسر النفوس و يخلب الألباب، فيستمر السحر و المدح على هذا المنوال أي "مدح نبوي بالبديع – في بديعيات ابن جابر الأندلسي*، و عزالدين الموصلي*، و ابن حجة الحموي*، و ابن المقري، و جلال الدين السيوطي*، و السيدة الباعونية* "[2] ، فالبردة كانت ذخرا للغة العربية فقد تفتحت ورود الأدب العربي بعد أن كانت ذابلة تنتظر من يزيح عنها هذا العطش الروحي، فقد أحيت الأدب بعد أن عاش الجمود، حيث أسست فنا جديدا ذا شجون، إذ هو انتقال من النسق المعرفي إلى النسق الشعري، و مما ساعد على ذلك بروز غرض شعري جديد "نظم حقائق العلوم" ، لكن

---

[1]- د. محمود رزق سليم، **عصر سلاطين المماليك و نتاجه العلمي و الأدبي**، م8، ط1، 1965، ص179.

*- ابن جابر الأندلسي: محمد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسي الضرير توفي سنة 780هـ ، قرأ القرآن و النحو و الحديث على شيوخ عصره، له بديعية على قافية الميم من بحر البسيط سماها" الحلة السيرا في مدح خير الورى"، نظمها على طريقة بديعية صفي الدين الحلي.

*- عز الدين الموصلي :عز الدين علي بن الحسين الموصلي الشاعر المشهور ، برع في النظم ،و جمع ديوان سفره في مجلد واحد ، له قصيدة نبوية في مائة و خمسة أربعين بيتا، توفي سنة 789 هـ.

*- ابن حجة الحموي : هو تقي الدين أبو بكر بن الحجة ، كان إماما عارفا بفنون الأدب متقدما فيه ،توفي سنة 837 هـ.

*- السيوطي: هو جلال الدين عبد الرحمان بن الكمال الخضيري الأسيوطي،له بديعية سماها " نظم البديع في مدح خير شفيع "،توفي سنة 911 هـ.

*- الباعونية:عائشة بنت يوسف بن أحمد بن نصر الباعوني، هي شاعرة لها في مدح الرسول بديعية من مائة و ثلاثين بيتا، توفيت سنة 922 هـ.

[2]- د. عبده عبد العزيز قليقلة، **خط سير الأدب العربي**، ص459.

هذا الأخير لم تكن بداياته عند العرب، بل كانت إرهاصاته الأولى لدى الهنود، فكما يقول "محمد مصطفى أبو شوارب" في كتابه "البديع في علم البديع " ليحيى بن معطي": "ربما كان الهنود من أقدم الذين شغفوا بالنظم العلمي ، و بلغت عنايتهم له أن تخيروا له أوزانا خاصة تمتاز بسهولتها و سرعة حفظها، و هو ما يشير إليه البيروني قائلا: "و كتبهم في العلوم –مع ذلك– منظومة بأنواع من الوزن في ذوقهم" [1] ، و لم يقتصر الاهتمام و الشغف بالنظم عند الهنود ، بل نجد في المقابل اليونانيين مولعين به أيضا، و خاصة الشعر، فكانت البداية في "القرن الثامن الهجري على يد مجموعة من الشعراء، نظموا بعض الأحكام و الأمثال و اهتموا بسرد الأنساب، و وضع التقاويم الدينية....." [2].

ثم توالى الشعر التعليمي إلى أن وصل إلى صورته الناضجة على يد "هسيودوس" إذ مثلت قصيدتاه "الأعمال و الأيام" و "أنساب الآلهة" حجر الأساس و القاعدة التي انطلق منها هذا الفن" [3]، و تطور إلى أن وصل إلى قمة الإبداع فيه سواء من حيث الشكل أو المضمون، و لقد كتب الرومانيون فيها الكثير من أمثال آراتوس*،و لوكريتيوس*،و فرجيليوس*الشاعر اللاتيني العظيم الذي بلغت قصيدته "الزراعيات" صورة من صور الكمال في اللغة و البنية الشعرية"[4].

و نصل إلى الفرس فإن لهم شأنا ليس بالعظيم قبل الإسلام في ميدان النظم التعليمي، إذ نجد مجموعة من الأدعية و الأشعار الأخلاقية التي تعرف باسم "الكاتا"، أو الأغاني المقدمة و هي منظومة بلغة من أقدم اللغات الفارسية.

كانت إشارات إلى أن هذا اللون الأدبي قديم قدم فنون الأدب، لأهميته و علاقته بموضوع الدراسة

---

[1]- د. مصطفى أبو شوارب، **البديع في علم البديع**، ص28.
[2]- المرجع نفسه ، ص28.
[3]- المرجع نفسه ، ص28.
*- ت 315 ق.م.
*- (99 ق.م-55 ق.م).
*- (75 ق.م-19 ق.م).
[4]- المرجع السابق نفسه ، ص28.

– البديعيات– فالشعر التعليمي وجد ميلا غريزيا لدى الشعوب منذ العصور الغابرة ، كما أنه دعوة بطريقة أو بأخرى لتخليد نتاج الأمة العلمي، و ضمان بقائه في الأذهان، كذلك كان لهذه المنظومات التعليمية مكانتها في التراث العربي، و صداها و بعدها العلمي و النفسي.

هو ذاته الفن الذي لاقى استجابة كبيرة في عصر المماليك، و أقبل الشعراء ينظمون الحقائق العلمية و يصبونها في قوالب شعرية "فحبكوا مسائلها و قيدوا شواردها و قهروا حقائقها، على أن تجتمع و تكتنــز و تتركز في بيوت من الشعر تسكن فيها فتعيش أبدا"[1].

و هكذا فقد اتجه الشعراء إلى نظم حقائق النحو و الصرف و القراءات و التاريخ و العروض و القافية في قصائد تطول و لقد كان "العصر المملوكي عصرا ذهبيا لهذا الضرب من النظم" [2]، و هكذا رسخت هذه الطريقة و تطورت إلى أن وصلت إلى تشكيل ذي جدة لا متناهية، و مضمون راق و متفرد في مشاعره الطاغية على كل نفس بشرية، فجانب النظم ولد رافدا جديدا لا ينضب، و جدلا مثيرا لا ينتهي و ثروة لغوية هائلة، شكلت نموذجا لأدب حقبة زمنية معينة، و جسدت قيم أمة بأسرها، و كان للألوان البديعية و ما فيها من مبالغة صدى عميق في النفوس.

[1]- د.محمود رزق سليم، **عصر سلاطين المماليك و نتاجه الأدبي**، ص158.
[2]- المرجع نفسه ، ص159.

د- البديعيـــــــات و المولديـــــات

إن الحديث يبقى ذو شجون فلقد رأينا سابقا، ذلك التداخل و التواشج و تعدد وجهات النظر، رغم الاشتراك في الكثير من المقاييس و المعايير و الاختلاف في أدوات التعبير، لكنها في النهاية تتشابك و تحيلنا إلى حقل واحد في المدائح النبوية ، و البردة ، و الصوفية ، كل فن منها وجه لجماليات التعبير الأدبي ، و من ثم سنتحدث عن شق آخر يعد محورا مقابلا لكل الفنون السابقة، التي يمكن أن نفصل فيها في ظل تلاحمها و تقاربها، إذ المولديات ترتبط من قريب أو بعيد في جوهر موضوعها بالمدائح النبوية، فالمضمون واحد و الهدف سام.

إنها فن شعري انبثق في خضم تغيرات طارئة على الحياة الإسلامية، إذ غاب إمام الدنيا و سراجها المنير، لكنه حاضر حضورا فطريا في الأذهان فخاطبوه كما الأحياء و أثنوا عليه أيما ثناء فما قيل في الرسول (ص) بعد وفاته يعد من قبيل المدائح، "و ما يقال بعد الوفاة يسمى رثاء ، و لكنه في الرسول (ص) يسمى مدحا"[1] ، إذ نجد اتجاه أغلب الشعراء لهذا المدح ، كما فعل " مؤلفو الموالد و ناظمو البديعيات و كلهم أيضا يمدح الرسول (ص) بنفس المعاني، من الاهتمام بطهارة نسبه مثلا و وصف جماله و زهده في الدنيا و الاستمتاع بإعادة سرد لمعجزاته، و غزواته، و حسن شمائله، و الدعاء بجاهه" [2] ، و في ذلك اختلاف ، حيث إن المولديات كانت استجابة لمراسيم الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، إذ " الدافع الأول للالتفات إلى مولد الرسول صلى الله عليه و سلم كان مبعثه هذه الخيبة الملفوفة في ثوب الهزيمة"[3].

فنبي الأمة قد أرسى دعائم حضارة إسلامية قوية، لم تضاهيها أي حضارة، كان إشعاعا و منبعا للمد الروحي و الفكري، و حين غابت القيم و المبادئ الإسلامية بدأ التصدع و الانهيار،" فلم يشعر

---

[1]- د. زكي مبارك، **المدائح النبوية في الأدب العربي** ، ص17.
[2]- حورية رواق، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، رسالة ماجستير ، قسنطينة (الجزائر)،2002-2003، ص29، 30.
[3]- د. عبد الله حمادي، **دراسات في الأدب العربي القديم**، ص213.

المسلمون و هم يجابهون مفاجآت القرن السادس ، إلا بأشلاء الجسد الإسلامي الممدد ، و هو يتمزق بين ناهشيه في مختلف المشارب و الاتجاهات، أما المغرب الإسلامي فقد كانت الأطماع و الحزازات الهامشية، كانت بداية عهد الطائفية و الشوفنية الضيقة في ربوع كربوع الأندلس و ما جاورها"[1].

ساعتها و في هذا الزمن بالذات، ظهر هاجس الالتفات للاحتفاء بالمولد ، و رغم الاختلاف بشأن أسبقية المشارقة أو المغاربة ، فإن "عبد الله حمادي" في كتابه "دراسات في الأدب المغربي القديم" يشير إلى أسبقية المغاربة في قوله: "فقد أجمعت معظم المصادر الموثوق بصحتها على أن أسرة آل العزف الحاكمين لمقاطعة سبتة المستقلة ، هم من يرجع لهم فضل التشريع و ذلك دون سابق عهد في المغرب الإسلامي ، و قد لقيت سنتهم الحميدة هذه من الرواج و الارتياح ما مكن لها في الأرض الإسلامية أشد التمكين إلى يومنا هذا "[2] ، و حديثنا هنا متعلق بالتشريع و التنظير للمولد النبوي الشريف ، و هو مختلف عن الإبداع.

فإن كانت الظروف السياسية التي عاشها المغرب العامل الرئيس لظهور مثل هذا الفن – المولديات– فهو أمر منطقي، فلكل فعل ردة فعل ، و النص يشكل موقفا و رؤية ، لكن "زكي مبارك" يخالفه الرأي حيث يعتبر "الاحتفال بالمولد النبوي نشأ في بلاد فارس، و أن أقدم ما وصلنا في تاريخ هذا الاحتفال هو ما أورده صاحب نفح الطيب عن ابن دحية و قد مر بأربل* و رأى مظهر الدين كوكبري معتنيا بعمل المولد النبوي في شهر ربيع الأول من كل عام، فصنف له كتابا سماه "التنوير في مولد السراج المنير" [3].

فلا شك في أن المسلمين اهتموا برصد سيرة الرسول صلى الله عليه و سلم منذ القديم ، سواء في المغرب أو بلاد فارس، لكننا نعتمد آراء "عبد الله حمادي" إذ أفاض في الموضوع كثيرا ، باعتماده على

---

[1]- المرجع السابق نفسه ، ص214.
[2]- المرجع نفسه ، ص221.
*- سنة(604 ه).
[3]- د. زكي مبارك، **المدائح النبوية في الأدب العربي** ، ص253.

"كتاب الرحلة" للفقيه و الأديب الشاعر " ابن عمار " ، حيث يعتبر أن أوليات الشعر المولدي كانت سابقة لدعوة العزفي من خلال إطلاعه عليه ، حيث احتوى نصوصا نادرة ، و تجلى ذلك في حديثه عن كتاب الفقيه الشيخ أبي عبد الله الرصاع* " تذكرة المحبين في شرح أسماء سيد المرسلين"، فمن ضمن ما ورد في نصوص الكتاب حول المولديات: " من أحسن ما قيل في ذلك اليوم العظيم و يدخر عنه نبي الله الكريم أبيات الشقراطيسي* في مدح خير البرية صلى الله عليه و سلم....... ثم يعلق قائلا: " و هي قصيدة طويلة للشيخ الفقيه العالم الصالح أبي عمر الشقراطيسي و هي من القصائد العظام البديعة النظام الرائعة المعاني، الوثيقة المباني هي من الطراز الأول، و عليها في هذا الباب المعول، مطلعها:

الحَمْدُ لِلَّهِ مِنَّا بَاعِثَ الرُّسُــــــــلِ   هُدَى بِأَحْمَدَ مِنَّا أَحْمَدُ السُّبُــــــــلِ

خَيْرُ البَرِّيَةِ مِنْ بَدْوٍ وَ مِنْ حَضَـــرِ   وَ أَكْرَمُ الخَلْقِ مِنْ حَافٍ وَ مُنْتَعِــــلِ

و هي قصيدة طويلة تقع في ثلاث و ثلاثين و مئة بيت " [1].

ما نود قوله في غاية الأهمية، فمن خلال إشارة "عبد الله حمادي" إلى الفارق الزمني الكبير بين تاريخ وفاة الشقراطيسي التوزري و تاريخ ميلاد العزف الأكبر بما يناهز القرن من الزمن–بالتحديد إحدى و تسعين سنة– ، يتضح لنا جلبا أن الشقراطيسي هو الأسبق في الاحتفاء بالمولد النبوي.

" و إذا كان من المؤرخين من يرجع تشريع سنة عيد الميلاد النبوي إلى السلطان إربل بالعراق ، فإنه أيضا من خلال تاريخ وفاته يتضح الفرق بالمقارنة حسب رأي صاحب الوفيات إذ يتجاوز القرن مـــن الزمن و بالتحديد مئة و عشرون سنة بعد وفاة الأديب التوزري"[2] ، إن هذا الفارق الزمني كفيـــل بتغـــيير

---

*- (ت894 هـ).

*- هو الشيخ الفقيه العالم الصالح البليغ المفلق ، أبومحمد عبد الله بن الشيخ الفقيه الصالح أبي زكريا يحي بن علي الشقراطيسي التُّوزري – و شقراطس قصر قديم من قصور قفصة – توفي رحمه الله في 08 ربيع الأول 466 هـ الموافق 1073 م / د.عبد الله حمادي ، دراسات في الأدب المغربي القديم ، ص 238.

1- د. عبد الله حمادي، **دراسات في الأدب المغربي**، ص237، 238.

2- حورية رواق، **بديعية مواهب البديع في علم البديع**، ص27.

وجهات النظر ، و تحديد الأسبقية، فالمغرب الإسلامي هو السباق إلى الاحتفاء بهذه الشرعة الجديدة.

و بشأن بلاد فارس التي اعتبرها "زكي مبارك" منطلقا للاحتفال، فإن شعراء الفرس اقتبسوا ثقافتهم من التراث العربي، في معظمها إن لم نقل كلها حيث "التأثيرات العربية في الشعر الفارسي ليست تأثيرات شكلية فحسب، بل هي تأثيرات من حيث المضمون أيضا، فكل من يقرأ الشعر الفارسي لا بد إن يجد فيه كثيرا من الأفكار و الصور و التشبيهات المقتبسة من الشعر العربي، فقد كان الشعر هو المصدر و الإلهام الذي كان الفرس يستوحونه في إنشاد قصائدهم، و كانت الثقافة العربية هي الثقافة الرئيسية بالنسبة لشعراء الفرس و كتابهم" [1] ، فكيف لهم إذن أن يسبقوا العرب في أشعارهم فهم المنبع الصافي، و باعتبار المولديات فرعا من المدائح، تعتمد على النسيب و البكاء على الأطلال و الانتقال بعدها إلى غرض المدح، ليخلص إلى هدفه الأساسي و مطلبه – التضرع لنيل الشفاعة – فإن قصائد المديح عند الشعراء الفارسيين شأنها شأن الأغراض الأخرى من غزل و وصف – و كذا محاكاتهم للأوزان العربية ، و أخذوا اصطلاحات العروض كلها– كانت على منوال القصائد العربية حيث نجد "قصائد المديح الفارسية سارت على منوال القصائد العربية، فأخذ الشاعر يبدأها بالنسيب و ذكر الأطلال و الرحيل حتى يصل إلى بيت الانتقال و يسمى بالفارسية "كْرِيزِكَاهْ" فينتقل إلى الموضع الأصلي و هو المدح و يشير بعد ذلك إلى طلبه بلطف في "بيت الطلب" ثم يفرغ من قصيدته بما يسمونه بيت المقطع"[2].

فالأمر واضح و جلي بتفوق الشعر العربي، ثم إن أعظم شعراء الفرس و هو رائد الشعر الغنائي "منو جهري"[*]، "كان متأثرا بالشعر العربي شكلا و مضمونا، إذ تأثر بمعلقة امرئ القيس و اقتبس منها و

---

[1]- د. محمد نور الدين عبد المنعم، **دراسات في الشعر الفارسي حتى القرن الخامس**، دار الثقافة، القاهرة(مصر)، (د ، ط)، 1976، ص25.
[2]- المرجع نفسه ، ص187.
[*]- هو أبو النجم أحمد بن قوص بن أحمد ، ولد بدامغان ، و الظاهر أنه أخذ تخلصه – منوجهري – من اسم الأمير " منوجهر بن قابوس " ، توفي سنة 432 هـ .

بكثير من الشعراء الإسلاميين كحسان بن ثابت" [1].

إنها إشارات لعدم أسبقية أو ريادة الفارسيين لمثل هذا الفن، الذي استمد بذوره و شكله من نمط القصيدة العربية الجاهلية، إذ احتذاها و أخرجها في شكل جديد "فالقديم لا يترك لأنه أصبح قديما، بل يصير مادة تصويرية تنفذ إلى خيالات الشعر و أعماقه" [2].

و هكذا نجد أن المولديات كانت من نبع عربي أصيل، كما أنه لا يمكن إنكار دور الدولة العبيدية أو الفاطمية الشيعية، إذ يؤكد مؤرخ مراسمها و خططها الفقيه تقي الدين المقريزي* ذلك ، من خلال ذكره للأعياد و المواسم التي كان فيها الخلفاء الفاطميون يمارسون طقوسا دينية و دنيوية غريبة، و يبقى ذلك في ميدان التشريع دائما.

و إن تفردت المولديات بإحيائها لذكرى أنبل الخلق، الذي يجسد ميلاده منعرجا تاريخيا لم تعرفه الأمة العربية عبر تاريخها الأثيل، فإن ما تحمله من سير و مغاز و معجزات هو أشبه بما تحمله المدائح النبوية من معاني دينية و سير بل حتى البديعيات، باعتبارها ماء نبع من المدائح، كل هذا تحت ظلال حب إلهي و شعلة إيمانية متوهجة، إذ تتكرر الألفاظ من ثم المعاني، فتأتي في قالب واحد، حيث يستهل الشاعر قصيدته بذكر الأحبة، و ما يعانيه من اشتياق و حنين، ثم يبين أن أحبته يقطنون البقاع المقدسة و إنه يود اللحاق بهم، و لن يتحقق ذلك إلا بالوقوف أمام قبر الرسول صلى الله عليه و سلم، فيسخر الشاعر كل طاقاته الإبداعية في مدحه (ص) ثم يعرب عن ندمه و أسفه طالبا الشفاعة بالدعاء و التضرع.

ثم إننا نجد اشتراكا في القاموس اللغوي لاشتراكهم في نفس الممدوح، من مثل "سليل أكرم نبعه، خيرة الله من خلقه، الهادي إلى حقه، جاء بأمته من الظلمات إلى النور، مبارك مولده....."، كما نلاحظ

---

[1]- د. علي الشابي، **الأدب الفارسي في العصر الغزنوي**، تونس،(د ، ط)، 1965، ص227.
[2]- المرجع السابق نفسه ، ص228.
*- ت 845 ه.

تلاحما كبيرا في توظيف الرموز، "سلع، الحجاز، الظبي، النوال، الهادي.... " فلكل دلالته و جماليته و إيقاعه الخاص.

و لا نغفل براعة و مقدرة الشعراء في كتابة مثل هذه القصائد و تحكمهم في أفانين البلاغة، فالثورة مزدوجة، فكرية، فنية، لغوية، و لقد ساهم في هذا البناء اللغوي المتفرد ما وصل إليه الشعر العربي من تطور في المشرق مع أبو تمام و البحتري و مذهب الصنعة، لابتداعهما ما هو مستجد، مما أثار الاهتمام بكل ما يضفي رونقا و جمالا على اللغة ، من خلال أحد علوم البلاغة "علم البديع" إذ جفت القرائح إلا منه ، و هكذا يولد هذا التقابل و الترابط أنساقا شعرية بديعة، و لا أدل مما قاله "لخضر عيكوس": "عني المغاربة بفن المديح و ذلك بإبداعهم في المولديات، و الذي لم يكن فن البديعيات إلا صدى له، و عن تميز عنه بتعمده الإغراق في الصنعة اللفظية، إضافة إلى عناية المشارقة بدراسة المصطلح البديعي و ولوعهم بضبط حدوده العلمية و الاصطلاحية بلغة أقرب إلى لغة العلم منها إلى لغة الأدب، كما بدت النزعة التحليلية لفنون البديع و الاهتمام بالتفريعات و التقسيمات و استخراج الفروع من الأصول و استنباط الأحكام و القوانين عندهم أكثر جلاء بحيث شكلت أساس منهجهم في تعاملهم مع الظاهرة البديعية" [1].

من هنا يمكن القول إن البديعيات كانت نمطا من أنماط المولدية، لكنها متفردة بما احتوته من أشكال تعبيرية فائقة الجمال، كما أنها تجسد تلك "الخصائص في الوعي بما ينفجر في الأجواء العليا" [2]،إذ تعد نوعا من التجديد الفني، و تقتضي طاقة أكبر حيث البديع يمثل قمة ذلك الجهد، و يضفي رمزية جديدة يصعب على المتلقي استيعابها، من ثم و لتلقى البديعيات صداها، و تقريبها إلى الأذهان جاءت في شكل منظومات بلاغية ذات وهج نبوي.

---

[1]- د. لخضر عيكوس، **ظاهرة البديع في الشعر العربي (دراسة في المصطلح و الوظيفة)**،رسالة درجة دكتوراه الدولة، جامعة قسنطينة، 1995، نقلا عن حورية رواق، مواهب البديع في علم البديع، رسالة ماجيستسر، ص24.

[2]- جوليا كريسطيفيا، **علم النص**، ص71.

فإن كانت البديعيات مزيجا من البردة أو المولديات أو المدائح أو قصائد التصوف، بالنسج على منوالها، فلا يمكن أن ننكر أبدا أن العمل الفني و إن كانت فيه محاكاة، فهو بحاجة إلى تجويد و إضفاء نوع من الجدة فيه.

فمغالاة البديعيات و إغراقها في الصنعة، لأن بؤرة النص مرتكزة حول غرض مهم، "فالمديح ذاته يقتضي من الشاعر كثيرا من التكلف و الحرص على رصانة الأسلوب و اختيار الألفاظ الضخمة ذات الرنين و المبالغة في المعاني و الأحاسيس مبالغة تبعد بها عن الصدى الفني" [1].

و في النهاية تبقى المولديات أو البديعيات عملا فنيا يستلزم التنقيح و التجويد، فأي كانت الطريقة التي انتهجت فيها، فإنها تغني الأدب، و خاصة الشعر و هو ريحانته، ثم يكفينا و إن بالغوا في هذا الفن – البديعيات– ، فإن "البديع مقصور على العرب و من أجله فاقت لغتهم كل لغة و أربت على كل لسان"[2].

فهذا مدعاة لدراسة مثل هذا الفن و إيلائه عناية أكبر ، و محاولة الكشف عن بعض خباياه، و الإجابة عن الكثير من التساؤلات، من ثم سنحاول معرفة الموضوع الذي عطر بعبقه حديقة البديعيات و كذا الأدب.

---

[1]- د. رجاء عيد، **المذهب البديعي في الشعر و النقد**، ص126.
[2]- د. محمد نايل أحمد، **البلاغة بين عهدين (في ظلال الذوق الأزلي و تحت سلطان العلم النظري)** ، ص47.

4- زمـــــن ظهورها:

إن كان حب البديع عاملا من عوامل إبداع هاته القصائد، فالسبب الرئيسي يبقى تلك القلاقل و الاضطرابات التي عاشها العربي في ظل العصر المملوكي و ما ساده من توتر، و تزييف و انتقاد لواقع مترد ، إنه نوع من الانسلاخ و تجاوز الواقع ، بمحاولة الشعراء الانسحاب نحو الماضي الزاهر، من خلال المدح الذي كان نابضا بالصدق و العاطفة الجياشة، فكانت الآلام أكبر و التمزق أعمق ، فإن كان الموضوع يبدو و بصورة سطحية مديحا نبويا و ورصفا لأنواع بديعية، فالدلالة الشعرية أعمق بكثير .

و من ثمّ فالبديعيات تجسد أزمة الفكر، و النفس المهزومة المكسورة، المسلوبة الحرية، في ذاتية متسترة، و إن كان ورودها في بعض الأحيان بصورة باهتة، فلا غرو في ذلك فهي " أحد فنون الشعر المبتكرة في عصر المماليك، و قبل العصر المذكور لم ينتبه الشعراء إليه" [1] ، حيث ساد فيه الظلم و الجور، فقلوب المسلمين مفجوعة بأرضها، قلقة لحملات العدو من تتار و صليبيين، و الأدهى و الأمر أن يرمي بنفسه بين أحضان الدخيل لحمايته "فقد اعتبر سلاطين المماليك أنفسهم حماة الاسلام و الموكلين بالدفاع عنه"[2]، فلا غرابة أن يضيع العربي في غياهب الوهم، إنه الزمن ذاته بما يحمله من انحباس نفسي و تناقض داخلي، فهو القرن الثامن، كما يحدده "علي أبو زيد" في قوله: "هذا الفن الشعري الطريف الذي بزغ نجمه في القرن الثامن الهجري و تلألأ على صفحات التراث في القرون المتتالية" [3].

فالقصيدة تحقق ولادتها الإبداعية مـــن حيث التشكيل المكاني و الزماني، و لا نعدم الأطراف الأخـــرى التي تحقق بها العملية الإبـــداعية أبعـــادها الدلالية و مستـــوياتها ، " و مهما كان من أمر هـــذه البديعيات و ما فيهـــا مـــن التعمل و التكلـــف فإنها تعكس ذوق العصـــر الـــذي شغـــف

---

[1]- د. محمود رزق سليم، **عصر سلاطين المماليك و نتاجه الأدبي**، مكتبة الآداب، القاهرة(مصر)، ط1، 1965، ص178.
[2]- د. فوزي محمد أمين ، **أدب العصر المملوكي الأول (ملامح المجتمع المصري)**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية(مصر)، ط2، 2003، ص20.
[3]- د. علي أبو زيد، **البديعيات في الأدب العربي نشأتها و تطورها** ، ص49.

بالبديع أيما شغف" [1].

فهي تجسيد لجماليات الزمان و المكان ، و ما ساد فيه من مظاهر شتى ، تنبئ عن بعدين، و عن عوامل جعلت من الشعر غناء شعريا ، يثير المشاعر ، و تهفو إليه النفس، و يصل إلى القلب ، فكان مثارا للتنافس ، و من ثم مطية للاختلاف بشأن الرائد في هذا الميدان.

5- الاختلاف بشأن الأسبقية

في القرن السابع حمي وطيس المعركة بين العلماء، لأجل التفوق و تملك ناصية البديع، فمن أشهر رجاله: فخر الدين الرازي، السكاكي، ضياء الدين بن الأثير، و التيفاشي المغربي، و ابن أبي الأصبع المصري، " و علي بن عثمان الإربلي ، كان معاصرا لابن أبي الأصبع، و قد نظم قصيدة مدح من ستة و ثلاثين بيتا في كل منها نوع من أنواع البديع التي كانت شائعة في عصره و قد وضع إزاء كل بيت اسم المحسن البديعي الذي تضمنه، مطلعها:

بَعْضُ هَذَا الدَّلَالِ و الإِدْلَالِ   حَالٌ بِالهَجْرِ وَ التَّجَنُبُ حَالِي "[2]

و قد عدها "عبد العزيز عتيق" ، "المحاولة الأولى في الاتجاه الذي أخذ يشيع بين الشعراء بدخولهم في ميدان البديع ينظمون فنونه في قصائد عرفت فيما بعد باسم البديعيات" [3].

إن هذا الفن شأنه شأن كل الفنون ، كانت له إرهاصات و بدايات ، ثم تطور إلى أن وصل إلى صورته الناضجة، و إلى نفس الرأي يذهب "شوقي ضيف" في كتابه "البلاغة العربية تطور و تاريخ" ففي معرض حديثه عن البديع ، يتحدث عن الإربلي الذي نظم قصيدة في مديح بعض معاصريه مضمنا كل بيت منها محسنا بديعيا من محسنات البديع، ثم يشير بعد ذلك إلى "صفي الدين الحلي" إذ يقول: "و إذا

---

[1]- د. فوزي محمد أمين، **أدب العصر المملوكي الأول (ملامح المجتمع المصري)** ، ص442.
[2]- د. عبد العزيز عتيق، **علم البديع**، دار الآفاق العربية، القاهرة (مصر) ، ط1 ، 2000، ص41.
[3]- المرجع نفسه ، ص41.
[*]- سلع : موضع قرب المدينة المنورة.

تقدمنا إلى القرن الثامن وجدنا " صفي الدين الحلي " ينظم قصيدة في مدح الرسول (ص) على غرار بردة البوصيري المشهورة مستهلا بقوله:

إِنْ جِئْتَ سَلْعًا* فَسَلْ عَنْ جِيرَةِ العَلَمِ   وَ أُقرِ السَّلَامَ عَلَى عُرْبٍ بِذِي سَلَمِ

و قد امتدت إلى مائة و خمس أربعين بيتا من البحر البسيط و ضمن كل بيت فيها محسنا من محسنات البديع، بحيث ضمت مائة و خمسين محسنا"[1].

فلا شك أن الإربلي حسب رأيه سابق لصفي الدين الحلي في تأليفه لهذه المنظومات البديعية، كما أننا نجد أن "محمد علي سلطاني" ، أشار إلى أن ظهور هذا الفن كان على يد الشاعر الصوفي "أمين الدين الإربلي"، لكن هذا لا يعني البديعية باعتبار أنها تحصيل حاصل، إذ جمع ما وصل إليه معاصروه من فنون البديع، ثم "شوقي ضيف" يقول أنها في مدح معاصريه و البديعية مدحة نبوية، على أن "محمود رزق سليم" يعتبر "صفي الدين الحلي أول مخترع لفن البديعيات" [2] ،فبالرغم من أنه لم يذكر صراحة معارضته لبردة البوصيري ، إلا أن أثرها العميق انسحب على بديعيته "الكافية البديعية في المدائح النبوية".

و هذا ما يذهب إليه " ابن حجة الحموي " صاحب "خزانة الأدب و غاية الأرب"، في معرض حديثه عن أصحاب البديعيات، حيث يقدم " صفي الدين الحلي " على " ابن جابر " حين يقول :"صفي الدين الحلي الشاعر المشهور صاحب البديعية الشهيرة ...ثم ابن جابر الأندلسي الضرير صاحب البديعية المسماة "الحلة السيرا في مدح خير الورى" و هي في مائة و ستة و عشرين بيتا مطلعها:

بِطَيْبَةَ* اَنْزِلْ وَ يَمِّمْ سَيِّدَ الأُمَمِ   وَ اَنْثُرْ لَهُ المَدْحَ وَ اَنْشُرْ أَطْيَبَ الكَلِمِ" [3]

---

[1]- د. شوقي ضيف، **البلاغة العربية تطور و تاريخ** ، دار المعارف، مصر، ط8، (ب،ت) ،ص360.
[2]- د. محمود رزق سليم، **عصر سلاطين المماليك و نتاجه الأدبي**، م8، ق2 من ج4، ط1، 1965، ص 180.
[3]- ابن حجة الحموي، **خزانة الأدب و غاية الأرب** ، ص8.
*- طيبة : من أسماء المدينة المنورة.

غير أن "زكي مبارك" يقلب الموازين باعتباره "ابن جابر" مبتكر هذا الفن بمعارضته البردة "إذ افتتن ابن جابر بقصيدة البردة و قد شغل نفسه بمعارضة البردة و لكن أي معارضة ؟ لقد ابتكر فنا جديدا هو "البديعيات" و ذلك أن تكون القصيدة في مدح الرسول (ص) و لكن كل بيت من أبياتها يشير إلى فن من فنون البديع" [1] .

بل إن قيمتها و تملكها لسلطان البلاغة، جعل معاصرو ابن جابر يولونها أهمية قصوى، إذ انبرى صديقه أبو جعفر الألبيري لشرح بديعيته و اعترف له بالريادة و السبق ، حيث يتضح ذلك جليا في قوله: "نادرة في فنها فريدة في حسنها، تجني ثمر البلاغة من غصنها و تنهل سواكب الإجادة من مزنها، لم ينسج على منوالها و لا سمحت قريحة بمثالها" [2].

فبديعية " ابن جابر " درة الدرر و عقد لؤلؤ، رصفت بإحكام ، و أماطت اللثام عن أسرار اللغة ثم تأتي بديعية "صفي الدين الحلي" في المرتبة الثانية، و يبدو ذلك في قوله: "و في عصر ابن جابر و ضع صفي الدين الحلي قصيدة سماها "الكافية البديعية في المدائح النبوية" [3] .

ربما بالغ "زكي مبارك" ، و اشتط في حكمه ، لكن ما يجب أن يقال أن هذه البديعية فعلا تفردت عن باقي البديعيات في شيئين جوهريين : فصله بين ألوان البديع اللفظية و المعنوية، و اقتصاره على أبواب البديع التي ذكرها القزويني و فقط، "و تنحية المسائل التي عرفت عنده ، و عند السكاكي باسم "علم البيان" عن بديعيته"[4] .

إنه حقا نصر عظيم لعلم البديع، و اللغة في حد ذاتها فلا يمكن أن نغفل أهميتها و تفردها و تميزها، و الحديث عن البديعية يعني احتواءها فنون البديع، مما يزينها و ينمقها لكي تثير الشجن و تفتن كل

---

[1]- د. زكي مبارك، **المدائح النبوية في الأدب العربي**، ص205.
[2]- المرجع السابق نفسه ، ص205.
[3]- المرجع نفسه ، ص205.
[4]- أحمد إبراهيم موسى، **الصبغ البديعي في اللغة العربية**، ص385.

متأمل و متمعن فيها، فابن جابر ترجم ترجمة دقيقة لمعنى البديعية، من خلال الفصل و التحديد، من ثم يمكن القول و بتحفظ إن " ابن جابر " يعد رائدا بما تميز به، فالمغالاة في الصنعة و التكلف لا يعبر دوما عن مقدرة فنية، بل تعبر عن فشل في إخراج الانفعال من فوضاه ، و التجربة من حالتها البدائية، و عن الإلمام بأبعاد التجربة في أصقاعها البعيدة و بعثها وجودا واقعيا.

قد يكون صفي الدين الحلي نال الشهرة و الحظ، لكنه فتح المجال واسعا دونما تحديد، فكان الانزلاق و الضياع في غياهب الزخرفة ببريقها و تنوعها المثير، مع هذا فإن معارضة بديعية الحلي انشأت بديعية ثانية فثالثة ثم...... فكانت البديعيات بعثا بعد موات فني.

ثم إننا نستدل بما قاله "العربي دحو" في كتابه "ابن الخلوف و ديوانه جني الجنتين في مدح خير الفرقتين" "نرى الصوت المغربي الذي ابتدأه ابن جابر الأندلسي في البديعيات، نراه قد تواصل طوال الفترة التي ساد فيها هذا النمط الشعري و بلغ درجة عالية مع هذا الشاعر، و بذلك تكتمل لدينا الصورة في هذا المجال الذي عرفته الثقافة العربية في مشرقها و مغربها ككيان متكامل هنا أو هناك "[1].

فابن جابر يجسد تكاملا زخرفيا في بديعيته، إذ تأثر بالعصر و ما ساد فيه من بديع، لكنه لم يصل حد الإغراق و التكلف حد الملل، بل جسد لنا مغربية فذة ، تنافس بطريقة أو بأخرى نظيرتها المشرقية.هذا أمر أكيد فهذا النوع من النظم كان منذ القدم بداية بالقرن الأول الهجري "إذ يذهب "شوقي ضيف" إلى أن نشأة المنظومات التعليمية في التراث العربي ترجع إلى القرن الأول الهجري، إذ عد "الطرماح بن حكيم" و " الكميت بن زيد " من أوائل الشعراء العرب التعليميين، فيما نظما من شعر أريد قبل كل شئ إلى تعليم اللغة بغرائبها و أوابدها "[2].

---

[1]- د. العربي دحو، **ابن الخلوف و ديوانه جني الجنتين في مدح خير الفرقتين**(المعروف بديوان الإسلام) ، (827 ه/1454م-899 ه /1526م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، ص46.
[2]- د.محمد مصطفى أبو شوارب، **البديع في علم البديع**، ص29.

مع أن نظم الفنون البلاغية و صياغتها في إطار من الشعر التعليمي قد تأخرت إلى القرن السابع الهجري، فإن كل هذا أضفى بطريقة أو بأخرى رونقا خاصا ، و ساهم في بروز ذلك التشكيل اللغوي الفذ.

لكننا سنتحدث عن الجانب المشرق و المهم فيها ، أي البديعية بشروطها و بورودها المتفتحة و رياحينها، التي عطرت حديقة الأدب العربي، فلا ننكر أبدا هذا التضافر و تلك الجهود المبذولة لأجل إرساء هذا الفن، فالبدايات الأولى هي الأساس ، ثم تتعمق التجربة و تتعدد المحاولات و ترتقي بأن تشذب مرة بعد مرة حتى تصل إلى قمة الإبداع، فالريادة تبقى للأدب و الشعر خاصة.

6- مضمون البديعـــــيـــــات

أشرنا سابقا إلى الاختلاف الذي حصل حول المفهوم الاصطلاحي للبديعيات، و مدى ارتباط هذا الفن و تداخله مع كثير من الفنون و الاتجاهات الأدبية، حتى أنه غدا نبراسا مضيئا و مصطلحا علميا فنيا يتحدد موضوعه من خلال شقين.

فهي مديح النبي صلى الله عليه و سلم بمعاني سامية تنبعث منها حرارة الصدق، صادرة من الذات المتصلة بالقلب الحاضرة في اللاوعي الجمعي، كل ذلك في إطار التأليف البلاغي، فكأن ذلك التزامن مع التطور الحاصل للبديع، جاء ليتواءم مع هاته العاطفة الجياشة، على أننا نجد "محمد علي سلطاني" في كتابه "البلاغة العربية في فنونها" ، يعتبر أن"موضوعات المديح في هذه البديعيات توزعته ثلاث اتجاهات، أولها: في المديح النبوي و يشمل معظم البديعيات ، ثانيها: في مديح غير نبوي، ثالثها: في مدح عيسى عليه السلام و غيره من الرسل الكرام ، و في الاتجاه أربع بديعيات، ثلاث قام بنظمها الخوري اللبناني أرسانيوس الفاخوري* ، و نظم الرابعة الخوري الحلبي نيقولاس بن نعمة الله الصائغ* و جدير بالذكر أن بين هذه القصائد بديعية خاصة بأنواع البديع الهندي السيد غلام علي أزاد البلكرامي* "[1] ، بهذا التعريف يتسع مفهوم البديعية ، و يختلف، ثم إن هذا التنوع في المدح يدلنا على أن كل أمة نود إرساء ثقافتها ، و حفظ تراثها، فتحاول نشره بطريقة أو بأخرى سواء كان النظم العلمي البديعي أو غيره.

و في ظل هذا التشعب سيقتصر مجال حديثنا على البديعية بمعناها الدقيق ، التي تكون في مدح النبي صلى الله عليه و سلم، و التي ولدت من رحم البردة أو المولديات فالأمر سيان، فهي نبع و جدول من المدائح النبوية، و بصبغ بديعي متفرد، فكأن مسارها متوقف على كل ما هو بديعي، و هذا ما يذهب إليه

---

[1]- د. محمد علي سلطاني، **البلاغة العربية في فنونها**، ص15.
*- ت1301هـ.
*- ت1170هـ.
*- ت1200هـ.

"علي أبو زيد " ، " هي مديح النبي صلى الله عليه و سلم و أصحابه الأبرار و هي غاية روحية و غرض شعري معروف و مع ذلك تعداد أنواع البديع التي حصلت عند ناظم البديعية و هو غرض علمي" [1].

فهي تجمع بين غايتين ساميتين، المديح النبوي، و التأليف البلاغي، ثم إن البديعيات تسير على نمط واحد، كما يقول "لخضر عيكوس": "و كل بديعية لا بد أن تشتمل ثلاثة أقسام رئيسية، يتمحور الأول حول ذكر الأماكن المقدسة و الديار العامرة بأطياف الأحبة الذين سافروا و تركوا الشاعر يشكو ألم الفراق، و لوعة الصد و الهجران، في القسم الثاني يمدح الشاعر الرسول محمد صلى الله عليه و سلم فيصور سيرته العطرة المنطوية على عظيم معجزاته و نوادر كراماته كما يمجد انتصاراته و يعرج على ذكر آله و صحبه ، و شمائلهم كل ذلك بأسلوب من النصعة البديعية، أما القسم الثالث فعادة ما يكون دعاء تؤمل شفاعته يوم لا ينفع مال و لا بنون" [2].

فالبداية بالنسيب سنة واردة في كل المدائح، إذ يستهلها بذكر الأحبة و ما يعانيه من ألم البعد فهم في البقاع المقدسة يود اللحاق بهم، لكن سبل الوصل انقطعت، فما عليه إلا أن يمدها من خلال مدح الرسول صلى الله عليه و سلم و ذكر خصاله و سيرته و معجزاته، إنه الحنين لفضاءات النبوة، البيت العتيق، يود العودة و التوبة و الانسحاب، و الإيمان قوي و راسخ باليوم الآخر و بالحياة في العالم الآخر، مما يزكي و يؤكد على تواصل الإنسان الحي المؤمن الشاعر بالكائن الميت الحي محمد صلى الله عليه و سلم، و يسترسل الشاعر في طلب الشفاعة، و إمكانية تحقيقها في المعتقد الإسلامي متوفرة و قائمة، فهو يمد أكف الضراعة لتشمل الشفاعة خير خلق أمته بأقاصي الأرض المغلوبة.

---

[1]- د, علي أبو زيد، **البديعيات في الأدب العربي (نشأتها ، تطورها ،أثرها)** ، ص47.

[2]- د. لخضر عيكوس، **ظاهرة البديع في الشعر العربي (دراسة في المصطلح و الوظيفة)** رسالة درجة دكتوراه الدولة، جامعة قسنطينة، 1995، نقلا عن رسالة الأستاذة حورية رواق: "بديعية: مواهب البديع في علم البديع" ، 2002- 2003، ص17-18.

7- أعـــــلامهـــــــــا

إن البديعيات كانت محط اهتمام الأدباء و الشعراء و البديعيين خاصة فلقد استهوتهم و فتحت المجال واسعا للتعبير عن انفعالاتهم و مقدرتهم، و كذا موهبتهم المخبوءة كما أنها ترجمة للوضع السائد، و شأنها شأن أي ظاهرة لم تجد تطورها في ظرف معين، بل وجدت إرهاصات و حوافز عدة ثم تعددت الجهود بين مقلد و مجدد فيها.

من ثم سنحاول الإشارة إلى أهم أعلام هذا الفن و ما وصل إليه من إنتاج إبداعي تجلى في تلك القصائد المتباينة و المختلفة، حتى إن إحصاءها بشكل دقيق لم يصل إليه الباحثون، فقد شحت الأقلام في هذا الموضوع رغم ذلك فإننا نجد بعض الدراسات هنا و هناك و لن نغفل أبدا الدراسة القيمة التي قام بها "علي أبو زيد".

و في تحديدنا لعـــددها و أعلامها ، ركزنا على دراسة هذا الأخير (علي أبو زيد) بعد أن اقتصر صاحب "الصبغ البديعي" " أحمد إبراهيم موسى " على ذكر واحد و أربعين بديعية ، فإن الأول توصل إلى عدد لا يستهان به من البديعيات – واحد و تسعون- رغم ذلك لا يمكننـــا الإحاطـــة بهذا الفن من جميع جوانبـــه و معرفة كل أعلامه لتشعبـــه ، ثم إنه لم يحظ بدراســـات مستفيضة و عميقة عمق التراث العربي ، حول هـــذا ، يقول علي أبو زيد: " بل أكـــاد أزعم أن بعضا منها بقي متناثرا بعيدا عن معرفتي لم أستطع العثور عليـــه ، لا لفتور في همتي لكن لعـــدم إمكانية حصر هذا الفن ضمن نطـــاق واحد أو مجموعة من الكتب لانعدام الدراسات حول هذا الفن ، فما زالت إمكانية وجود بديعية قائمة في كل كتـــاب يتحدث في نطاق العصر المملوكي و ما بعده ، و مع ذلك فإن مجموع ما وصلت إليـــه من البديعيات نصوصا و أخبارا بلغ إحدى و تسعين بديعيـــة مؤكدة ، إضافـــة إلى اثنتين منهـــا تحتاجـــان

إلى إثبـــات"[1].

إذن يبقى المجال مفتوحا لمن يود الكشف عن هذا التراث الهائل و القيم ، الذي تشابكت جذوره فنمت شجرة متفرعة الأغصان وارفة الظلال؛ البديعيات، فمن الأجدى أن نشير إليها في لمحات ، فالمجال لا يسع لذكرها كلها و لعل أشهرها: "بديعية العميان" ل "ابن جابر الأندلسي الضرير" استهلها بقوله:

بِطَيْبَةَ اَنْزِلْ وَ يَمِّـــمْ سَيِّدَ الأُمَـــــمِ وَ اَنْثُرْ لَهُ المَدْحَ وَ اَنْشُرْ أَطْيَبَ الكَلِمِ[2]

و ينازعها السبق " الكافية البديعية في المدائح النبوية " لصفي الدين الحلي ، مطلعها :

إِنْ جِئْتَ سَلْعًا فَسَلْ عَنْ جِيرَةِ العَلَمِ وَ أُقرَا السَّلَامَ عَلَى عُرْبٍ بِذِي سَلَمِ[3]

ثم نلتقي بعز الدين علي بن الحسين الموصلي[*]، صاحب البديعية التي عارض فيها بديعية صفي الدين الحلي و زاد فيها بأن ذكر في كل بيت منها لفظة تدل على اسم النوع البديعي الذي استخدمه فيه، مطلعها:

بَرَاعَةٌ تَسْتَهِلُّ الدَّمْعَ فِي العَلَـــمِ عِبَارَةٌ عَنْ نِدَاءِ المُفْرَدِ العَلَم[4]

و في القرن التاسع الهجري نجد "ابن حجة الحموي" الأديب البارع و الذي نظم بديعية على طريقة شيخه "عز الدين الموصلي" و سماها "تقديم أبي بكر" و شرحها شرحا حافلا سماه "خزانة الأدب و غاية الأرب " مطلعها:

لِي فِي ابْتِدَا مَدْحِكُمْ يَا عُرْبَ ذِي سَلَمِ بَرَاعَةٌ تَسْتَهِلُّ الدَّمْعَ فِي العَلَمِ[5]

---

[1]- د. علي أبو زيد، **البديعيات في الأدب العربي (نشأتها ، تطورها ،أثرها)** ، ص 70-71.
[2]- المرجع نفسه ، ص 73.
[3]- المرجع نفسه ، ص76.
[*]- ت 789 هـ.
[4]- د. علي أبو زيد، **البديعيات في الأدب العربي (نشأتها ، تطورها ،أثرها)** ، ص 78.
[5]- المرجع نفسه ، ص94.

و قد توالت البديعيات، حيث تنافس الشعراء و تباروا لينسجوا على منوال بديعيتي "صفي الدين الحلي" و "الموصلي"، كما أننا لا ننسى بديعية "علي بن عثمان الإربلي" ، في كل منها نوع من أنواع البديع الشائعة في عصره ، و قد وضع إزاء كل بيت اسم المحسن البديعي الذي تضمنه، و تعد المحاولة الأولى في هذا الاتجاه.

من ثم نجد أولئك المعارضين أو المقلدين لنمط من أنماط تلك البديعيات المذكورة آنفا من أمثال: جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال الخضيري الأسيوطي*، له بديعية سماها "نظم البديع في مدح خير شفيع"، له عليها شرح، و لكنها لم تنل من الشهرة ما نالته غيرها من البديعيات مطلعها:

مِنَ العَقِيْقِ* وَ مِنْ تِذْكَارِ ذِي سَلَمِ ... بَرَاعَةُ العَيْنِ فِي اسْتِهْلَالِهَا بِدَمِ [2]

في المقابل نجد بديعية "عائشة الباعونية"و التي أطلقت عليها اسم "الفتح المبين في مدح الأمين" مطلعها:

فِي حُسْنِ مَطْلَعِ أَقْمَارِي بِذِي سَلَمِ ... أَصْبَحْتُ فِي زُمْرَةِ العُشَاقِ كَالعَلَمِ [2]

إنها بديعية مميزة في مدح الرسول (ص) نظمتها على غرار بديعية تقي الدين بن حجة، مع عدم تسمية النوع.

و من أصحاب البديعيات أيضا: صدر الدين بن معصوم الحسيني المدني* ، استهلها بقوله:

حُسْنُ ابْتِدَائِي بِذِكْرَى جِيرَةِ الحَرَمِ ... لَهُ بَرَاعَةُ شَوْقٍ تَسْتَحِلُ دَمِي [3]

---

*- ت 911 هـ.
[1]- المرجع السابق نفسه ، ص101.
*- العقيق : من نواحي المدينة المنورة.
[2]- د. عبد العزيز عتيق ، **علم البديع** ، ص 51.
*- ت 1117 هـ.
[3]- المرجع نفسه ، ص 52.

و هي على غرار بديعية كل من "عزالدين الموصلي" و "تقي الدين بن حجة" من حيث تضمين أبياتها أسماء المحسنات البديعية و قد وضع لها شرحا سماه " أنوار الربيع في أنواع البديع ".

و لا نغفل معاصره الشيخ "عبد الغني بن إسماعيل النابلسي* الذي ألف بديعيتين الأولى سماها "نسمات الأسحار في مدح النبي المختار" لم يلتزم فيها اسم النوع البديعي مطلعها:

يَا مَنْزِلَ الرَّكْبِ بَيْنَ البَانِ* وَ العَلَمِ مِنْ سَفْحِ كَاظِمَةٍ حُيِّيْتَ بِالدِّيَـــمِ[1]

له شرح سماه "نفحات الأزهار " أما بديعيته الثانية فمطلعها:

يَا حُسْنَ مَطْلَعِ مَنْ أَهْوَى بِذِي سَلَمِ بَرَاعَةُ الشَّوْقِ فِي اسْتِهْلَالِهَا أَلَمِي[2]

و نختم الحديث عن هذه الموجة الأولى من البديعيات بذكر بديعية "ابن الخلوف" موضوع الدراسة و عنوانها "مواهب البديع في علم البديع"، مطلعها:

أَمِنْ هَوَى مَنْ ثَوَى بِالبَـــــانِ هَلَّتْ بَرَاعَةُ مُزْنِ الدَّمْعِ كَالعَنَمِ*[3]

على اعتبار أنها ستكون واسطة عقد بين هاته البديعيات من بداياتها و امتدادها حتى العصر الحديث، من خلال الكشف عن مضمونها و نظامها البلاغي بدراسة الخصائص اللغوية، التي تحول بها الخطاب إلى شكل مزخرف و منمق أي كان زمانها فالأمر سيان مع فوارق متعلقة بالقيمة و التأثير.

و في بحثنا عن البديعيات ، نصل إلى العصر الحديث حيث نلتقي بأعلام آخرين، من أشهر هؤلاء: البيروتي* ، له قصيدة في مدح الرسول (ص) أودعها الكثير من أنواع المحسنات و لها شرح وضعه

---

*- ت 1143 هـ.

[2]- المرجع السابق نفسه ، ص 52.

*- البان : نوع من الشجر يضرب به المثل بأغصانه في الليونة و الملاسة.

[3]- المرجع نفسه ، ص 52.

[4]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص 05.

*- العنم : شجرة صغيرة تنبت في جوف السدر لها ثمر أحمر.

*- هو أحمد البربير البيروتي ولدفي دمياط (مصر) و نشأ في بيروت ، و توفي في دمشق سنة 1226هـ.

مصطفى الصلاحي ، و لا نبارح البيروتي حتى نجد الساعاتي* ، الذي له بديعية عارض بها بديعية " تقي الدين بن حجة الحموي " مطلعها:

سَفْحُ الدُّمُوعِ لِذِكْرِ السَّفْحِ وَ العَلَمِ أَبْدَى البَرَاعَةَ فِي اِسْتِهْلَالِهِ بِدَمِ[1]

كما يعد الشيخ طاهر الجزائري* من المتأخرين في نظم هذا الفن و قد أبدع قصيدة وضع لها شرحا أطلق عليه اسم "بديع التلخيص و تلخيص البديع".

و الأمر لا يتوقف عند هذا الشاعر أو ذاك، بل أصبحت هاته القصائد البديعية مطية و فتنة للكثير، حتى إن الشعراء المسيحيين نظموا بديعيات في مدح عيسى عليه السلام، من أولئك ، إبراهيم خيكي الحلبي ، مطلعها:

بَرَاعَتِي فِي اِمْتِدَاحِي مَنْهَلَ النِّعَمِ قَدْ اِسْتَهَلَّتْ بَدِيعَ النَّظْمِ كَالعَلَمِ[2]

و نظم الخوري نيقولاس بن نعمة الله الصائغ* في مدح عيسى عليه السلام بديعية مطلعها:

بَدِيعُ حُسْنِ اِمْتِدَاحِي رُسُلَ رَبِّهِمِ بَرَاعَةٌ فِي اِفْتِتَاحِي حَمْدَ رَبِّهِمِ[3]

و جدير بالذكر أن بين هذه القصائد البديعية نجد بديعية خاصة بأنواع البديع الهنـــدي للسيد غلام علي آزاد البلكرامي* ، ثم إن هاته القصائد قد تكون في مدح غير النبي (ص)، مثلما فعل أحمد بن محمد عبد الرحمن بن إبراهيم المغربي الجزائري الضرير*حين مدح شيخه محمد بن أبي القاسم الهاملي.

إلى غير ذلك فالمجال لا يتسع للإفاضة أكثر، فهذا المد البديعي بقي متواصلا بما يحمله من درر و

____

*- هو الأديب الشاعر محمود صفوت الزيلع الشهير بالساعاتي ولد في القاهرة سنة 1241 هـ ، و توفي سنة 1298 هـ.
1- د. عبد العزيز عتيق ، **علم البديع** ، ص 55.
*- ت 1341 هـ.
2- د. علي أبو زيد، **البديعيات في الأدب العربي (نشأتها ، تطورها ،أثرها)** ، ص 131.
*- ت 1200 هـ.
3- المرجع نفسه ، ص 136.
*- ت 1169 هـ.
*- ت 1340 هـ.

أصداف و ألوان تبهر العين و تخلب العقول إلى أن انتهى على يد " البارودي " بتجريده المدائح النبوية من الألوان البديعية ، إذ يقول في مدحته التي طالت حتى صارت سبعا و أربعين و مائة بيت، و قد سماها " كشف الغمة في مدح سيد الأمة "، مطلعها:

لَمْ أَلْتَزِمْ نَظْمَ حَبَّاتِ البَدِيعِ بِهَا إِذْ كَانَ صَوْغُ المَعَانِي الغُرِّ مُلْتَزَمِي [1]

فكأن الدائرة تنغلق لتبدأ بداية جديدة قديمة و هكذا يبقى محور الروابط بين الصياغة التعبيرية و الخلفية الدلالية، أو الأبعاد المعنوية التي تجسد أزمنة عدة.

إذ لا نعدم هذا التواصل الفذ بين الموروث و الفكر العربي فالماضي حلقة مفقودة، نبحث عنها في لحظات الضياع، فهو بديل لحاضر أليم و زمن رتيب،حيث نجد الشاعر "أحمد شوقي" يعارض البردة بمدحة نبوية متميزة و كما يقول عنها "عبده عبد العزيز قلقيلة":"نقرر مطمئنين أن أحدا لم يخطف الضوء من البوصيري قبل أمير الشعراء أحمد شوقي على أنه –رحمه الله– كان متواضعا فسمى قصيدته "نهج البردة" [2].

فإن امتدت البديعيات، عبر قرون عدة حتى العصر الحديث فإنها تجسد بصورة أو بأخرى، تفوق لغتنا العربية بما فيها من تأثير جمالي و إبلاغي، غير أننا لا نعدم بعض الشطط في شكلها البديعي و التهافت اللامشروط نحوها.

---

[1]- د. عبده عبد العزيز قليقلة ، **خط سير الأدب العربي** ، ص 460.
[2]- المرجع نفسه ، ص 460.

الفصـل الثاني : مضمون البديعيات

تمهيـد

النسيب في البديعيات (المقدمة الطللية)

النسيب في بديعية ابن الخلوف

أ- المقدمة الطللية (النسيب النبوي)

ب- فراق الأحبة و ارتحالهم

ج- لوعة الصد و الهجران

المدح في بديعية ابن الخلوف

أ- ميلاد الرسول صلى الله عليه و سلم

ب- صفاته

الدعاء و التضرع في بديعية ابن الخلوف

1- تمهيــــــــــد :

لقد عرف الشعر العربي منذ القديم ، تغييرات في بنيته الشكلية والمعرفية، تبعا لتأثيرات عدة ، ولمستجدات العصر والتطور الحضاري فكان الشعر تعبيرا عن هذا التغيير بشقيه السلبي والإيجابي عبر محطات تتباين وتختلف فتضيف جديدا أو صورة ، تحمل بين طياتها أفكارا جديدة ، إذ برز شعراء آخرون أغرتهم تلك الوقفة المكانية فكانت سبيلهم للملاذ، حيث إننا نشهد في كل ذلك ولادة فنون ، بمرجعية لغوية متمايزة كل التمايز تبعا لزمانها ومكانها وظروفها الاجتماعية والسياسية والثقافية فالشاعر " أبو اللغة وأمها تسير حيثما يسير وتربض أينما ربض، وإذا ما قضى جلست على قبره باكية منتحبة حتى يمر بها شاعر أخر ويأخذ بيدها اعني الشاعر ذلك المتعبد الذي يدخل هيكل نفسه فيجثو باكيا فرحانا نادبا مهللا مصغيا مناجيا ثم يخرج وبين شفتيه ولسانه أسماء وأفعال وحروف و اشتقاقات جديدة لأشكال عبادته التي تتجدد كل يوم فيضيف بعمله هذا وترا فضيا إلى قيتارة اللغة وعودا طيبا إلى موقدها "1.

فالشاعر مهما حاول نسج عالم خاص به ، فإن شيئا ما يعمل دائما على وصله بالمكان الذي يقف عليه وتربطه به روابط روحية عميقة متجذرة في أرضه الخصبة مع أحبائه وأهله ، فهو ينصهر معهم في بوتقة واحدة يتألم لألمهم ، ويسعد لسعادتهم وتحلق نفسه في عالم اللاأمن والاضطراب، ولا أدل من فن البديعيات الذي كان خير معبر لمعاناة وآلام أمة عربية بأسرها ، حيث إنها أضافت أوتارا فضية إن لم نقل ذهبية ، جوهرية لقيتارة اللغة التي عرفت أشجى الألحان وأعذب الأصوات الموسيقية التي هزت النفوس وتغلغلت في أعماقها، محاولة زرع الأمل فيها من خلال استجداء صوت الماضي في لغة شعرية تجمع بين الغرض الشعري- المدح- إلى جانب الغاية العلمية- البديع- تنبع من ثناياها عاطفة وجدانية صادقة وعميقة عمق المأساة فكانت هذه القصائد البديعية التي اتخذت مضمونا شعوريا متميزا.

[1]- د . رجاء عيد، **المذهب البديعي في الشعر والنقد**، ص330.

و نحن في هذا الفصل سنشير إلى بعض النماذج من البديعيات و نذر الباقي للباحثين الذين يودون خوض غمار هذا الفن البديع ببديعياته، التي تبحث عن مخلص ومفكك لرموزها ، فغايتنا أن نرسم صورة و لو بسيطة لشعر البديعيات من خلال تسليطنا الضوء على جانب المضمون.

و الأمر في غاية الصعوبة، حيث يجتمع عاملان هامان مديح نبوي و درس بلاغي قائم على التقنين و التقعيد و التلقين و لا غرو في ذلك، " فدرس البلاغة هو أخطر دروس الحياة الفنية والأدبية ! لأنها الوسيلة الوحيدة التي تمكننا من إدراك ما في الأدب من قيم وحقائق وهي أيضا وسيلة في كشف ذوق أمة و تجاربها وخبراتها في ميادين الأدب المختلفة وهي السبيل الوحيد لتبصيرنا بالصالح فنقتفيه و نتأثره ، أو تحذيرنا من الفاسد فننبذه ونتجنبه "[1].

و البديعيات تعد أفضل نموذج جسد البلاغة بعلومها الثلاثة و عبر عن غياب قيم و ثوابت أمة بأسرها في حقبة زمنية حالكة – ما سمي بعصر الظلمات- إنها تجربة فريدة من نوعها إذ " البديعيات تشكل ظاهرة متميزة في موضوعها و في شكلها "[2].

إنها تجديد و خروج عن القصيدة العربية القديمة ، و لكن في بنية مضامينها و نظامها البلاغي فقط ، و ليس في نظامها الإيقاعي الموسيقى، على هذا الأساس فهي تقف مقابل الموشحات التي كانت خروجا في الشكل.

و الموضوع ذو شجون، فقد شحت الدراسات حوله و رغم أهميته لم يلق العناية ، من قبل الباحثين إلا نفر قليل منهم، لكننا وجدنا بصيص أمل ، أضاء لنا دربنا في خضم الظلام الذي شاب

---

[1]- د. خديجة السايح، **مناهج البحث البلاغي في النصف الأول من القرن العشرين في مصر**، تقديم .أ.د.منير سلطان، الإسكندرية (مصر)،(د،ط) ،(ب،ت) ، ص 134 .

[2]- د. لخضر عيكوس ،**جماليات البديعيات وخصائصها الفنية**، مجلة آفاق الثقافة والتراث، السنة السادسة ، العددان 22 / 23 ، قسنطينة ، 1989 مقالات ص78 .

البديعيات على امتداد المساحة العربية، و هي مقالات " لخضر عيكوس " يتحدث فيها عن مضمون البديعيات ، حيث حدده بثلاث فقرات يقول :" تشمل البديعيات على ثلاث فقرات أساسية، تشكل مجتمعة غرض البديعية الرئيس، الذي هو مدح النبي محمد صلى الله عليه وسلم تتمحور الفقرة الأولى منها، في العادة حول ذكر الأماكن المقدسة و الديار العامرة بأطياف الأحباء الظاغنين الذيـــن سافروا و تركوا الشاعر أشلاء مبعثرة "[1].

فالبديعيات لم تخرج في موضوعها عن نظام القصيدة العربية من خلال وقوفها على الأطلال والبكاء رغم تفردها في مضمونها ونظامها البلاغي، و في هذا الصدد سنحاول معرفة هذا البكاء والتشبيب ،كيف ورد في البديعيات ؟ ماذا يبكي الشاعر؟ على ماذا يتحسر ويتأسى؟ وأي حبيب يتغزل به؟.

" أما الفقرة الثانية من فقرات البديعيات ، تتمحور حول مديح الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتصور تاريخ سيرته المنطوية على عظيم المعجزات ونوادر الكرامات.......... " [2].

إن مدح الرسول (ص) في ظل البديعيات، يتميز بخصوصية معينة ، فهو غرض قديم في الشعر العربي حيث تعود " بداياته إلى أول قصيدة دبجت في مدح النبي محمد صلى الله عليه و سلم و الاعتذار إليه وطلب عفوه وصفحه وكانت تلك القصيدة من إبداع كعب بن زهير كما هو معروف ،و هي قصيدته"بانت سعاد" التي أطلق عليها اسم"البردة" [3] .

---

[1]- المرجع السابق، ص85.
[2]- المرجع السابق نفسه، ص 86.
[3]- المرجع السابق نفسه، ص 19.

على أن زكي مبارك يرى بأن أقدم قصيدة مدح بها الرسول (ص) هي قصيدة الأعشى التي يقول في مطلعها:

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا وَعَادَاكَ مَا عَادَ السَّلِيمَ* المُسَهَدَا [1]

ما يهمنا أن نجلي الطابع الذي اكتساه فن المدح من خلال الإشادة بخصائل أعظم شخصية في الوجود ، وماذا يرجو الشاعر من وراء هذا الزخرف البديعي ؟ و إلم يود الوصول؟

أكيد أن التلاحم بين فقرتي البديعيات يوصلنا إلى الفقرة الأخيرة ، عن ذلك يقول لخضر عيكوس: " أما الفقرة الثالثة فعادة ما تكون دعاء يرفعه الشاعر في نهاية قصيدته إلى بارئه راجيا منه الصفح والغفران و يضمنه صلاة دائمة على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، الذي تؤمل شفاعته يوم لا ينفع مال ولابنون "[2].

فالدعاء هو الخاتمة لكل البديعيات ، إذ يود الشاعر من خلاله الوصول إلى هدف سام سمو مدحه، حيث الغاية متفردة ومتميزة عن كل الغايات.

تبعا لذلك نحاول إجلاء المضامين التي عبقت برائحتها الزكية ، وأثارت الشعراء فجعلتهم يتهافتون عليها ، ويصبونها في قوالب لغوية رائعة و متباينة ، و قد ارتأينا أن يكون تناولنا للبديعيات من خلال الإشارة إلى بعضها فقط – لأن تناولها كلها يقتضي مجلدات- ثم نتدرج لنصل إلى بديعية "ابن الخلوف" كنموذج للدراسة ، ولكي يتحقق ذلك ، يجب أن نلج الباب بمعرفة أولى المفاتيح التي تفتح أمامنا آفاقا وتطلعات لفهمها واستخلاص اللؤلؤ من صدفاتها المترامية الأطراف في بقاع أرضنا العربية، وقبل ذلك نشير وبشكل سريع إلى عدد الأبيات التي وردت في كل فقرة من فقرات البديعيات بالنسبة للبديعيات

---

[4]- د.زكي مبارك ، **المدائح النبوية في الأدب العربي** ، ص 19.
[*]- السليم: هو الملدوغ و إنما سمي بذلك تفاؤلا له بالسلامة.
[2]- د. لخضر عيكوس ، **جماليات البديعيات وخصائصها الفنية**، مجلة آفاق الثقافة و التراث ، ص 87.

المختارة ، لنكون صورة عامة عنها، و هو ما يوضحه الجدول الآتي :

البديعيات	صفى الدين الحلي	ابن حجةالحموي	بديعية عبد الغني النابلسي	ابن الخلوف
الغزل	– 45 بيتا و السادس و الأربعون بيت براعة التخلص	– 45 بيتا	– 50بيتا و البيت الواحد و الخمسون بيت التخلص للمدح	– 80 بيتا
المدح	– 88 بيتا	– 88 بيتا	– 92 بيتا *و الثالث و التسعون بيت براعة الطلب*	– 180 بيتا
الدعاء	– 06 أبيات و السابع بيت حسن الخاتمة	– 04 أبيات	– 6 أبيات و السابع بيت حسن الخاتمة	– 06 أبيات و السابع بيت حسن الخاتمة

2– النسيب في البديعيات (المقدمة الطللية)

إن الشعر كان منذ القديم متنفسا للشعراء يعبرون من خلاله عن مشاعرهم ، وميولا تهم وكذا اتجاهاتهم " والغزل فرع زاك من دوحة الشعر الوارفة ، مازال يملأ النفوس المرهفة منذ غابر الأزمان، ويفعمها بأحاسيس عارمة من الحب والوجد، والبهجة واللوعة، والوصال والهجر" [1].

إنه شعر أصيل يحمل أسمى المعاني ، تحمل الإنسان إلى أبعد الحدود ، ويلهمه فيبدع لوحة فنية رائعة هاته المعاني التي هي: الحب، الوجد، اللوعة، الوصال، متميزة ومتفردة، ذات ألق شعري جذاب ودلالات عميقة، إن وشحت بطراز و حلة بديعية تتباين فيها الألوان وتتقارب الرؤى وتثير الأفكار إذ

[1]- د. عماد الدين خليل ، **مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت(لبنان) ،ط1 ، 1987 ، نقلا عن رسالة ماجستير ، شعر الاستغاثة للأندلس ، إسماعيل زردومي،باتنة، 1994، ص211.

تحيلها منبعا لا ينضب لشكل أدبي مختلف ، فكيف ورد الغزل الذي اشرأبت له الأسماع ؟، ومن ذلك سنحاول معرفة التأويلات و المعاني وراء هذا الزخم البديعي من خلال المقدمة الطللية، باعتبارها نقطة بداية و التقاء لكل الشعراء.

المقدمة الطللية

أولى شعراء البديعيات المقدمة الغزلية عناية فائقة ، وهو تقليد معروف منذ العصر الجاهلي، ولكن المفارقة أننا نجد في هذا النظم مقدمة طللية نسيبية، عبرت عنها أنواع بديعية شتى ، إذ الربط بين نسيب ونوع بديعي أمر يحتاج براعة ومقدرة فنية فهو نظم شعري يجمع بين النص الإبداعي الشعري وعلوم البلاغة مع غرض شعري ذي معنى عميق – مدح الرسول صلى الله عليه وسلم – فتتشكل لدينا بديعية ذات دلالات متفردة في شكل مختلف " فرغم الارتباط المعروف والمتفق عليه بين الشكل والمعنى فإن على الناقد ألا يقف عند حدود الشكل ويطيل الوقوف ، بل إن عليه أن يمضي إلى المضامين إلى ما سيثيره العمل الأدبي في وجدان الإنسان، وفكره من معان وتفاسير القضايا التي تجابه الإنسان إزاء الكون والعالم....... أن ذلك يعني أن الناقد .....يتجاوز حدود الجماليات الشكلية إلى مرحلة البحث عن الحق رغم ما ينطوي عليه الحق أحيانا من صور قد لا يستجملها الإنسان للوهلة الأولى " [1].

هذا هو لب الدراسة فما تثيره البديعيات في الوجدان ، أمر في غاية السمو والرقة والطهر والنقاء الروحي، فقدسيته مستمدة من عظمة الموقف في ظل انهيار العالم الإسلامي والانسحاب نحو الماضي– الغائب– ولن يتأتى لنا صبر أغوارها إلا من خلال إيجاد آليات البديعيات ضمن نصوصها الشعرية ، من خلال إتباع و توظيف التقليد الذي سارت عليه للولوج إلى عالم المضامين بداية بالمطلع.

يقول لخضر عيكوس " فأما المفتاح الأول فهو براعة الاستهلال ويتمثل في البيت الافتتاحي

---

[1]- المرجع السابق ، ص 211.

للفقرة الأولى من الفقرات المكونة لموضوع البديعية التي يتضمن تغزل الشاعر بأحبائه ، و التشبيب بهم بترديد ذكره لديارهم و معاهدهم .... "[1] – يقصد بالمفتاح القاعدة الأولى للبديعية أو منطلقها –.

حيث إن أصحاب البديعيات ربطوا موضوعهم بإطار ترسخ و تجذر في الشعر العربي ، وهو الوقوف على الأطلال ، باكين مستبكين ، ما يجعلنا نتوق لمعرفة هذا البكاء و دلالته – بكاء الديار– إنها تشذ وتختلف عن باقي الديار المتعارف عليها في الشعر العربي القديم ، فهي مقدسـة لصلتها بأعظم الخلـق (فسلع ، سلم ، علم ...) ، أماكن بجوار قبر الرسول صلى الله عليه و سلم ، و هنا يكمن التميز و التفرد ، إذ إننا نجد هذا النمط من البدايات لكنها تتحدث عن ديار الحبيبة ، فقد كانت بمثابة المنطلق ، لولوج عالم القصيدة منذ العصر الجاهلي و عن هذا يقول " ابن رشيق القيرواني " في " كتابه العمدة " ، في باب « عمل الشعر و شحذ القريحة : " سئل ذو الرمة ، كيف تفعل إذا انقفل دونك الشعر ؟ فقال كيف ينقفل دوني و عندي مفاتيحه ؟ قيل له وعنه سألناك ما هو ؟ قال : الخلوة بذكر الأحباب ، فهذا لأنه عاشق ، ولعمري إنه إذا انفتح للشاعر نسيب القصيدة فقد ولج الباب ، ووضع رجله في الركاب .... "[2] .

كان النسيب تقليدا لكثير من الشعراء ، فلا غرابة أن يبقى راسخا لدى شعراء البديعيات ، و السؤال الذي يطرح نفسه ، هل النسيب بقي ذاته أم أن له طابعه الخاص ؟وهل الرمز المكاني في البديعيات يختلف أم أن له دلالات عميقة و معان تلامس النفوس ، فتعزف لحنا شجيا يطرب الآذان و يثير الأذهان ؟.

بداية نجد "صفي الدين الحلي" يستهل بديعيته "الكافية البديعية في المدائح النبوية" بمطلع جميل يقول:

---

[1]- د. لخضر عيكوس ، **جماليات البديعيات وخصائصها الفنية،** مجلة آفاق الثقافة و التراث ، ص 88.

[2]- ابن رشيق القيرواني ، **العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده** ، تحقيق د ، عبد الحميد هنداوي ، ج2 ،المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت، ص 185 .

إِنْ جِئْتَ سَلْعًا فَسَلْ عَنْ جِيرَةِ العَلَمِ وَ أْقرِ السَّلَامَ عَلَى عُرْبٍ بِذِي سَلَمِ [1]

إنها بداية تنم عن ألق شعري جذاب يجمع بين سهولة اللفظ و عمق المعنى، فالمتلقي يتوارد إلى ذهنه المعنى بعفويته و بساطته لحسن سبكه ووقع ألفاظه ، و يندمج مع الخطاب من خلال إيحاءات المطلع فهو براعة استهلال لقصائد البديعيات، و نسج في نفس الوقت على منوال القصيدة العربية التي لا يبدأ مطلعها إلا بوقفة طللية، حيث إن الشاعر في العصر الجاهلي و قف و بكى و استبكى لفراق الأحبة و رحيلهم عن دورهم و المعادلة تبقى واحدة ، مع اختلاف في مكانة المحبوب ، و كذا الديار ، فهي مقدسة لصلتها بأنبل الخلق ، شفيع الأمة ومخلصها من الظلمات .

إن الشاعر يفتتح قصيدته بالغزل معبرا عن معاناته و آلامه فهو يبكي الديار التي غدت أطلالا، و صورا تتراءى له في الذهن يحاول بها استحضار الماضي الغائب، إذ العلاقة وجدانية وعميقة بهذه الأطلال، فالبكاء و الشجن يجسد حبا وطيد الصلة بهذا الطلل " الرمز " يقول في البيت الثاني :

فَقَدْ ضَمِنْتُ وُجُودَ الدَّمْعِ مِنْ عَدَمِ لَهُمْ وَلَمْ أَسْتَطِعْ مَعَ ذَاكَ مَنْعَ دَمِي[2]

هذا الوجد يأخذ الشاعر بعيدا إلى أجواء روحانية كانت وولت فالحب هنا كمعادل للفقد الحضاري و الإنساني لشخصية فذة ، لم يخلق أنبل منها و لا أكرم ، فهذا " ابن حجة " يعبر عن ذلك :

لِي فِي اِبْتِدَا مَدْحِكُمْ يَا عُرْبَ ذِي سَلَمِ بَرَاعَةٌ تَسْتَهِلُّ الدَّمْعَ فِي العَلَمِ[3]

إن البراعة لا تنم فقط عن الإبداع بل عن ورود الغزل في شكل بديعي يحمل دلالات عميقة ، (فسلع ، سلم) ، رموز مكانية يستحضرها الشاعر و يتمثلها تمثلا روحيا إنها مبارحة تنسكب معه دموعه و

[1]- د. علي أبو زيد ، **البديعيات في الأدب العربي (نشأتها ، تطورها ، أثرها)** ، ص 315.
[2]- المرجع السابق ، ص 315.
[3]- ابن حجة الحموي ، **خزانة الأدب و غاية الأرب** ، ص 19.

تتعاظم آلامه حتى تكاد تتمزق ضلوعه ، فهو هائم يبحث عن فردوس مفقود حيث الشاعر يحاول أن يقيم نوعا من التوازن بين عواطف إنسان و بين بعض المعطيات الخارجية التي تعادلها ، فالعاطفة تأبى الخمود ، و تتأجج في أعماق الشاعر و تترامى في ظل واقع يشوبه الانهزام و التردي الأخلاقي ، و التخاذل العربي فيؤول ذلك في ذاته حبا كبيرا لماض زاهر يجد فيه اللذة مع الألم ، يقول ابن حجة مواصلا :

بِاللهِ سِرْ بِي فَسَرْبِي طَلَقُوا وَطَنِي وَ رَكَّبُوا فِي ضُلُوعِي مُطْلَقَ القَسَمِ [1]

يبقى الحب و البديع مجتمعان فجمال المحبوب يوشحه جمال الشكل اللغوي – الوهاج – فتتراءى الصور جميلة و رائعة ، وتبدو البدايات ذاتها ، حيث نجد عبد الغني النابلسي يبتدئ بديعيته " نفحات الأزهار على نسمات الأسحار " بقوله :

يَا حُسْنَ مَطْلَعِ مَنْ أَهْوَى بِذِي سَلَمِ بَرَاعَةُ الشَّوْقِ فِي اسْتِهْلَالِهَا أَلَمِي [2]

فأي حسن تنفرد به مطالع البديعيات ، ثم أي معاني مخبوءة باسم البراعة ، فكلها تتلاقى في نقطة واحدة هي الاشتياق إلى ديار مقدسة تشذ عن باقي الديار " فسلع موضع يقرب المدينة و ذو سلم بالحجاز و العلم جبل فرد شرقي الحاجر يقال له أبان فيه نخل وفيه واد " [3] .

ألا يتيح لنا المطلع استثارة أعماق الذات لغرض الشاعر الذي يوده من خلال هذه الوقفة الطللية التي ابتدأت بمطلع نبأ عن مدى ارتباطه بالغرض ، وقدرته على إيصال معانيه ، ودرره إلى المتلقي ، في أبسط صورة و أقل لفظ ، و أعذب عبارة ، وقد جسدته التوشية التي نجدها في بدايات كل بديعية و المعبر عنها ببراعة المطلع ، و حسن الابتداء وهو" عبارة عن سهولة اللفظ وصحة السبك ، ووضوح المعنى ، ورقة

---

[1]- المرجع نفسه ، ص 54.
[2]- عبد الغني النابلسي، **نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار**، شرح البديعية المزرية بالعقود الجوهرية ، عالم الكتب ، بيروت ،(د،ط) ، (ب،ت)،ص342.
[3]- صفي الدين الحلي، **شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة و محاسن البديع** ، ص 57.

التشبيب ، وتجنب الحشو ، وتناسب القسمين ، و أن لا يكون البيت متعلقا بما بعده "[1] .

هذا ما ورد في البديعيات الثلاث فأكيد أن لها نظاما خاصا وفق خصائص معينة ، كانت فيها الألفاظ دليلا على المعنى ، من ثم كانت الأنواع البديعية كأدلة على معان بذاتها ، حيث نلاحظ اشتراك البديعيات في براعة المطلع ، الذي يومئ لبدايات المعاني ، شأنه شأن البنية العامة التي تحيل إلى بنيات أخرى متعددة حيث " تقوم جمالية النص الشعري على تضافر المستويات المختلفة المكون للقول المكتوب فيه بما يتناسب مع الوجهة العامة للتعبير الذي تأتي به فتقيم تكافؤا عاما في بنيته العامة تتـــردد في مستويات تكوينه المتعددة "[2] .

فالمقدمة تشير إلى بدايات عامة توحي بدلالات متفرعة ،تؤول إلى جذر واحد ، حيث البدايات المتمثلة في " براعة الاستهلال " و التي أحسن أصحاب البديعيات اختيارها لقصائدهم المطولة ، التي تحيلنا إلى معرفة خبايا النص ومضامينه و كذا الغرض ، و يتجلى ذلك في مطلع بديعية ابن حجة الحموي – الذي أشرنا إليه –حيث " شبب بذكر سلع و السؤال عن جيرة العلم ، و السلام على عرب بذي سلم ، و لا يشكل على من عنده أدنى ذوق أن هذه البراعة صدرت لمديح نبوي"[3]، حيث إننا نجد كل شاعر أبرز مقدرة شعرية و براعة فنية خاصة ، إذ إن علم البديع يحتاج إلى قدرات أكبر و طاقات تعبيرية لتشكيل لوحات جمالية ، تحمل بين أشكالها دررا ، وعبقا سحريا ، وشجنا زمرديا ، فهاته المطالع تحيلنا وتستوقفنا أمام دوال : « البراعة ، سلم ، علم ، دمع ... » و التي بدورها ترمز لماض زاهر يتشوق إليه الشاعر ، و يحاول الانسحاب إليه من خلال التغزل بالأماكن ، بألوان بديعية تغلف أساه و ألمه ، و تعلن عن براعة و حب كبير للبديع ، حاول موازاته وحب الرسول صلى الله عليه و سلم .

---

[1]- المرجع نفسه ، ص 57.
[2]- د. سامي سويدان ، **في النص الشعري العربي (مقاربات منهجية)**، دار الآداب ، بيروت (لبنان)، ط2 ، 1999، ص 61.
[3]- ابن حجة الحموي ، **خزانة الأدب و غاية الأرب** ،ج1 ، ص 73.

فموضوع البديعيات رغم قدمه ، إلا أنه أثير في زمن ضاعت فيه السلطة العربية و المبادئ و القيم وشوهت ، وتاه المسلمون ، فكانت التجربة أعمق و أصدق و أشجى ، حيث العلاقة الوجدانية بين الطلل و الشاعر عميقة عمق المأساة، فلا غرو أن تأتي البديعيات بهذا النسق المعرفي البديعي، المثير للشجن ، إذ "الشعر يجب أن يكون غناء شعريا ينبجس من الذات ويتصل بالقلب ويلامس النفس " [1]، وعليه فإن الوقوف على الأطلال غدا ذا صبغة خاصة من خلال المعاني التي توحي بها الأنواع البديعية، فهاته الوقفة الطللية " لها مكانتها كما أن لها أهميتها في الاحتفاظ بطابع النظام الاجتماعي والخصائص الأخلاقية والاهتمامات الإنسانية التي كانت تشغل المجتمع " [2] .

و لقد تبين لنا مما سبق أنه و رغم قدم هذا التقليد – الوقوف على الأطلال – و اتباع الشعراء له ، إلا أنه يكتسب طابعا خاصا في هذا النظم الشعري الفذ ، هذا ما يتضح في المقدمة الطللية ، أما بالنسبة لباقي المعاني، فان الشعراء ساروا على منوال واحد من ذكر لفراق الأحبة ومواءمة ذلك و أشعارهم من خلال أنواع بديعية متباينة في البديعيات الثلاث، لكن يبقى التجسيد ذاته للوعة، الحب والوجد الحارق، والرغبة في اللقاء، رغم أن المعنى هو لقاء وزيارة أقدس الأماكن ، ولا يسع المجال للتفصيل للتشابه الواضح فيها.

لذا ارتأينا التركيز على بديعية ابن الخلوف موضوع الدراسة ، لنستقصي معانيه ، و نحاول معرفة إن تميزت عن باقي البديعيات – فقد أسهب فيها – غير مبتعدين عن أولى البدايات.

---

[1]- د. رجاء عيد، **المذهب البديعي في الشعر والنقد** ، ص204.
[2]- د.محمد عبد الواحد حجازي ، **الأطلال في الشعر العربي (دراسة جمالية)**، دار الوفاء، الإسكندرية (مصر) ، ط1 ، 2002 ، ص197.

2- النسيب في بديعية ابن الخلوف " مواهب البديع في علم البديع "

إن بديعية ابن الخلوف – ذو الأصل المغربي القسنطيني المولد – ترجمان لزمن عاش فيه الشاعر و لبيئة بأحداثها و تداعياتها ، "حيث يغدو النص فضاء معرفيا تتداخل فيه الذات المبدعة مع السياق الذي قيلت فيه و تنحل في الحدث و الهاجس الذي دفعها إلى القول و ما يتولد عن ذلك من علاقات تفاعلية و حركية تمثل المحرك الأساسي في حركة النص و انسجامه و سيرورته " [1].

و سنحاول في هذا الصدد دراسة النص – البديعية – فهي تجسد الصوت المغربي القسنطيني الأصل، التونسي الدار، إنها ثلاثية تثير فينا الحماس و الرهبة ، و " البديعية من عيون الشعر "[2] كما قال عنها " العربي دحو " ، و يضيف متحدثا عنها و عن متناوليها بحيث يذكر أنها " الأثر الشعري الذي ذكره السخاوي و تحدث عنه هشام بوقمرة فقال: « وتوجد هذه البديعية بدون عنوانها المذكور في مخطوط بدار الكتب الوطنية من الخزانة الأحمدية رقم 1429 و هي في الصفحات 19 – 26 و أولها :

أَمِنْ هَوَى مَنْ ثَوَى بِالبَانِ وَ العَلَمِ   هَلَّتْ بَرَاعَةُ مُزْنِ الدَّمْعِ كَالعَنَـــمِ

أَمِـــــنْ بُرُوقِ الحَيِّ إِذَا لَمَعَــتْ   تَمَّتْ مُمَاثَلَةُ الأَحْشَـــــاءِ لِلضَّرَمِ " [3]

و يضيف حول البديعية قائلا " و تقع في حوالي ست و عشرين و مائتي بيت من الشعر تبدأ بقسم غزلي في ثمانين بيتا ثم ثمانين يأتي المديح النبوي و آخرها دعاء لنفسه و المؤمنين :

يَارَبِّ سَهِلْ إِلَى الجِنَـــابِ مُنْقَلَبِي   وَ نَجِّنِي بِامْتِدَاحِي مِنْ لَظَى الضَّرَمِ[4]

---

[1]- د. عبد القادر قيدوح ، **دلائلية النص الأدبي - دراسة سيميائية للشعر الجزائري** - ،ديوان المطبوعات الجامعية ،وهران(الجزائر)،ط1 ، 1993، ص 32.
[2]- د. العربي دحو ، **ابن الخلوف و ديوانه جني الجنتين في مدح خير الفرقتين** (المعروف بديوان الإسلام) ،ص 47.
[3]- المرجع نفسه ، ص 44.
[4]- المرجع نفسه ، ص 44.

فلقد اهتم " العربي دحو " بالشعر المغربي مسلطا الضوء على الكثير من المطموس منه في ظل الركام..من ثم كان التكامل ، فبالإضافة إلى ما قام به ، نجد في المقابل هشام بوقمرة يتحدث عن البديعية مضيفا:" هذا و قد أغفلنا إثبات بديعية "ابن الخلوف" في هذا التحقيق لأسباب أهمها أننا لم نجد لها نسخة أخرى غير نسخة المخطوطة الأحمدية التي أشرنا إليها و هي سيئة صعبة القراءة و ثانيها أن تحقيقها يتطلب عملا خاصا في تخريج قواعدها و أمثلتها " [1]، و هكذا تتضافر الجهود و تتواصل حيث إن "العربي دحو" يضفي ألقا وجديدا على هاته البديعية بقوله :" و هي كما تحدث عنها كل هؤلاء بخصوص مضمونها و مطلعها و عدد أبياتها تقريبا لكنها خلاف ما ذكر بوقمرة بخصوص وجود نسخ منها غير التي ذكر ، إذ أنها إلى جانب تلك التي أشار إليها "النسخة الأحمدية" و التي وقفنا عليها ، فإننا نملك صورة لها من نسخة مخطوطة موجودة في المكتبة القومية التونسية ، و هي التي كانت من قبل في خزانة حسن حسني عبد الوهاب ، و قد كتبت من جهتها بخط مغربي لكنه مقروء في أغلبه مع وجود بياضات أحيانا تدل على كلمات سقطت منها ، علما أن رقم النسخة الخطية الموجودة فيها هو **17943** و قد اختلفت مع النسخة الأحمدية في النهاية إذ نجد البيت الذي أشار إليه هشام بوقمرة على أساس أنه به ختمت البديعية ، تعقبه ستة أبيات أخرى آخرها في هذه النسخة:

وَ بِابْتِدَاءِ المَدِيحِ خَلِّصْ أَهْلَ مِلَّتِهِ   وَ وَالِدِيَ وَ هَبْ لِي حُسْنَ مُخْتَتَمِ [2]

و من جملة ما نوه إليه كذلك وجود ما يسمى بالمشجر [*] في البديعية.

وبتوفر هاتين النسختين و بعد أن حققتها الأستاذة حورية رواق تسنى لنا الحصول على البديعية كاملة ، بما تحمله من زخم بديعي و تراث شعري جد هام يجسد حقبة زمنية بأحداثها و مضامينها ، فلا

[1]- المرجع السابق نفسه ، ص 45.
[2]- المرجع نفسه ، ص 46.
[*]- انظر شكله في الملحق.

غرو أنها درة من الدرر تستحق الدراسة و البحث لصبر أغوارها و استكناه دلالاتها و مضامينها و خصوصية هذه التجربة البديعية ، من خلال الجمالية الفنية ذات الطابع العلمي الوجداني الروحي ، إنها ثنائية فذة قلما يتمكن منها شاعر و يبرع فيها .

و لذا و سعيا لتحليل هذا العمل الأدبي الذي نراه متميزا بالرغم من أنه مطموس ، آثرنا أن تكون أولى البدايات متعلقة بالمضامين ، فهي في البديعيات كما نعلم مديح نبوي، و من هنا كانت كذلك بديعية" ابن الخلوف " التي هي عبارة عن قصيدة في مديح النبي صلى الله عليه و سلم تتكون من مائتين و ستة و عشرين بيتا تبتدئ بمقدمة غزلية مفعمة بالوجد الحارق و الأشواق الروحية لأماكن كانت تظل المحبوب البعيد القريب ، لكن أي محبوب إنه شفيع الأمة و نبيها ، فالشاعر يصور ذكريات من خلال أماكن مقدسة ، يود من خلالها الانسحاب و العودة إلى ماض زاه ، ثم يخلص من تلك المناجاة الروحية إلى غرضه و هدفه الأسمى و هو مدح الرسول صلى الله عليه و سلم ، أنبل الخلق مشيدا بصفاته و شمائله (ص) و آله و صحبه ، في شكل زخرفي جميل يجمع بين الغرض التعليمي و الروح التي ترفرف بين جوانح الألوان البديعية لتعبق من سحرها و تلتمس الأعذار لمن حاد عن نور الإسلام ، فكانت الخاتمة دعاء و تضرعا لنيل الشفاعة ، و ستكون البداية مع أولى الفقرات – سبق الإشارة إليها – المقدمة النسيبية ، فهي تقليد معروف في الشعر العربي ، حيث و قف الشعراء الجاهليون على الأطلال و بكوا و استبكوا ، و تحدثوا عن ليلى و سعاد و هند ....الخ.

لكننا هنا أمام نص مختلف ، فكيف ورد الغزل في بديعية ابن الخلوف و هل تفرد فيه أم لا ؟ بحكم أنه موسوعي الثقافة وكتب في شتى الأغراض ؟ ثم أي خصوصية اتسمت بها بديعيته ؟ ما التميز فيها ؟هل في الألوان أو المضامين أو أن العلاقة وطيدة بينهما ؟و نعرف ما إذا كان قد أضاف جديدا ؟.

و هو ما سنحاول الكشف عنه و عن العناصر المكونة لها ، منطلقين من المقدمة الطللية في بديعية

ابن الخلوف، فماذا أضاف يا ترى إلى التشكيل من معان ؟

أ- المقدمة الطللية (النسيب النبوي)

إن الطلل له دلالته العميقة ، فهو رمز لحقائق جوهرية في الحياة لمشاعر ، لآهات و ذكريات ، حيث يعد حلقة وصل بين الحاضر و الماضي ، فلا غرو أن يبقى الشاعر العربي محافظا على هذا التقليد منذ القدم ، و يجعله متنفسا له في كل ما يعانيه من أزمات نفسية ، اجتماعية ، ثقافية ، و هاته المقدمة بقيت بصمة لكل القصائد العربية ، و "ابن الخلوف" شأنه شأن أولئك الشعراء – فلقد ابتدأ قصيدته بمطلع نلمح من خلاله نارا متقدة و شوقا لافعا و حبا يكاد يمزق ضلوعه و ذكريات و شوقا و حنينا ، يقول :

أَمِــنْ هَوَى مَنْ ثَوَى* بِالبَانِ* وَ العَلَمِ   هَلَّتْ بَرَاعَةُ مُزْنِ الدَّمْعِ كَالعَنَـــمِ

أَمْ مِــنْ فُرُوقِ* بُرُوقِ الحَيِّ إِذَا لَمَعَتْ   تمـــتْ مُمَاثَلَةُ الأَحْشَاءِ لِلضَّـرَمِ

فَاسْتَــوْفِ مَدَّ نَــوَالٍ مَدَّ نَائِلُهُ   مِنْ مَنْ وَادِعُهُ يَا جَامِـعَ الكَلِـمِ

وَ صِــلْ بِبَدْرِ تَمَــامٍ مِنْ مَحَاسِنِهِمْ   مَضَـــاهُ لِلَيْلِ تَمَام مِــنْ شُعُورِهِمِ

وَ حَيَّ سَلْعًا ، وَ سَلْ عَنْ حَــالِ مُخْتَلِفٍ   وَ اخْضَعْ وَ سَلْ مَا لِسَلْمَى رَكِبَتْ سَقَمِى[1]

"ابن الخلوف" يتفرد بمطلعه الغزلي ، و يوقعه على صفحات قلوبنا قبل أسماعنا ، فقد وجد الشاعر فيها متنفسا للتعبير عن مكنون ذاته المتألقة و المناجية لحب كبير لا يضاهيه حب ، فكان الهوى ، آلام البعد و الهجران ، إنها نوع من المناجاة الأليمة ، تجلى ذلك في سؤاله الاستنكاري : أمن هوى ....؟ مازجا بين موهبته البديعية و الموقف متفردا بذلك عن أصحاب المطالع السابقة في الشعر العربي ،

---

*- ثوى : ثوى المكان و اثوى = أقام

*- البان : نوع من الشجر

*- فروق : من الشيب و أي أوضاح منه .

1- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص5.

فروعة الشعر تتجلى في هذه التوأمة الروحية بين المكان و المحبوب و الألم و السعادة ، براعة الاستهلال و الوقفة الطللية ، إنها نادرة في الشعر العربي ، حيث يتخذ الشاعر سبيل الدموع كملاذ له ، فكأنها معادل موضوعي لحياة زاهرة كانت وولت ، لكنه لا يبكي المكان بل يتوجع يبكي حياة وحدانية بأسرها ، أياما خالدة ، الثابت الغائب ، فعباراته " أمن هوى من ثوى "،" هلت براعة مزن الدمع "،" مماثلة الأحشاء للضرم "،" جامع الكلم "،" حي سلعا "، " و سل عن حال مختلف "، "سل ما لسلمى " ، .... إلخ ، كلها تؤول إلى دلالات عميقة " ومن له أدنى بصيرة يعلم أن للألفاظ نغمة لذيذة كنغمة أوتار "[1] ، و بذلك تتناهى الدوال إلى ذهننا عند قراءتها في نغمات تثير الجدل و التساؤل حول دلالاتها التي تفتح مجالا للقارئ ليسمو بمخيلته ، فتتكاثف و تتوارد الأفكار و التفاسير و التأويلات فنحن أمام شكل أدبي ببديعيته و جماليته ، إذ يكشف عن شيء جوهري ، إنه مضمون فترة من فترات التاريخ الهامة ، و ما ينبغي أن نلاحظه أن " التعبير في مضمون حقبة تاريخية معينة سوف ينتج حتما تعبيرا (متناظرا) له في الشكل "[2].

من ثم فالكشف عن مضامينها يعني تسليط الضوء على حقبة من تاريخنا المجيد وهو أمر في غاية الأهمية و يستحق العناء فرغم سير بديعية "ابن الخلوف" على نهج القصيـــدة العربية من خلال بدايتها بالمقدمة الغزلية، إلا أننا نلحظ تفاوتا وتميزا من حيث الجمـــع بين ألـــوان بديعية و غزل اتخذ طابعـــا زخرفيا إذ " الانتقال الفكري يكون في تغير المضمونات التي يقصد إليها المتحدثون و المتعاملون بتلك الألفاظ و المعاني المجردة "[3] ، فلا شك أن تكون البديعية كذلك ، باعتبار الواقع الاجتماعي آنذاك ، ثم إن الغزل و الحب في هاته القصيدة يرتكز على وشائج روحية عميقة تتجاذب فيها آمال الشاعر و آلامه و تتصارع يقول :

---

[1]- حسن ناظم ، **البنى الأسلوبية (دراسة في أنشودة المطر للسياب)** ، المركز الثقافي العربي ، بيروت (لبنان) ، ط 1 ، 2002 ، ص 83.

[2]- د : سمير أبو حمدان ، **الإبلاغية في البلاغة العربية** ، منشورات عويدات الدولية بيروت (لبنان) ، ط 1 ، 1991 ، ص 91 .

[3]- زكي نجيب محمود ، **تجديد الفكر العربي** ، دار الشرق ، بيروت (لبنان) ، ط 6 ، 1980 ، ص 177 .

وَ عِشْ بِتَعْلِيقِ مَعْرُوفِ الوِصَالِ ، وَ لَا   تَقُلْ هَانَ دَمْعِي يَا قَــوْمٌ فَيَا نَدَمِـــي

وَ شَابِهِ السُّقْمَ بِالْــمَفْرُوقِ مِنْ جَلَــدٍ   فَقَــدْ حَدَا بِهِمْ حَادِي رِكَـــــابِهِمِ

وَ بِالْمُشَـــابِـــــهِ لَفِقْ قَدْرَ مَا قَطَعُوا   بِنَاظِر قَـــدْ رَمَى ، أَفْلَاذَ حُبِّهِـــــمِ

وَ إِنْ رَجَـــوْتَ فَدَعْ تَفْرِيقَ دَاهَرَ مَا   أَبْدُوا وَ سَـــلْ عَنْ دَمِ القَتْلَى بِحُبِّهِمِ [1]

لعل ما يلفت انتباهنا هذا المزج بين الحب و الألم ، و البديع ، إذ تتسع الدلالات و تتجسد أكثر ، و تبدو محاولة الشاعر جلية في المواءمة بين تجربته الأليمة و الأطلال ، فجاءت الدلائل و الإشارات مرتبطة بالمكان و الزمان ، فسلع ، العلم ، موضعان قرب مدينة الرسول صلى الله عليه و سلم ، مكة إنها تومئ إلى ما كان في عهد الرسول صلى الله عليه و سلم من ازدهار واستقرار و ود وحب ، إذ الأمكنة رمز لدلالات روحية عميقة .

ولعل هذا التوثيق و التوظيف الجديد للغزل من خلال إضفاء صبغة بديعية ، ونسج محكم في صور خيالية ، تربو عن الواقع معانيها المتناثرة هنا و هناك ، بداية بالمطلع الذي يعد من أحسن ما قيل .... فمزجه بين الدمع، و العنم، و براعة الاستهلال، من أروع المطالع و أعلقها بالذهن و أكثرها تأثيرا ، و إيصالا للمعنى ، فقد واءم بين النظم ، و الغزل ، و اتبع مع ذلك نظام القصيدة العربية القائم على " بدء القصيدة لمقدمة شمل ذكر الأطلال ومخاطبتها ليجعل من ذلك سببا لذكر أهلها الظاغنين عنها لأن حياتهم كانت تقوم على الرحلة من مكان لآخر تتبعا لمساقط الغيث وانتجاعا للكلأ ، ثم الغزل لاستمالة القلوب نحوه و استدعاء الأسماع إليه ، مع ما جعله الله في تركيب العباد من محبة الغزل و إلف النساء ، ثم وصف الرحلة و ما تجشمه من النصب و السهر وهول الليل و هجير النهار و اتضاء الركائب ليوجب على

---

[1]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص5.

ممدوحه حق القصد و الرجاء "[1] ، لكن "سلع" ، "البان" ، "العلم" أماكن يحن إليها – لها خصوصيتها – ، إلى ماض كانت فيه رمز الكرامة و السمو و الازدهار، فسلمى الواردة في المقطع ، هي الماضي ذاته و غاب طيفه كما غابت سلمى الحبيبة ، إنها معادل موضوعي للماضي الذي ولى و تغيرت معالمه الجميلة ، هاته الأماكن ،" مواطن، و جبال، و أودية ، تحيط بالمدينة المنورة ، فدل بهذا الذكر على أن حبه ليس كحب سواه من الشعراء ، و إنما هو حب متمثل بالرسول صلى الله عليه و سلم و ما هذه المواطن إلا أطر للمدينة المنورة تنشق من عبق الحبيب الكريم "[2].

إنها نسمات و أريج هفا في نفس الشاعر، فأبدع بين مضمون فذ، و علم شائق ومميز — علم البلاغة — قلما يتمكن منه شاعر و هنا تكمن خصوصية المطلع الغزلي من خلال العاطفة السامية ، الجانب الروحي، الذي هيمن على المضمون المادي و استوعبه ، فلا نجد إلا نفحات روحية تنبئنا عن واقع آلم الشاعر ، فجاءت بديعيته متماهية إلى القداسة التي تشيع في استهلالها وفي تماسكها الدلالي ، الذي يحيلنا إلى أيديولوجية فكرية، خاصة حيث " لغة الأثر الأدبي و أسلوبه و تركيبه و طابعه الجمالي تتحدد بمضمونه أي التصور الذي يكونه الفنان لنفسه عن الواقع و بالتجربة التي يمتلكها ، و بالإيديولوجية التي يعبر عنها "[3].

إن المضمون عميق جدا ومميز لهذا أنتج شكلا أدبيا مختلفا ، وعبر عن تناقضات المجتمع وما حصل فيه من تغير رهيب ، ثم إن الشاعر لم يتوقف عند البكاء بل أن تجربته أعمق من كل ذلك ، إذ يستمر في التعبير عن أسى روحي ، يجذبه إلى هوة سحيقة تربطه بواقعه، و يتجسد أكثر من خلال تذكره لأحبته.

---

[1]- د .أشرف محمود نجا ، **قصيدة المديح في الأندلس ـ قضاياها الموضوعية و الفنية (عصر الطوائف) ـ** ، دار الوفاء ، الاسكندرية (مصر)، ط 1 ، 2003 ، ص 112.

[2]- د. بكري شيخ أمين ، **البلاغة العربية في ثوبها الجديد ـ علم البديع ـ** ، دار العلم للملايين ، بيروت (لبنان) ، ط 1 ، 1987 ، ص 13 .

[3]- د .رمضان الصباغ ، **عناصر العمل الفني (دراسة جمالية)** ، دار الوفاء ، الإسكندرية(مصر) ،(د،ط)،(ب،ت)، ص 112 .

ب – فراق الأحبة و ارتحالهم

تبقى المعاني متوالية ، متخذة طابعا جماليا ، فبعد وقفة الشاعر أمام الطلل مستحضرا الماضي ، يزداد معه ألمه إنها المفارقة أن يحمل الأحبة أسى روحيا لمن يحبونهم إذا كانت أحلاما و أمالا و لكنها سرعان ما انقضت يقول :

وَ كَمْ بِخَيْرٍ وَ جَيْرٍ* صَفَّحُوا* كَلِمِــي   وَ حَرَّفُوا بِوُقُــوعِ الحِلْمِ فِــي الحُلْمِ

وَ كَمْ بِسُخْطٍ وَ شَحْطٍ* صَرَّفُوا نَظَرًا   يَا مَا مَــلَا القَلْبَ لَما مَــالَ بِالأَلَمِ

لَكِنَهُمْ مَــرَرُّوا نَدْوَى الفُــؤَادِ بِمَا   قَدْ جَرَّدُوا الشَّوْقَ مِنْ بِلْبَالِ عَهْدِهِمِ

وَ فِي مَجْنَحِهِــمْ مَا زَالَ العَوَاذِلُ مَنْ   أَثَارَ بِالــحُبِّ قَلْبًــا غَيْرَ مُنْقَسِمِ[1]

الشاعر يراوده حلم العودة و تحقيق هدفه الأسمى ، فهناك كان الحب ، الوعود ، الآمال ، إنه يعلن في هذه الأبيات نوعا من الثبات في الحب الذي يقابله التبدل في قوله"وحرفوا بوقوع الحلم في الحلم" و الغياب الطارئ – الحبيب – الذي يترك في نفسه الأسى العميق ، إنه النسيان يلوح في أفق الشاعر الذي يشوبه الانقطاع و الصمت ، في ظل الانكسار الروحي الظاهر في المحبوب ،المخبوء في الواقع ، فمن خلال أبياته تتجسد معاناته ، فالشاعر كان يتمنى بقاء السعادة و الألفة لكن هيهات ، فقد كانت التجربة أليمة و الانفعال واضحا ، إذ نحس من الأبيات طاقة وجدانية تنبعث و تحلق بنا إلى أسمى مراتب الحب ، فقلبه يناجي مناجاة عاشق، هاله يوم الفراق وصدمه ، فبين الواقع الذي يرفضه الشاعر ، و الصور التي يودها

*- جير : بمعنى أجل ، وجير : بمعنى اليمين.

*- صفحوا : نظر إليه بصفح وجهه ، ويصفح وجهه ، تصفح الشيء تأمله و نظر في صفحاته ، و تصفح القوم نظر في أحوالهم أو نظر في خلالهم هل يرى فلانا .

*- شحط : بعيد مضطرب ، اللسان مادة : شحط.

[1]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص6.

كترجمة لذاته ، حيث إن المضمون عميق جدا ، خاصة و أن الشاعر يتحدث عن آلامه – المحبوبة – الذي يؤديه ذكر الجمال في قوله:

وَ سِمْ بِتَجْنِيسِ عَلْس* الأَيْمَيْنِ وَ سِمْ   مُمَتَّعًــا مُنعَمًا بِالَمْيْسَمِ* النَّظِمِ1

إنه انحراف يجعل للمضمون عمقا أكبر و يحيلنا إلى دلالات تتواشج راسمة لوحة فنية متميزة ، إذ يرحل بنا الشاعر من الحاضر إلى الماضي :" فيكون الشجن التاريخي أعمق و اكثر مدعاة إلى التألم و الأسى على الماضي الحضاري أو على ماضي الإنسان و قد تخرج العبرة هادئة رصينة بعد تأمل هادئ رصين "2.

فعندما نحاول معرفة ماهية هذا الحب و الوجد بالمحبوب الغائب ، نجد حبا عظيما يخلده التاريخ و هو حب الرسول صلى الله عليه و سلم ، وما يمثله من أحداث، و انتصارات للأمة الإسلامية، يقول في ذلك :

وَ اخْبِرْ مُشَوَّشَ عَقْلٍ ضَلَّ أَنْ يَسِمُوا   عَنْ أَشْنَبٍ* شَرْقٍ* أَو أَلْعَسَ* شَبِمِ*

وَ كَمْ أَمَامَ حُنَيْنٍ أَطْلَقُــوا وَ سَبَــوْا   يَا مَعْنَــوِيًا تُجَاهَ القُدْسِ فِي الحَرَمِ[3]

هنا تتجلى خصوصية الغزل أكثر مع التفاتات الشاعر وعدوله عن الموضوع إلى ما ورائه، و اجتماع الزخرف البديعي – المذكور في الأبيات – ثم إن التواشج يضفي طابعا خاصا على هاته البديعية، إذ تتوارد المعاني لدى الشاعر فنجد ، الحب ، الهيام الذي يصل إلى أسمى و أعلى الدرجات حيث تنساب

---

*- علس : المجرب ، اللسان .
*- الميسم : الجمال.
1- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص6.
2- د. محمد عبد الواحد حجازي ، **الأطلال في الشعر العربي (دراسة جمالية)** ، ص 19.
*- اشنب : نقط بيض في الاسنان ، وقيل حدة الانياب اللسان مادة شنب.
*- شرق : التشريق ، الجمال .
*- لعس : سواد في الشفة مستحسن.
*- شبم : في الأصل وضع العود في فم الجدي ، و هو البرد ، اللسان مادة شبم.
3- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص7.

المعاني ممتزجة بالحب الإلهي من خلال حب الرسول صلى الله عليه و سلم ، التي تتجلى في قوله:

اَعِنْدَهُـــــمْ وَ عُيُونُ اللهِ تَحْرُسُهُـــمْ ‏ ‏ ‏ مِنْ اِعْتِرَاضِ حَسُودٍ لَمْ يَقُلْ بِهِـــمِ

همُ ، همُ العَيْنُ حُلوُهَا وَ مَا سَفَرَتْ ‏ ‏ ‏ إلاَّ لِتَصْرِفَ فِي اِسْتِخْدَامِ عَبْدِهِمِ

أَبـــورُ أنَّ مَنَـــامِي طَـــائِرٌ أَبَـــــدًا ‏ ‏ ‏ حَتَى يَقُصَ بِمَا عَانَيتُ فِي الحُلُـــمِ

وَ [ ] فَجَرُوا إِذْ بَرَوْا جَسَـــدِي ‏ ‏ ‏ عَمْدًا ، وَقَالُوا: لَقَدْ صَحَيتَ بِالسَّقَمِ[1]

إنه التحام مع المحبوب واستلذاذ الألم ، لا غرو فهو متميز يحمل الشاعر إلى رحلة نورانية في أعماق النفس البشرية ، بحثا عن الطاقة الروحانية التي تمكنه من تخطي الواقع المادي المزيف ، وهو في هذا لا يختلف كثيرا عن الشعراء العذريين الذين حافظوا على هذا التقليد ، وكذا الصوفيين في أحوالهم ومقاماتهم في بحثهم عن النور الإلهي، رغم أن المشابهة ليست كلية. فهنا وفي إطار البديعية غدا الغزل مع الألم في مرتبة سامية، يتواشج فيه الدين مع الحب فيرقى، والنظم العلمي يوشحها مما يمنح القصيدة نوعا من التجلي للمعاني ، يثير التساؤل والشجن والرغبة في الإبحار في عالم من التأويلات والتفسيرات حيث إن " التأويل إذا لم يكن مستندا إلى مشروع فكري وسياسي فانه يكون مجرد مادة استهلاكية أو لهوا ولعبا يشغل عن الحياة الدنيا وعن الآخرة "[2].

حيث يتناهى إلى ذهننا وفكرنا إيديولوجيات شتى ، إذ رأينا أن البديعية تجسد قيم أمة بأسرها، وفكرا يعبر عن الحالة الاجتماعية والسياسية آنذاك ، ورغم توظيف الشاعر لألفاظ الغزل المعروفة (القلب، الفؤاد ، الشوق، العواذل ، البرء السقم ....الظبي)، إلا أننا نلتمس بين ثناياها دفقه شعورية وعاطفة نادرة

1- المرجع السابق نفسه ، ص07.

2- د. محمد مفتاح ، **التلقي والتأويل (مقاربة نسقية)**، المركز الثقافي العربي، بيروت (لبنان) ، ط2 ،2001 ، ص 144.

الوجود ، تلخص كل الأسى النفسي العميق، الذي يعانيه الشاعر مجسدا بذلك واقعا أصابه التردي ، رغم ذلك يبقى يحاول مواساة نفسه والتغلب على حزنه، والتكيف والوضع حيث يتطور هذا الحب ليغدو حبا صوفيا ويسمو، يقول:

وَ بِالتِفَاتِ* الهَوَى صَادُوا النُّفُوسَ فَهَلْ عَايَنْتَ يَا ظَبْيُ* اشْرَادَ التِفَاتِهِـــم

وَ مَا تَخَيَّلْـــتُ أَنَّ الرَّوْضَ أَوْجَهَهُـــمْ حَتَّى رَأَيْتُ بِهَا السُّوسَانَ* فِي الظُّلُمِ[1]

إلى أن يقول :

يَالَيْتَ طَرَفِي تَمَّنَى حُسْنَ رُؤْيَتِهِمْ لَعَلَّ قَلْبِي بِرَجْلِي نِيْلَ وَصْلِهِـم

دَعْ وَ اجْتَنِبْ مَا بِهِ يُخْشَى نَظِيرَهُمُ وَ اقْصِدْ بِقَولٍ جَمِيلٍ حُسْنَ مَائِهِمِ

وَ إِنْ تَعَجَّبْتَ فَاسْتَقِمْ هُدِيتَ بِهِـــمْ كَيْفَ الظِّبَاءُ تَصِيدُ الصَّيْدَ فِي الأَكَمِ* [2]

إنها إيحاءات لما يعيشه الشاعر من صراع داخلي وآلام نفسية سببتها التجربة العاطفية ، بحضور التعجب والاستفهام والتمني فالتعجب تقابله صورة الاستفهام ، حيث يفرض التناقض نفسه، ويستمر هذا الجو النفسي المفعم بالحب، الألم ، الأمل ، إلى أن يصير حبا روحيا عميقا يتسامى ليصل الذروة ، قمة الوجدان ، إنه معادل للحياة ، ولبعث النار من تحت الرماد ، يقول:

وَ صَحَّ قَلْبِي بِتَعْلِيلِ النَّسِيمِ لِذَا تَرَاهُ يَسْأَلُهُ عَنْ طِيبِ عُرْفِهِم[3]

---

*- الإلتفات : عند الصوفية : العدول عن الغيبة الى الخطاب والتكلم والعكس، التعريفات للجرجاني ،ص51.
*- ظبي :الغزال .
*- السوسان : زهر من فصيلة السوسنيات.
[1]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص 8.
*- الأكم : الموضع الذي هو أشد ارتفاعا مما حوله ،ج.مفرده أكمة: و هي التلة الملتفة الأشجار.
[2]- المرجع السابق نفسه ، ص8.
[3]- المرجع نفسه ، ص8.

فمهما كان الألم ، يبقى المحبوب هو الملاذ ، المهرب ، الذي يمحي كل الغياب الحاصل في الثوابت والقيم ، فالرضا بالمعاناة والتسليم يقابله أمل ، ولو كان واهيا.

لا غرابة فالأمر متعلق بمحبوب متفرد شفيع الأمة ونبيها فالمعادلة صعبة إذ إن الطرف الأول ، الشاعر ، الإنسان ، حاضر أما الذي يجسد المثل ، القيم ، الحب ، غائب لكنه يبقى حاضرا غائبا، في ظل غياب الذاكرة الجماعية، والماضي الحضاري ، الذي ناب عنه الحاضر بكل زخرفه و بديعيته ، فهو " يبرز في هذه المعاناة تناقض بين الذات والخارج ، ويؤازره تناقض آخر بين الماضي والحاضر، إلا أن التعبير لا يبرز التناقض بقدر ما يركز على التجانس "[1] .

لقد وفق في تجسيده لمعاناة الرحيل،رحيل الناس والرموز ذات القيمة الإنسانية والمعنوية بأصدق صورة و أدق عبارة، إذ الشعر مليء بالتقارير الذاتية، والموجهة في نفس الوقت إلى المتلقي في صورة مؤثرة.

جـ-لوعة الصد والهجران

يبقى الانفعال الشعوري يدور في فلك القصيدة ، بين حب كامن بين جوانح النفس ، و فسيفساء بديعية ، تتباين فيها الألوان ، وتتداخل على أجنحة الخيال ، فقد استطاع الشاعر بخبرته وتجربته الشعرية الفذة، أن يسلسل المضامين ، التي كانت لحمة دلالية فرغم معاناة الفراق ، والتشوق ، والغياب الطارئ والمفجع ، يبقى الاتصال الروحاني والتمسك بالحاضر الغائب في الوجدان ، يقول :

---

[1]- د.سامي سويدان ، **في النص الشعري العربي (مقاربات منهجية)** ، دار الآداب ، بيروت(لبنان)، ط1، 1989، ط2 ، 1999 ، ص117.

بَرَنْتُ* مِنْ مُهْجَتِي إِنْ لَمْ تَسَلْ أَسَفًا ... يَا نَاظِرِي فِي هَوَى مَنْ بَرَّ بِالسَّقَــمِ

وَ لاَ اَكْتَفَى مُقْلَتِي بِالدَّمْعِ قُلْتُ لَهَا ... كَفَـى الجَرَاءَ* قَالَتْ : إِنَّهُ لَحَمِـي

لَا ذَنْبَ لِلدَّمْعِ بَلْ لِلعَيْنِ تُرْسِلُـهُ ... بُشْرَى وَ قَدْ عَانَيْتُ : تَتَمُّمَ* حُسْنِهِمِ[1]

لا مراء في أن قارئ الأبيات ، يشده هذا الغزل المختلف ، والحب الصادق و الوجد ، فالشوق يضنى الجسد ، ولا أدل من هاته الدموع ، التي لا تتوقف فكلما أمرها بالكف ، ازدادت انهمارا ، و فضحت عشقه وهواه ، من ثم ينبغي أن نلاحظ هذا التفوق الإبداعي ،"لابن الخلوف" في عرضه لمشاعر الحب، ومواءمة معانيه وتشكيلها في صورة متميزة ، إذ تتناغم الألفاظ وتتناسق موحية بمعنى عميق ، فتنساب الكلمات انسيابا وتتوالد المعاني ، وما يزيد النص الشعري إثارة تلك الاستطرادات التي نجدها بين الحين والحين ، يقول :

وَ كَمْ بِأَوْصَافِهِمْ شَبَبْتُ* فِي غَزَلٍ ... حَوَى المَدِيـحُ بِهِ فَخْـرِ اِفْتِتَاحِهِـمِ

وَ كَمْ فُتِنْـتُ بِهِمْ لَمَّا عَلَوْا شَرَفًا ... رَدَدْتُ عَنْ مَوْرِدِي فِي شَانِي فُنُونِهِمِ[2]

يبدو للوهلة الأولى أن هذا الانحراف أو الاستطراد يخل بالمضمون ، ويفكك البناء الخارجي للنص الشعري ، ومع ذلك فإن هذا التعارض ، والتماثل يحقق وحدة دلالية للنص ، و يضفي عليها رونقا وترابطا مع الأبيات الموالية ، فهو يود أن ينوه بمكانة المحبوب وعظمته ، ليستمر الحب في شكل من أشكال الهيام ، إذ لا اعتراض ولا ابتعاد ، حيث تهيم روحه سابحة في آفاق رحبة تحصل نسمات الحبيب الغائب موجها

---

*- برن: نزلنا به فاطعمنا الخبر الفرني والتمر البرني والمقصود به وهبتك روحي، أساس البلاغة، الزمخشري ، دار صادر، بيروت، ط1 1992، ص37.

*- الجراء : ما كان جريئا، و لقد جرؤوا جراءة ، و هو جريء التقدم ، و جرأتك علي حتى اجترأت و تجرأت .

*- التتميم : ومعهم يستقيم الوزن : هو ان يأبى في كلام لا يوهم خلاف المقصود "التعريفات"،ص72

[1]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص 09.

*- شببت : شبب ومنه تشبب الشعر الترفيق فيه ، وشبب المرأة قال فيها غزلاً.

[2]- المرجع نفسه ، ص 09.

خطابه إلى العذال الذين لاموه على حبه ، في قوله :

يَا عَــــاذِلِي كُفَّ فَالتَّسْلِيـــمُ* أَجْدَرُ بِي   وَ هبْ: نَصَحْتَ فَسَمْعِي عَنْكَ فِي صَمَمِ

وَ إِنْ تُنَــاقِضْ، فَإِنِّي قَــدْ رَضِيـــتُ إِذَا   بَانُــوا وَ عَنَيْـــتُ دُمُــوعِي إِثْرَ عِيسِهِمِ

قَالُوا : ارْتَجِعْ ،قُلْتُ: فَاكْفُفْ عَنْ مُرَاجَعَتِي   قَالُوا : اسْتَمِعْ قُلْتُ: لَا أُصْغِي لِغَيْرِهِـــمِ*

وَ كَمْ تَهَكمْـــتُ إِذْ قَــــالُوا: اِتَّخِذْ بَدَلًا   وَ قُلْتُ: أَنْتَ حَلِيفُ الــــرَّعْيِ وَ الذِّمَمِ[1]

تسمو المشاعر وتتأجج في قلب كل محب أين يغدو تمسكه بالمحبوب لنيل الرضا والعفو ، حيث "يشتد الألم بالشعر ويصبح الوجود أشبه بصدى في الآفاق ، ثم يتلاشى الجسد وإذا الشاعر روح في روح حبيبه وإذا حبيبه شعلة في خلوده"[2].

يتجلى ذلك في موقفه من العذال، وتسليمه بالأمر الواقع ، من خلال الهروب إلى عالم آخر متخيل، حيث المحبوب ، إن الشاعر هنا يسمو بحبه إلى درجات العشق لدى الصوفية ، إذ المحبوب الرسول صلى الله عليه و سلم ، الحاضر الغائب ، نموذج يحاول من خلاله الوصول إلى عالمه المثالي المنشود ، فلا عجب إذا فنى وجوده ، لأن في انعتاقه لها شوق وجنوح عقيدي ، ضارب في الحلول الذاتي في فكرته الإسلامية، وقضيته المحورية المتمثلة في الغائب الأكبر ،الدين ،القيم ....، حيث يتجلى الاتحاد بالمضمون المخبوء – إن توا شج– الذي يعد انعكاسا لما يجول في خاطر الشاعر من توترات نفسية داخلية، هي من صميم البواعث الشعرية.

---

*- التسليم : هو الانقياد لأمر الله تعالى ، وترك الاعتراض فيما لا يلائم التعريفات ، ص80.
*- منتهى الحب الصوفي أن لا يرى ولا يسمع المحب إلا حبيبه
[1]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص 09 / 10 .
[2]- د. خالد إبراهيم يوسف ، **الشعر العربي أيام المماليك ومن عاصرهم من ذوي السلطان** ، دار النهضة العربية ، بيروت (لبنان) ، ط1، 2003 ، ص 407.

فهو يجسد و يعبر عن تجربة ذاتية إنسانية، تترجم صراعا داخليا في النفوس ، التي ترضي بالواقع المزيف لكن في قرارة أعماقها صرخة مدوية ، و لأجل ذلك استحضر الأجواء الصوفية من خلال الذوبان في المعشوق والاستغراق فيه ، لتحقيق الذات والوجود ، فعالمه المادي مزيف، باعتباره وسيلة لإدراك الجوهر و طابع الإغراق في الباطن الشعوري الخاص ، بذلك يصل الشاعر درجة من الوجد و يحلق عاليا في أجواء روحانية تتجلى من خلال وصف المحبوبة ، فقد صار فاقدا للوعي ، هائما في جمال رباني يثير الشجن و الألم ،حيث تنفتح القصيدة على فضاءات دلالية عميقة، ذلك في عبارات "تجاهل العارف"، "افعل بيض الظبا" ،"أم سحر لحظهم" ،التي تحيلنا إلى ما يعانيه الشاعر من هيام و رحيل عن الذات إلى عوالم الآخر، فهو لا يدرك ما يفعل ، و في هذا إحالة إلى الصوفية وتجربتهم ، فكأن رغبته في الوصول إلى المحبوب الحقيقي، شفيع الأمة ، تجعله يسلك طرقا توصله إليه إذ الوصال غايته و نيل رضاه مطمعه فهو غائب واعي في حضرة العالم الآخر ، يقول :

يَا مُعْرِضًا كَيْفَ لَمْ تَسْتَتِرْ إِذْ غَضِبُوا   إِلَّا الرِّضَى وَ قَد اِشْتَطُوا بِغَيْضِهِـــمِ

تَجَاهَلِ العَارِفَ * إِنْ سَبُّوكَ وَ قُـــلْ   أَفِعْلُ بِيضِ الظِّبَا أَمْ سِحْرُ لَحْظِهِمِ*[1]

و هذا الغياب يقابله حضور و ذهول أمام المحبوب، الذي ينبهر بصفاته الفذة ، و فتنته التي لا تقاوم و تجعل الانصياع و الانقياد أمرا لا مفر منه وعليه ، يقول:

وَ الزَمْ مُغَايَرَةَ الظَّبْيِ الغَـــرِيرِ وَ صِفْ   عَيْنَيْهِ أَو دَعْ وَصْفَ سَاجِي * عُيُونِهِمِ

---

*- تجاهل العارف : عند الصوفية : هو سوق المعلوم مساق غيره لنكتة : التعريفات ص 73.

*- لحظهم : العين أو النظر بطرف العين .

[1]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص 11.

*- ساجي : من سجا: سكن ، وامرأة ساجية الطرف : فاترة الطرف ساكنته ، اللسان مادة- سجا.

وَ اَحْذَرْ مَراعِي نَظِيرَ الزَّهْرِ، إذْ سَبَحُوا   عَنْ لُؤْلُؤِ الثَّغْرِ ، وَ عَنْ جَوْهَرِ الكَلِمِ[1]

ينبغي أن نلاحظ أن هذه الأوصاف الواردة في البديعية ، معروفة منذ القدم، تداولها شعراء الغزل العذريين ، حيث وصفوا المرأة بالظبي و العيون الساحرة و الثغر المتلألئ ، من ثم فإننا نجد إن "ابن الخلوف" يسير على نهج القصيدة العربية ، فهو يصف الحبيبة بأوصاف متشابهة، لكنها تبدو في شكل مغاير و عاطفة سامية، يمزج من خلالها بين الأنواع البديعية كما تبرز ثقافة الشاعر الإسلامية في هاته البديعية ، إذ لا يخفى ما أبدعه و صنعه من ملاءمة ، بين حب ، و زخرف بديعي ، و تراث إسلامي ، يقول:

وَ رَاعِ بِالبَـــدْرِ أَيَّـــــامَ النَّظِيرِ فَقَـــدْ   خِلْتُ الغَزَالَةَ تَرْعَى النَّجْمَ فِي الأَكَمِ

وَ اَخْفَضْ جَنَاحَكَ و انْصِب رَاحَتَيْكَ وَ لَا   تَعِـــشْ ، تَعِشْ بِارْتِفَاعٍ فِي طِبَاقِهِمِ*

وَ إِنْ وَثِقْــــــتَ بِإِبْهَامِ الطِّبَاقِ فَقُـــلْ   سَيُضْحِكُ الصُّبْحُ البَاكِينَ فِي الظُّلُمِ[2]

ما نلاحظه هذا التناسق بين الألفاظ والتناغم ، فالمقابلة بين هذه التراكيب في حلة جميلة ، ولد معاني عميقة كانت أكثر تأثيرا و وقعا ، حيث رسم الشاعر لنا صورة زاخرة بالجمال و الإبداع الفني ، إذ نجد "راع البدر...." ترعى النجم في الاكم "، " اخفض جناحك" ،"تعش تعش بارتفاع....." سيضحك الصبح الباكين ....."، إنها تتميز بعمق الدلالة ، و تجذرها و تفرعها فهي"نتاج تمازج و تآلف بين النشاط الفكري ، و الملكة الإبداعية، فهي قوة تركيبية كفيلة بالتعبير عن نواح عديدة، و ليس عن ناحية واحدة ، و هي القادرة على صنع هذا جميعه، و لكن وحدتها تتمثل في الوقت نفسه في ذلك المزج بين البصر و البصيرة ، و بين الصورة والمعنى، و بين التأثير التعبيري وجماليات التعبير، كل ذلك في رمية واحدة" [3] لا

---

[1]- المرجع السابق نفسه ، ص 11.
*- في البيت عقد من سورة الاسراء : 24 ﴿ وَ اخْفِضْ لهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ..... ﴾ ، المرجع نفسه ، ص 11.
[2]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص 11.
[3]- د. رجاء عيد ، **القول الشعري (منظورات معاصرة)** ، ص 74.

غرو في ان الجمع بين هاته الصور و المضمون أمر في غاية السمو ،و تجاوز لواقع مشوه، فالألفاظ تثير الفكر و تحرك الوجدان، وتلخص الانفعال الداخلي المنحبس داخل الصدور، و يتجسد ذلك في قوله :

وَ انْشُرْ* بِطَيٍّ وَ أَهْمِلْ وَ احْتَلِمْ وَ أَرِقْ　　　وَجْدِي وَ صَبْرِي وَ دَمْعِي وَ الحَشَا* وَ دَعِ[1]

كل هذا ينم عن موهبة و ملكة إبداعية واضحة ، وسمها مضمون أجل فكانت الازدواجية التي هزت القلوب ، وسلبت الخواطر و ألهبت العقول بالأفكار، فجعلته يبحث عن شواردها ومنابعها ومواردها ، حيث يبدو "ابن الخلوف" متميزا في غزله مترفعا عن كل ما هو مادي ، رغم أن العصر يسوده نوع من الغزل الإباحي ، "بالمقابل و انسجاما مع الظاهرة التناقضية في هذا المجتمع ، شاعت الخلاعة ، وتهافت الشعراء على الحواضر عاملين و موظفين و متكسبين لتستهويهم حضارتها ورخاء عيشها ،وتطيب لهم السكنى فيها ، فشاع الغزل الحضري الإباحي، وعاش الشاعر فيه تجربة بعيدة عن أغوار النفس"[2] .

وينبغي أن نلاحـــظ أن شاعـــرنا تفرد في وصفه للمحبوب ، بذكـــره لصفاته المعنوية وتجسيدها في صورة جماليـــة رائعـــة، وعليه فإنها " تتلبس في وجـــدانه تلك المعطيات فهي تتوحـــد وتترافق وتتوافق"[3] ، ربما أن النص تكون لـــه دلالته ويتضح جليا في البيت الســـابق في المـــواءمة بين (الطي و النشر و وجدي) (و اهمـــل و احتلـــم صبري) ، (و ارق دمعي و الحشـــا و دع) فجـــاء لوحـــة فنية متناسقـــة الألـــوان ذات- بعد جمـــالي ، ثم إنه بواصـــل هذا الوشي المـــوحي بمعان متفردة في قوله :

---

*- الطي والنشر: هو أن تذكر شيئين فصاعدا ، إما تفصيلا فتنص على كل واحد منهما ، و إما إجمالا فتأتي بلفظ واحد يشتمل على متعدد و تفوض إلى العقل وكل واحد إلى ما تليق به ، ابن حجة الحموي ، **خزانة الأدب وغاية الأرب**، ص 149.
*- الحشا : الروح.
[1]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص 11.
[2]- د. خالد إبراهيم يوسف ، **الشعر العربي أيام المماليك ومن عاصرهم من ذوي السلطان**، ص10.
[3]- د. رجاء عيد ، **القول الشعري (منظورات معاصرة)** ،ص75.

وَ اعْكِسْ* تُصِبْ طَرْدَ* قَصْدٍ وَ اسْتَتِرْ بِهِمِ زَهْرَ الرِّيَاضِ، رِيَاضَ الزَّهْــرِ فِي الشَّمَمِ*

وَ إِنْ تُصَغِّرْهُ فَعَظِّمْ حُسْـــنَهُنَّ وَ قُــلْ يَا مَــا أُحيــلَا نَظِيمِــي فِــي حَبْلِهِــمِ

حَمُّ الــدُّجَى عِنْدَ تَشْــرِيعِ الذَّوَائِبِ، إِذْ ظَــلّ الــحِجَى بِبُدُورٍ مِنْ وُجُوهِهِــمِ

مَوائِــسٌ* فِي قُصُــورٍ إِنْ تُفَــرِّعْهُــمُ كَــوَانِسٌ* فِــي خُدُورٍ مِنْ شُعُورِهِــمِ

أَبْــدَوْا خُدُودَ التَّشْكِيك كَزَهْرِ الدُّجَــى أَوْ عَنْــدَمٍ* أَوْ سَنًــا أَوْ نَارٍ أَوْ عَنَــــمِ[1]

إن هذه البديعية تفردت في قسمها الأول : الغزل بهذه الصور الجميلة والمبتكرة، فقد أبدع الشاعر في رسم صورة لمحبوبته، من خلال هذا النسيج المتلاحم والمتناسق، وعليه تتجلى المقدرة الإبداعية للشاعر في الجمع والمواءمة بين الأبيات إذ " لا نحس بجمال الكلمة أو البيت الشعري إلا لصلته أو تواؤمه أو تناسبه مع الجمل الأخرى أو الأبيات الأخرى "[2].

و يتضح الجمال والإبداع من خلال التأثير، وكذا الدلالات المتعددة التي تتراءى لنا في شكل صور فريدة لأنه يجسد المعنى تجسيدا، حيث تسمو العاطفة ويعظم الانفعال في قوله : "موائس في قصور"، "كوانس في خدور"، " أبدوا خدود التشكيك"، إن غرضنا أن نبين مدى روعة هاته الصور، في الجمع بين الألوان البديعية في زخرفة مثيرة ، تجعل الدلالات تتشابك وترحل بنا الى عالم آخر، حيث المحبوب الحقيقي، فعلا فالأمر في غاية السمو إذ وصل الشاعر بانفعاله قمة القمم في الجمع بين المراد ، المعنى ، و وصال

*- العكس : عبارة عن تعليق نقيض الحكم المذكور علته المذكورة.
*- الطرد عند الفقهاء الصوفية : ما يوجب الحكم لوجود العلة وهو التلازم في الثبوت.
*- شمم : تمتعت بشميمة، والأرواح تتشام كما تتشام الخيل .
*- موائس : من ميس والميس المتبختر.
*- كوانس: كنس البيت بالمكنسة، والمكانس، ودخل الوحشي كناسه، وظبي كانس، وظباء كوانس ، و الكانس : الظبي يدخل في كناسه و هو موضعه في الشجر.
*- العندم: دم الغزال.
[1]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص 12.
[2]- د. سامي سويدان ، **في النص الشعري العربي (مقاربات منهجية)** . ص 126.

المحبـــوب – الرسول صلى الله عليه و سلم – و التأليف البلاغي، و كذا الغزل، يقول :

بَانُـــوا فَقُلْـــتُ لِنَفْسٍ أَضْرَمَتْ تَلَفًـــا   يَا نَفْسُ ذُوقِي عِتَـــابِي عِنْدَ فَقْدِهِـــمِ

فَشَـــتْ* بِنَسِيــــبٍ مِنْـــهُ خَلُصَـــتْ   بِمَدْحِ أَحْمَدَ خَيْرِ العُرْبِ وَ العَجَـــمِ[1]

لقد رسمت العاطفة الصادقة، و انفعاله، صورة رائعة " فالمحتوى الانفعالي في انتقاله من المبدع إلى المتلقى يكون قد صار محتوى اجتماعيا و طبقيا و ارتبط بظروف تاريخية محددة "[2].

إن التواشج واضح و التجسيد متجلي في هذا الخروج عن نظام القصيدة، من خلال نظم علوم البلاغة فجاءت القصيدة ذات بنية بلاغية متميزة ، بصبغة دلالية فريدة ، و عليه فإننا نجد الشاعر يجمع بين نوع بديعي، العتاب، و كذا غرضه التغزل و بصورة فنية ، توصله إلى هدفه الأسمى " المدح " ويتجلى ذلك من خلال " حسن التخلص " ، هذا الأخير و إن كان معروفا لدى شعراء البديع ، وعد من البديع ، إلا أنه و في هاته البديعية يتخذ طابعا خاصا ، في فضاء الدلالات التي يحيلنا إليها ، إذ يعد المفتاح الثاني للولوج إلى صلب الموضوع ، و في ذلك دلالة على براعة فنية ومقدرة عالية ، و لقد عرفه صاحب "خزانة الأدب و غاية الأرب" يقول : " أن يستطرد الشاعر المتمكن ، من معنى إلى معنى آخر يتعلق بممدوحه ، بتخلص سهل يختلسه اختلاسا رشيقا دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا و قد وقع في الثاني ، لشدة الممازجة و الالتئام و الانسجام بينهما حتى كأنهما أفرغا في قالب واحد "[3].

فلاشك أن بديعية "ابن الخلوف" ، تجسد ذلك في تفردها في مضمونها ، و إن سارت على نمط القصيدة العربية ، فإنها طبعتها بطابع خاص ، و عبرت عن مضمون مخبوء تحت ظلال الغزل .

---

*- فشو : أخف سرك و احذر فشوه ، و ما فلان إلا واش خبره في الناس فاش.
[1]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص 12.
[2]- د. رمضان الصباغ ، **عناصر العمل الفني (دراسة جمالية)** ص 75.
[3]- ابن حجة الحموي ، **خزانة الأدب و غاية الأرب** ، ص 329.

لقد أبدع شاعرنا في الخلفية التي ابتدأت بالغزل ، و التي تناثر الدر من صدفاتها ، معلنا عن أسرار وجواهر، تتلألأ على أبيات البديعية ، إذ تومئ لمضامين شتى ، وتمهد للمديح ، و تستدعيه استدعاء و لا أدل من البيت الذي احتوى النوع البديعي " حسن التخلص " في المقطع الأول – كما أشرنا سابقا – كان التلميح بصورة أو بأخرى لموضوعه وغرضه الأسمى ، في إعلانه الإخلاص و الوفاء وتمني الوصل و اللقاء ، و الذي تجلى في كثير من الانحرافات التي أشرنا إليها سابقا .

إنه انتقال رائع إلى الموضوع الرئيسي ، المدح ، حيث كانت البدايات مثيرة للشجن ، فكان التدرج في المعاني و التلاحم حتى الغاية ، كما ورد ذكر ذلك في مضامين البديعيات .

4- المدح في بديعية ابن الخلوف

إنه المقطع الثاني أو الفقرة الثانية التي اشتملت عليها البديعية ، فهو فن شعري معروف منذ القدم ، حيث " الميل إلى تقبل الثناء غريزي في الإنسان "[1] ، فلقد كان المدح مطية الشعراء و سبيلهم لتحقيق أغراضهم حيث تداولوه ، فلم يخل منه نص شعري أو نثري، حيث ظهر في العصر الجاهلي في صورة فخر و اعتزاز بمآثر القبيلة ، " ربما كان هذا هو منشأ فن المديح في الشعر العربي حيث كان الشاعر يتغنى بالقيمة التي تحرص عليها التقاليد القبلية "[2] ، فلم يكن المدح لغاية أو للتكسب ، بل كان اعتزازا بقيم الشجاعة و الفروسية و الإباء التي عرف بها العربي ، واستمر الشعراء متشبثين بالقيم النبيلة حتى العصر الإسلامي مع اختلاف بينهما ، ثم اتخذ طابعا سياسيا من أجل الدعوة الإسلامية ، ومما ساعد على ذلك ظهور الفرق و المذاهب فلم " يأت العصر العباسي إلا و قد عرف الشعراء المداحون طرق أبواب الخلفاء و أثرياء الدولة ،

---

[1]- د. أيمن محمد زكي عشماوي ، **قصيدة المديح عند المتنبي و تطورها الفني** ، دار النهضة العربية ، بيروت (لبنان)، ط1 ، 1983 ، ص 15 .
[2]- المرجع نفسه ، ص 16.

محاولين جهدهم المبالغة في المدح تملقا للممدوح "[1] ، لقد غدا المدح وسيلة للتكسب لا أكثر ، وموردا خصبا للحصول على الأموال و العطايا .

إنها إشارات إلى المدح بصورة عامة ، لكن ما يهمنا في هذا البحث هو "المديح النبوي" في العصر المملوكي بالذات ، فبالرغم من تنوع المدح في هذا الأخير بين تكسبي و مدح المجاملة أو الإخوانيات ، و المدح الحماسي و السياسي ، كذا العمراني ، و كما أن بدايات المديح النبوي ، كانت في العصر الإســـلامي" إلا أنه و في هذا العصر المملوكي و ما تلاه قد بلغ حدا من الكثرة طغى على معظم الأغراض الشعرية ، حتى كاد المديح النبوي يكون القاسم المشترك بين الشعراء و النظامين المكثرين منهم و المقلين "[2] ، ولم يكن الاهتمام بالمدح إلا لغاية نبيلة ، و هي تمجيد أنبل الخلق رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و الإشادة بصفاته و شمائله ، إذ صبغ بصبغة خاصة حيث " سلك المدح – في هذا العصر – مسلكا دينيا خالصا تمثل في شعر المديح النبوي الذي أصبح سنة اقتدى بها معظم الشعراء "[3].

و عليه كانت البردة للبوصيري أصدق نموذج و أكثره تميزا ، و أعلقه بالأذهان، بل نتج عنه نبع آخر للمديح، – لكنه مديح خاص – تجلى في فن البديعيات ، الذي يرمي فيه الشاعر إلى هدف، و غرض يسمو عن كل الهبات و العطايا ، و يتجاوزها إلى مطلب عزيز و سام ، و هو نيل الشفاعة يوم لا ينفع مال و لا بنون ، " و لتحقيق هذا المطلب جد الشعراء المداح في السعي للحصول على رضا صاحب هذه الشفاعة النبي الكريم محمد صلى الله عليه و سلم ، بتدبيج قصائد في التغني بشمائله الشريفة و التشبث بأذياله الطاهرة "[4] ، و لا شك في أن المدح في هاته القصائد البديعية ذو خصوصية فكيف وردت مضامينه في هاته الأخيرة ، و أي طابع اتخذته ليغدو هذا الفن رائعا و رائقا ، و لما كان موضوعنا محـــددا في بديعية

---

[1]- المرجع نفسه ، ص24.
[2]- د. خالد إبراهيم يوسف ، **الشعر العربي أيام المماليك ومن عاصرهم من ذوي السلطان**، ص 351 .
[3]- المرجع السابق نفسه ، ص 354.
[4]- د. لخضر عيكوس ، **جماليات البديعيات و خصائصها الفنية** ، مجلة آفاق الثقافة و التراث ، ص 87.

" ابن الخلوف " فإن هذا ما سنبحثه بحسب الخصوصية المدحية و المضامين التي علقت بذهن الشاعر، فأفرغها في شكل زخرفي ملفت في هذا السياق ، و من دون شك أن " ابن الخلوف " شأنه شأن جل الشعراء الذين تحدثوا عن ميلاد الرسول صلى الله عليه و سلم ، و صفاته و شمائله و معجزاته و آله و صحبه ، و أسهب هو في ذلك أيما إسهاب ، فجاءت بديعيته كعقد لؤلؤ، لا تنفصم حباتها فكان حديثا ذا شجون .

أ- ميلاد الرسول صلى الله عليه و سلم

إن الصوت الذي كان يناديه تفجر في حنايا أشعاره و تجسد أكثر و بصورة واضحة ، في الحبيب الأعظم – الممدوح – الرسول صلى الله عليه و سلم حين تذكره حيث يبدو ذلك جليا في قوله :

بُشْرَى الذَّبِيحِ* بنُ فَيَّاضِ ابنِ هَاشِمِ ابـــنِ المُغِـــيرَةِ فَاعْجَـــبْ بِاطِّـــرَادِهِمِ*

لَمْ يُعْـــزَزَ يَدٌ لَهُ التَّلفِيقُ فَاصْغِ وَ قُلْ مَا كَانَ طَهَ أَبَا ابْنٍ مِنْ رِجَـــــــالِهِـــمِ

كَنْزُ ادِّخَارِي عَــلَاهُ شَمْـــسُ مُرْتقبي غَوْثُ اضْطِرَارِي، صَبَاحِي فِي دُجَى ظُلُمِ[1]

إن ذكر الشاعر لنسب الرسول صلى الله عليه و سلم ، ورد في شكل عفوي رائع إذ يومئ لعظمة الممدوح و جلاله ، فهو يجسد بطريقة أو بأخرى موقف الشاعر الانفعالي ، و عاطفته الجياشة المستمدة من حب ثابت و راسخ ، ككل إنسان مؤمن و صادق ، يفتخر بانتمائه للدين الإسلامي ، فبدايته بذكر النسب في البيت الأول لدلالة عظيمة ، ناهيك عن النوع البديعي الوارد وهو الاطراد ، فما ينبغي ملاحظته هذه المزاوجة بين مضمون معرفي، و آخر شعري ، إذ يبقى التماسك بين المضامين ، الواردة في

*- الذبيح : إشارة إلى أب الرسول صلى الله عليه و سلم عبد الله بن عبد المطلب الذي نذر أبوه ذبحه للكعبة ، ثم فدي بمئة من الإبل .
*- الإطراد : هو ان يجيء الشاعر باسم الممدوح ، و لقبه ، و كنيته ، و صفته ، و اسم أبيه وحده وقبيلته غالبا ، أو ما أمكن من ذلك مطردا متواليا ، صفي الدين الحلي ، شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة و محاسن البديع ، ص 132.
[1]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص 13.

حلقة معرفية ، تصبغها جمالية التعبير ووجدانية و عاطفة متفردة تسمو عنان السماء سمو الممدوح و علو قدره و مكانته ، و يعبر الشاعر عن تلك الرفعة في قوله :

وَ اقْصِــــرْ عَلَيهِ السَّنَـــا* حَتْمًـــا ، وَ مُدَّ بِهِ   عَالِي السَّنَاءِ وَ هِمْ فِي مَدِّ قَصْرِهِمِ

مَا الشَّمْسُ إِنْ رَمَتْ تَشْبِيهًا بِوَاضِحَـةٍ   إِلَّا كَكَافُـورَةٍ فِـي جَوْهَرِ نَظْـمِ*

وَ لَا الحُسَـامَ إِذَا سُلَّـتْ وَغِرَّتُـهُ   مِنْ بَعْدِ نَفْيِكَ إِلَّا الـبَرْقَ فِي الدِّيَمِ

سَهْـــلُ الرِّضَى وَ اللِّقَا وَ الجُودُ مُمْتَنِــعٌ   إِنْ بُدِّلَتْ كَلِمَاتُ القَـــادِرِ المُحْتَكِمِ[1]

إنه يتساءل عن أي ممدوح يستحق التعظيم و التبجيل ، ويرمز للسمو عن كل ما هو مادي ، و الارتقاء نحو مدارج الكمال و العفة و النقاء ، حيث هو الشفيع و القدوة و نبراس الأمة ، مقررا أنه الرسول صلى الله عليه و سلم الذي جسد و رسم صورة للمسلمين مشرقة أنارتها الألوان البديعية و إن صح القول البلاغية ، – على اعتبار أن البديعية اشتملت على علوم البلاغة الثلاثة — هو عالم للجمال وروعة التعبير و قمة الانفعال ، فقلما يبرع شاعر في ذلك ، إذ الأمر يحتاج طاقات تعبيرية وقدرة على المواءمة بين المعنى و جمال العبارة ومعرفة واسعة بعلوم البلاغة .

فكأن الشاعر يجب أن يكون في مستوى موضوعه أي مديح الرسول صلى الله عليه و سلم ، حيث تحيط به هالة من الإعجاب و الهيبة و الوقار و الحب الطاهر النقي ، فمهما قدم من خلجات روحه ، و ثنايا أضلعه ، يبقى عاجزا أمام هذا الموقف، فيعبر عن ذلك في قوله :

---

*- السنا : مقصور ضوء البرق ، و السنا أيضا نبت يتداوى به ، مختار الصحاح ، محمد بن ابي بكر الرازي ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، 1988 ، ص 318.

*- الكافور: أخلاط تجمع من الطيب ، وقال الفراء يقال أنها عين ، و الكافور نبات له نور أبيض ، اللسان مادة كفر.

[1]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص 13.

قَدْ أَعْجَــزَ الْمُتَحَــدِّي قَوْلُــهُ أَو فَمَــنْ ... يَأتِي بِمَا قَــدْ أَتَانَــا أَفْصَحُ الأُمَــمِ*

كَلَامُـــــهُ جَامِعٌ* إِنْ تُصْغِ تَلْــقَ هُدَى ... مَنْ لَمْ يَصْحُ لَمْ يَحِدْ عَنْ فِتْنَةِ الصَّمَمِ

بِاللهِ أَوْجِزْ وَ سَلْ عَنْهُ تَجِدْ مَدْحًـــــــا ... فِي صُورَةِ النَّجْمِ أَوَ فِي نُونٍ القَلَــمِ*[1]

يستمر الشاعر في مدح الرسول صلى الله عليه و سلم في البيت الأول مؤكدا عظم رسالته ، فقد خصه الله بمعجزة القرآن ، و باللسان العربي المبين إنه الشفيع الذي يربو على كل محبوب ، فلا شك أن تجد مثل هذا التميز في التعبير الذي يجمع شعرا تتناغم ألفاظه ، وتتناسب عباراته ، متدفقة بالمعاني الرقيقة و المشاعر النبيلة، بين إعجاز و إيجاز وكلام جامع ، هنا تتفرد بديعية ابن الخلوف ، إذ إن إسهابه لم يكن لأجل الإطالة أو المعارضة ، بل أثبت فيه قدرته على المواءمة بين الأفكار ، حيث تتماسك دلاليا ، منبئة عن براعة فنية و مقدرة إبداعية ، إذ إن "التصور الذهني لمعنى شيء ما يتجاوز المعنى المشكل للشيء نفسه في إطار شعرية النص ، بل إن هذا التصور الذهني المستقر في فكرنا هو الذي يثير الشعور بالمفارقة بين المعنيين ، وهذه المفارقة لا تناقض الأولى ، و إنما تحتويها وتتجاوزها "[2].

فالمضمون يتطور و يتوافق وتنساب معه الألفاظ و العبارات و الألوان البديعية مشكلة صيغا تعبيرية زخرفية ، تنم عن دلالات ، تتلاحم و تتواصل فيما بينها ، معبرة عن عظمة الموقف ، و شدة الانفعال ، حيث المدح ذو نمط متميز ، من ثمّ تتجلى لنا خصوصية الانفعال بالموقف ، إذ يحس الشاعر أنه

---

*- في البيت عقد من الحديث الشريف قوله صلى الله عليه و سلم " أنا أفصح العرب " و لا يعرف له إسناد.

*- الكلام الجامع : وهو أن يأتي الشاعر ببيت تكون جملته حكمة ، أو موعظة ، أو تنبيها أو غير ذلك من الحقائق الجارية مجرى الأمثال ، صفي الدين الحلي ، شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع ، ص 121 .

*- في البيت إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَ النَّجْمِ إِذَا هَوَى ، مَا ظَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ، وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ النجم :[1-2-3- 4]، وكذا عقد من قوله تعلى : ﴿ ن وَالقَلَمِ وَ مَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَ إِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ القلم : [1 – 2].

[1]- المرجع نفسه ، ص 14.

[2]- د. رجاء عيد ، **القول الشعري (منظورات معاصرة)** ، ص 176 .

أمام ممدوح يعجز اللسان عن التعبير عنه ، ويرتجف القلم رهبة ، يقول :

وَ زِدْ غُلَوًّا* فَقَدْ كَانَ المَدِيحُ بِــهِ	يَسْتَوْقِفُ النَّجْمَ أَنْ سَارَ فِي الظُّلُــمِ
أَيُقَالُ يُسْرُ مَدِيحِي غَــيْرُ مُنْقَطِعٍ	عَنْهُ وَ عَقْــدُ وِدَادِي غَيْرُ مُنْفَصِــمِ
وَمَذْهَبِي فِي كَلَامِي* أَنَّ أُمَتَــــهُ	لَوْ لَمْ يَكُنْ لَمْ تَكُنْ أَسْنَى مِنَ الأُمَمِ
تَكْمِيلُ إِنْعَامِهِ بِالصَّحْبِ أَيَّــدَهُ	بَأْسٌ أَذَلَّ بِهِ مَنْ عَــزَّ بِالصَّنَــــمِ
مُوَشَّــــحٌ* بِرِدَاءِ العِزِّ مُتَّشِــحٌ	بِحُلَّةِ الأَحْسَنَيْنِ : الحِلْــمُ وَ الكَرَمِ[1]

فالشاعر لم يتوان لحظة في تصوير شخصية الرسول صلى الله عليه و سلم بشكل رائع ، إنه النجم الذي أضاء سماء الأمة العربية ، الرمز الخالد ، الذي أيد بالنور منذ ولادته ، و صاحبته أحداث عظام ، عبر الشاعر عن كل ذلك مسترسلا و مستلهما من التراث الإسلامي ، ومن سيرة نبينا عليه الصلاة و السلام ، ومن خلال العقد* ، بالإضافة إلى التراث الأدبي الذي استقاه من عصر ساد فيه البديع و الاهتمام بعلوم البلاغة بشكل رهيب ، فلا شك أن الشاعر أبرز من خلال هاته المزاوجة غاية نبيلة ، وهدفا ساميا سمو المعرفة و الغرض الشعري المعبر عنه المدح ، إنها ثنائية تضفي على القصيدة جمالية و تفردا في المعنى المصبوغ بألوان شتى من المعارف نابعة من أحاسيس عميقة عمق الأفكار و الموضوع " فإن الشعر مجاله العواطف لا

*- الغلو : فوق الأغراق و المبالغة ، لاستحالة وقوعه غفلا ، صفي الدين الحلي ، **شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة** ، ص 153 / أما الإغراق فوق المبالغة و دون الغلو لكونه وصفا لما يبعد وقوعه عادة ، و المبالغة هي إفراط وصف الشيء بالممكن القريب وقوعه عادة.

*- المذهب الكلامي ، وهو مأخوذ من غايات المتكلمين أحوال الدين بالدليل القاطع ، و المراد هنا أن يورد مع الحكم حجة صحيحة مسلسلة ينقطع بها الخصم ، المرجع نفسه ، ص 237.

*- التوشيح وهو عبارة عن إتيان المتكلم أو الشاعر باسم مثنى في آخر الكلام أو البيت لم يكن يعده إلا مفردان هما عين ذلك المثنى ، فيكون الأخير منهما هو قافية البيت أو سجعه ، المرجع نفسه ، ص 139.

[1]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص 14.

*- العقد : هو نظم المنثور ، بخلاف الحل و هو نثر المنظوم ، ص 324 .

العقل ، و الإحساس لا الفكر ، وإنما يعنى بالفكر قدر ارتباطه بالإحساس "[1] ، كذلك جاء الشعر متغلغلا في أعماق الذات الإنسانية ، مجسدا تاريخا مجيدا للأمة الإسلامية ، منمقا بنظم رائق لعلوم البلاغة ، كل ذلك في ظل روح و عاطفة لا تخبو ، إنها أعمق من أن تقيم أو تقارن ، مخبوءة في زخرفة بديعية ، تعبر و توثق للعصر و عليه فالمدح لم يكن سطحيا إنه يجسد آلاما و معاناة وهروبا من واقع ألم بالأمة العربية في ظل ابتعادها عن قيمها ومثلها العليا ، التي يتغنى بها الشاعر في صورة الممدوح – صلى الله عليه و سلم – محاولا استحضارها و استجداءهـــا ، من خلال الماضي الأثيل بصوره المجيدة ، حيث يتجلى ذلك في الأبيات الموالية :.

النَّصْـــــرُ سَرْبَلَهُ* وَ الفَخْرُ تَوَّجَــهُ	وَ المَجْــدُ مَاثلــهُ فِي الخَلْقِ وَ الشِّيَـــمِ
كَالدُّرِ فِي نَسَقٍ ، وَ البَدْرِ فِي غَسَـــقٍ	وَ الشَّمْسِ فِي شَرَفٍ وَ الزَّهْرِ فِي هِمَـــمِ
لِوَجْهِهِ رِفْعَةٌ فِي الأَرْضِ حَيْثُ مَشَى	كَمَا لِبَــدْرِ السَّمَــا نُــورُ اِحْتِبَالِهِــمِ[2]

ما ينبغي ملاحظته أنه و رغم ورود هاته المعاني لدى شعراء المدح ، من وصف الممدوح بالبدر ، الشمس و المجد ، و الرفعة ، إلا أنها تكتسي في بديعية " ابن الخلوف " طابعا خاصا و توظف بشكل جديد من خلال فن الشعر ، الـــذي أبدع فيه الشاعر في نسج مدحته ، و غاية ما يلفت النظر إليه أن هذه الصفات ليست مجرد صفات تخلع على ممدوح لنيل العطاء ، الشفاعة ، بل لا يجب حصرها في النطاق الفردي ومقدرة الشاعر ، إذ هي إعلان عن موقف تجاه أحداث عصر بأكمله – العصر المملوكي – ، و ثقافة خاصة به ، مع الحفاظ على هذا المضمون الذي يشجي ويلهب العواطف ، فالاقتباس من القرآن و التضمين من الشعر يدلنا على ثقافة واسعة ، و تبحر في ميدان العلوم بخاصة الشعر القديم ، يقول :

---

[1]- د. رجاء عيد ، **القول الشعري (منظورات معاصرة)** ، ص 59.
*- سربله : ألبسه.
[2]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص 15.

كَنَّتْهُ* أَلْسِنَةُ العَلْيَــا نَجْـــمَ الدُّجَى ... الهَيْجَا رَفِيعَ عِمَادِ البَيْتِ وَ الهِمَـــمِ

عُنْوَانُ تَكْمِيلِهِ ضَبُّ الفَــلَاةِ غَــــدَا ... مُؤَيَّدًا بِانْشِقَاقِ البَدْرِ فِي الظُّلُــــمِ*

لَمِّحْ بِمَا نَالَ فِي الإِسْـــرَاءِ مِنْ شَرَفٍ ... وَ قُلْ بِتَكْلِيمِ مُوسَى غَيْرَ مُحْتَشِـــمِ*

وَ ارْصُدْ بِدَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ حِينَ نَجَـــا ... مِنْ كَيْدِ نَمْرُودِ* فِي البَرْدِ فِي الضَّرَمِ*

وَ اشْهَدْ بِتَمْكِينِ ذِي النُّونِ* الكَرِيمِ وَ قَدْ ... نَجَّاهُ فِي اليَّـــمِ مِنْ أَحْشَاءِ مُلْتَقِـــمِ*[1]

لقد حرص الشاعر على تشكيل بديع ، جمع فيه أحداثا تاريخية إسلامية تنم عن قدرته و تمكنه من فنه ، إذ تتوارد الصور و الألفاظ الإسلامية متوائمة و متلاحمة مع المضمون ، فرغم أنها تبدو انحرافات في البداية إلا أنها تتواصل و المضمون ، ففي حديثه عن المعجزات إشارات عميقة إلى الروح القوية – البردة ، الصوفية – ، إلى حبيب الله ، الذي ميزه بالكثير من المعجزات ، فكان الكون ينسجم انسجاما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع انسجام أخر في القصيدة ، و تناسق في الألفاظ و المعاني المتشابكة المتباعدة الدلالات ، المتداخلة الفروع بين صبغ بديعي و معنى زمردي فهو نجم سما و تسامى عن دنيا الحياة ، فكان أرقى و أرفع و تفرد بمحاورة كل الكائنات له ، " كذلك الضب الذي جاء به أعرابي في مجلس رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال : و اللات و العزى لا آمنت بك حتى يؤمن بك هذا الضب ، و اخرج الضب

---

*- كنته : كنى كنه و أكنه = ستره ، و اكتن و استكن ، استتر ، و أكننته في نفسي أضمرته ، الزمخشري ، أساس البلاغة ، ص 55 ، مادة كنن.

*- في البيت إشارة إلى حديث كلام الضب ، البخاري ، الجزء 7 ، ص 92 ، و كذا الحديث : انشق القمر على عهد رسول الله تعالى – صلى الله عليه و سلم -

*- في البيت عقد من قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ الإسراء :1 ، و قوله : ﴿... وَ كَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ النساء : 164.

*- نمرود = قال المفسرون و غيرهم من علماء النسب : هو ملك بابل واسمه : النمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح ، أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي ، قصص الأنبياء ، ص 127 .

*- في البيت عقد من قوله تعالى : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَ سَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ الأنبياء: 69.

*- ذو النون : متصوف إشراقي مصري ، متوفي عام 245 هـ.

*- في البيت إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لَا تَكُن كَصَاحِبِ الحُوتِ إِذْ نَادَى وَ هُوَ مَكْظُومٌ ﴾ القلم : 48.

[1]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص 15.

من كمه و طرحه بين يدي رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : يا ضب ، فأجاب الضب بلسان عربي يسمعه القوم جميعا : لبيك و سعديك يا زين من وافى قيامه ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : من تعبد يا ضب ؟ قال الضب : الذي في السماء عرشه ، و على الأرض سلطانه ، و في البحر سبيله ، و في الجنة رحمته ، و في النار عقابه ، فقال صلى الله عليه و سلم : فمن أنا يا ضب ؟ فقال . أنت رسول رب العالمين، و خاتم النبيين، لقد أفلح من صدقك، و قد خاب من كذبك، فآمن الأعرابي"[1].

و الأمر لا يتوقف عند هذه المعجزة فقد ورد في الأبيات إشارة إلى معجزة كونية خارقة ، و هي انشقاق القمر في عهد الرسول صلى الله عليه و سلم : " فآية انشقاق القمر جاءت لطائفة من المؤمنين الذين يخشى عليهم أن يتسرب إلى قلوبهم تشكيك الكفار لهم في عقيدتهم و الكافرين الذين لا يؤمنون بهذا الدين ليعلموا أنه الحق "[2] ، و من ذلك يمكن أن نقرن الهدف من هاته المعجزة ، بما حدث في العصر المملوكي ، إنها عودة إلى الماضي الزاهر في كنف حاضر أليم ، فذكر الشاعر المعجزات في لحظة ابتعاد عن المعقول و محاولة خلق عالم بديل .

فهذا التلميح و الاقتباس من القرآن في غاية الروعة ، و توظيفه بشكل متناسق مع ذكر النوع البديعي ، لغاية الغايات، و قمة الابتداع ، إذ يدلنا على ثقافة الشاعر الإسلامية ، حيث تتوارد المعاني تباعا حين يتحدث عن معجزة الإسراء و المعراج ، التي انفرد بها الرسول صلى الله عليه و سلم ،" فلم يحدث لنبي أو رسول قبل محمد عليه الصلاة و السلام أن رأى الآية الكبرى في السماء "[3] ، ثم إن الشاعر يؤكد لنا هذا

---

[1]- محمد متولي الشعراوي ، **معجزات الرسول صلى الله عليه و سلم** ، أحمد الزعبي ، دار القلم ، بيروت (لبنان)، (د، ط) ، (ب ، ت)، ص 91.

[2]- المرجع نفسه ، ص71.

[3]- المرجع نفسه ، ص 57.

التفرد من خلال ذكر معجزات الأنبياء الآخرين ، كتكليم الله لموسى عليه السلام و إبراهيم عليه السلام الذي نجاه من لظى النار ، وذي النون الذي نجاه في اليم من أحشاء الحوت ، و عليه فإن معجزة الرسول صلى الله عليه و سلم معقدة إلى يومنا هذا ، كما أن له معجزات كونية مع كل أجناس الأرض ، كانت له " معجزات مع الجماد ، ومعجزات مع النبات ، ومعجزات مع الحيوان ، بجانب معجزاته صلى الله عليه و سلم مع الإنسان "[1] ، فلا غرو في ذلك فهو خاتم الأنبياء و المرسلين ، حيث لم يغفل الشاعر ذلك في قوله:

وَ اخْتِمْ بِهِ الأَنْبِيَاءَ حَصْرًا بِمَنْطِقِهِ ... قَــدْ أَلْحَــقَ الجُزْءَ لِلْكلِّي المُعْظَــمِ*

وَ إِنْ تُعَمِّمْ خِطَابَ الحَقِّ فِيهِ فَقُلْ ... يَا مُنْشِدَ المَدْحِ خَصِّصْ جَامِعَ الكَلِمِ

هُوَ المَجَــازُ إِلَى دَارِ الخُلُودِ وَ مَنْ ... يَرْجُــو أَيادِيــهِ يَكْفِــي زَلَّةَ القَدَمِ[2]

إنــه أتى رحمــة للعاليــن فقد خصه الله بالمعجزات دون الأنبياء ، وشمائل لم تجتمع لدى أي من البشر، ثم إنه الشفيع يوم القيامة فلا عجب أن يخص بالمدح، و تفرد له قصائد مثل البديعيات ، فهو الوسيلة للتقرب لله سبحانه و تعالى ، و نيل الشفاعة في دار الخلود ، إذ جمع بين العلم و العفو ، و ما عجز عنه قلم شاعر ، و أبدع فيه من جهة أخرى :

لَا يَسْلُبُ الحُلْمَ مِنْ إِيجَابِ قُــدْرَتِهِ ... وَ يَسْلُــبُ العَفْــوَ مِنْ مُــزْدَانٍ بِالصَّنَمِ

وَ لَيْسَ يَنْفِي التُّقَى إِيجَابُ صَوْلَتِهِ* ... وَ لَا يَشُــوبُ الرِّضَى بِالسُّخْطِ وَ النِّقَــمِ

---

[1]- المرجع السابق نفسه ، ص 58.

*- في البيت إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ ... وَ لَكِن رَسُولَ اللهِ وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ ...﴾ سورة الأحزاب :40.

[2]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص 16.

*- صولته : من صال على قربه : أي سطا عليه.

أَعْظِمْ بِأَصْلٍ زَكِيٍّ أَبْدَاهُ مَــوْلِدُهُ مَا البَدْرُ ، مَا الشَّمْسُ ، مَا تَوحِيدُ حَظِّهِمِ[1]

يبقى الممدوح مثارا للإبداع و التفنن إذ يتسامى على كل البشر، فهو مؤيد بالنور منذ ولادته إلى يوم مماته ، إنه مشرف من الله تعالى في كل آن و حين، فنحن مطالبون بالثناء و تسخير كل القدرات الإبداعية في مدحه والتغني بخصاله :

وَ أَلِّفْ اللَّفْظَ بِالوَزْنِ الصَّحِيحِ تَجِدْ شَخْصًا تَأْلَفْ مِنْ حِلْمٍ وَ مِنْ كَــرَمِ

وَ بِائْتِلَافِ مَعَانِي اللَّفْظِ زِدْ مَدْحًــا كَالعِقْدِ زَانَ الطَّلَا بِالجَوْهَرِ النَّظِــمِ

وَ أَلِّفِ اللَّفْظَ بِاللَّفْظِ البَدِيعِ وَ عُــمْ فِي بَحْرِ نَظْمٍ بِمُوجِبِ المَدْحِ مُلْتَطِمِ[2]

إن مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم تغنى به شعراء المدائح النبوية بشكل كبير ، و في صور ملفتة للانتباه ، لكن مدحه في البديعية كان متميزا ، بتناسق الصفات ، و تقارب الدلالات، ذات البعد الإسلامي ، حيث تتوالى المعاني المتشعبة و المترامية الحدود، المتعلقة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، في سياق عام تغلب عليه معاني المدح ، التي تداولها بعض الشعراء ، لكنها تفردت في هاته البديعية و عبرت عن نفسها في شكل متفرد ، و أمام هذا النسيج يظهر محور دلالي للمديح ، مكمل و داعم لما جاء قبله، إذ يتدرج السياق الدلالي في تسلسل و تداخل، حيث تتوالد المعاني في التحام وصيرورة نحو التحديد و التفصيل ليصل إلى صفات الرسول صلى الله عليه وسلم .

[1]- المرجع نفسه ، ص16.
[2]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص 17.

ب- صفـــــاته

إنه تواصل رائع تجلى في البديعية من خلال التلاحم الذي يصل به الشاعر إلى التفصيل في صفات الرسول – صلى الله عليه و سلم - فنحن في صدد نص للمديح ، ذو خصوصية إذ يجمع بين الجمالية الإبداعيـــة و القيمة الفنية – البلاغة – و العاطفة السامية ، و الهدف متميز و الغاية تربو فوق كل الغايات النفعية ، و يظهر ذلك في قوله :

وَ رَتِّبِ المَدْحَ كَيْ تَحْظَى بِنَائِلِهِ   حَيًّا وَ مَيْتًـــا وَ مَحْشُورًا عَلَى قَدَمِ

وَ إِنْ تَعُدَّ سَجَايَاهُ تَجِدْ شَـــرَفًا   وَ عِزَّةً وَ جَلَالًا وَ اَعْتِلَا هِمَـــــمِ [1]

قمة الانفعالية التعبيرية التي تجسد موقف الشاعر من خلال الإشادة بصفات النبي صلى الله عليه وسلم و شمائله، في نوع بديعي يحمل كل المعاني وبصورة متجانسة ، تنساب معها انسيابا موحية بإشارات لصفات لم تتسن لأي من البشر ، فكأن البنية العامة تتراوح معلنة عن المضمون ، و يعبر عن ذلك بالتفصيل بقوله :

فَرْقٌ إِذَا قِيلَ إِنَّ الصُّبْحَ وَاضِحُـــهُ   هَذَاكَ خَافٍ ، وَ هَذَا وَاضِحُ اللُّقَـــمِ*

وَ اجْمَعْ حُلَى مُفْرَدٍ قَدْ زَانَ صُورَتَهُ   بِالعِلْمِ، وَ الحِلْمِ، وَ الأَقْدَارِ، وَ الكَـــرَمِ*

وَ قُلْ بِتَقْسِيـــمِ مَدْحِي فِي مَحَاسِنِهِ   نَظْمًـــا وَ نَثْرًا تَجِدْهُ وَافِرَ القَسَـــــمِ

---

[1]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص 18.
*- اللقم : وسط الطريق أو هو السمو و العلو ، اللسان : مادة- لقم
*- في البيت عقد من حديث الرسول صلى الله عليه و سلم :" اللهم كما أحسنت خلقي ..."

آرَاؤُهُ الصُّبْح فِي تَفْرِيقِ مَا جَمَعُوا   وَ وَجْهُهُ الصُّبْح يَمْحُو لَيْلَ شَكِّهِـــمِ[1]

إنه نظم جميل لأنواع بديعية تعبر عن تميز الممدوح ، مقتبسا من الحديث موائما الألفاظ في شكل بلاغي بديعي استوعب كل انفعالات الشاعر ، و أفرغ مكنون نفسه ، بما امتلأت به الأبيات من إبداع و معارف حول شمائل النبي صلى الله عليه وسلم :" فقد كان أحسن الناس وجها و أحسنهم خلقا، ليس بالطويل البائن ، و لا بالقصير "[2].

إنها معارف شتى تتوارد في الأبيات ، تشكل ثقافة إسلامية من سيرة النبي صلى الله عليه و سلم وصفاته ، و كذا معجزات الرسل السابقين ، فالقصيدة كانت فرصة ، لعرض أنماط مختلفة من المعارف ، إذ يمزج الشاعر بين حسه الإبداعي و الديني معبرا عن تاريخ مجيد ، غيب و افتقد .

يبقى النص مفتوحا و متغلغلا في الوجدان تنبع منه مشاعر مختلفة ، و أحاسيس ثائرة على الوضع ، في تأمل جمالي محض ، يتماهى في تشكيلاته ، في لمحات بارقة إذ يعرج على النفس ، قائلا :

وَ اعْصِ* الهَوَى طَائِعًا* مَوْلَاكَ وَ ارْجُ بِهِ   ممـــدَّهُ لِتُفَـــرِّقَ حـــرّ فَيْضِهِـــمِ

وَ طَهِّرِ النَّفْـــسَ بِالتَّجْرِيـــدِ* إِنَّ لَـــهَا   شَيْطَان غَيٍّ ، يَدُسُّ السُّمَ فِي الدَّسَمِ

وَ اَغْسِلْ بِدَمْعِكَ أَرْدَانَ* الذُّنُوبِ وَ قُلْ   يَا دَمْعُ سُحَّ بِأُفْقِ الخَدِّ ، وَ انْسَجِمِ[3]

إن الشاعر يبدع في رسم لوحته المختلفة الألوان ، المتصارعة الأفكار ، جميلة في ذاتها و بذاتها تعبر و تنطق عن أسمى المعاني ، إذ انتقل الإحساس بالذات الأخرى- الممدوح- و تغلغل في أعماق النفس ، ليمتزج مع الروح النقية الصافية الطاهرة ، التي تجرد بكل كيانه ليمدها من كل مكنونات نفسه ، إنه نور

---

[1]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص 18.

[2]- الحسن بن مسعود البغوي ، حققه و خرج احاديثه " العلامة الشيخ ابراهيم اليعقوبي" ، **الأنوار في شمائل النبي المختار** ، دار المكتبـــة ، دمشق (سوريا) ، ج1 ، ط2 ، 1999 ، ص 161.

*- العصيان ، هو ترك الإنقياد ، و الفيض : هو النهر ، و في حديث الحج :" فأفاض من عرفة "

*- الطاعة : هي موافقة الأمر طوعا ، و هي تجوز لغير الله .

*- التجريد : من تجرد الأمر ، وتجرد للعبادة : إذا جد في القيام بأمر : اللسان سادة جرد.

*- أردان : (ج) : ردن : أصل الكم و قيل هو الكم كله " اللسان " مادة ردن.

[3]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص 19.

الأمة ومنبع للحياة لا ينضب ، فكانت الثنائية الفذة ، روحا تحيا وعلما ينظم في شكل بديع ، يقول :

أَحْيَا البَدِيعُ بِهِ مَيْتَ البَدِيعِ فَسِـــمْ   إِبْدَاعَ إِبْدَاعِهِ بِالحُكْمِ وَ الحِكَمِ

شِرْعَـــةِ الحَقِّ ، سَمَا الحَقُّ أَنْبَتُـــهُ   فَانْعِمْ بِفَاطِمَةَ حُسْنَ اتِّفَاقِهِـــمِ[1]

إن المعاني و الألفاظ تتواءم مشكلة حلة بديعية ، تتجذر فيها أصول الحياة و الجمال لأي عمل أدبي ألا و هي علوم البلاغة ، التي جسدت و بصورة واضحة في البديعيات ، إذ تنوعت المعارف بين نظم علمي و فن المدح الذي سما و تلألأ نجمه في ظل البديعيات ، فكانت الغاية غايتين ، كل واحدة تسمو بجانبها إلى عنان السماء ، كما يسمو الشاعر في بديعيته بأبعاده الإسلامية ،ومعانيه المتعددة التي تزخر بها القصيدة بين الفينة و الفينة ، و التي توحي للوهلة الأولى بتفكك المعاني ، لكنها تبقى محور و لب الموضوع ، إذ يحيلنا إلى صيغ مماثلة لتلك التي انتهى إليها سابقا يقول :

ع[*] مِنْ حَدِيثِ السَّخَا عَنْ فَيْضِ سَارِيَةٍ   عَنِ النَّدَى ، عَنْ عَطَا إِنْعَامِهِ العَمَـــمِ[*]

وَ ارتَحْ لِرَاحَةِ كَفٍّ أَظْهَرَتْ عَجَبًـــــا   بِاللَّمْسِ وَ السَّمْعِ ، وَ التَّفْجِيرِ بِالدِّيَمِ[2]

يبقى الحديث عن معجزات الرسول صلى الله عليه و سلم، فهي كثيرة إذ لا يمكن الإحاطة بها ، فكأن الشاعر يتوسم من خلالها جسرا للنجاة و للتذكير في صورة من المهابة و الجلالة ، حيث نبع الماء ينفجر بين أصابعه ، إذ " روى البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : " عطش الناس يوم الحديبية ، وكان رسول الله صلى الله عليه و سلم بين يديه إناء يتوضأ منه فأسرع الناس حوله و قالوا يا رسول الله ليس معنا ماء نتوضأ به، ونشرب إلا ما بين يديك ، فوضع رسول الله صلى الله عليه و سلم يده في الإناء فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا و توضأنا ، قيل لجابر كم كنتم ؟ قال :

---

[1]- المرجع نفسه ، ص 20.

[*]- ع : عن.

[*]- في البيت عقد من حديث الإستسقاء وخروج الماء من بين أصابعه صلى الله عليه و سلم ، و الفيض الأقدس عبارة عن التجلي الحسي الذاتي الموجب لوجود الأشياء ، و استعداداتها في الحضرة ا لإلهية .

[2]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص 20.

كنا خمسة عشرة مائة ، و لو كنا مائة ألف لكفانا "[1].

إنها معجزة أنقذت جيش المسلمين ، إذ الشاعر يـــتأسى و يتعزى وتتوارد إليه المعاني تباعا إذ " التغير الدلالي هو قوام الإبداع ومظهر الخلق الفني "[2] ، فالشاعر في كل ذلك يحاول استعادة الماضي في صنعة بديعية ، تنبع منها عاطفة الانتماء و الافتخار ، يود التميز من خلال هذا المزج بين روح إنسانية ، و نسيج بديعي متفرد ، يثير فكر المتلقي ويحرك روحه الجامدة باستثارة مشاعرها في بديعيته التي " تغزو فكره ، و تأمر وجدانه لأنها فيض خاطره ، و بعض عقله و روحه ، فخلودها خلود له ، و هي جزء منه و ذكرى بعده ، وهو مذكور بذكرها و تواصلها ، وبها ينفض عن نفسه قلق الفناء و يستعيد ذاته الضائعة "[3]

إن تشوه الحقائق ، و التغير المفاجئ في نمط الحياة ، و انقلاب الموازين و غياب المبادئ ، جعل الشاعر يلجأ إلى الذات الأخرى ، إلى رمز الأمة الإسلامية ، و مثلها الأعلى ليعيش الماضي الغائب الحاضر ، حيث يواصل حديثه عن المجسد لتاريخ إسلامي حضاري زاهر ، يقول :

مُحَمَّدٌ أَحْمَدٌ أَصْلٌ تَفَــرَّعَ عَــنْ عَمْرو بن عَبْدِ مَنَافٍ عَن قُصَيِّهِــمِ*

مُحَمَّدٌ أَحْكَمُ الحُكَّامِ خَيْــرُ فَتًى شَفَّى بِتَفْلَةٍ فِيهِ مُعْضِلَ السَّقَــــمِ*

مُحَمَّدٌ حَسَّنَ المَخْلُوقَ خَالِقُــهُ حَبَاهُ بِالخَلْــقِ المَنْسُوبِ لِلْعِظَــمِ

مُحَمَّدٌ أَحْمَدٌ ، طَهَ الَّذِي ظَهَرَتْ عَنْهُ المَحَــامِدُ فِي بَدْءٍ وَ فِي خِتَــمِ[4]

وهكذا حرص الشاعر على إبراز الكثير من المعارف، التي يعكس من خلالها موقفا هاما متعلقا بتلك الازدواجية، التي فرضها واقع أليم فجمع فيها بين نظم علمي ، بين الفكر و الشعور ، في منظومة شعرية، و غرض شعري، المدح ، إنها المتناقضات التي جمعها الشاعر في قصيدته ليستوعب تجربته الانفعالية ،

[1]- محمد متولي الشعراوي ، **معجزات الرسول صلى الله عليه و سلم** ، ص 74.
[2]- د . محمد طه عمر ، **مفهوم الإبداع في الفكر النقدي عند العرب** ، عالم الكتب ، القاهرة (مصر) ، ط1 ، 2000، ص 114 .
[3]- المرجع السابق نفسه ، ص 114.
*- في البيت إطراد :" وهو يأتي بأسماء الممدوح ، و غيره و أسماء آبائه على ترتيب الولادة من غير تكليف .
*- في البيت إشارة إلى حديثه صلى الله عليه و سلم : " كان ريقه صلى الله عليه و سلم يشفي من الآلام ".
[4]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص 21.

فأحالها إلى قوالب الشعر ، صب فيها حقائق علوم البلاغة ، وضمنها معارف شتى ، استطاع تطويعها و إخراجها في حلة جديدة ، و في نسق معرفي فني جديد ، فجاءت المعارف متعددة ومتباينة ، مشخصة المعاني ، ومجسدة سيرة أنبل الخلق " فالفكرة أو الأفكار تتحلل مادتها الصلدة و تذوب جهامتها الذهنية، لتتمازج مع فنية الأداء، و لا نجادل في كون الصورة الفنية شكلا من أشكال الفكر ، و لكنه يستتر مدلوله في ضمير التصوير و إنه كذلك يتخفى في اللغة مكتفيــا بالإيحاء و التلويح "[1].

هذا يؤكد ما قلناه حول هذا المزج المتميز ، و المواءمة بين المعارف ، البديع ، و المعاني التي تومئ بدلالات أعمق ، إذ تكتسب الكلمة الواحدة معاني شتى ، و تتوالد في صور متباينة مفضية إلى الغاية و القصد موحية بمعاني مترابطة ومتداخلة معها ، إنها قمة الإبداع التي وصل إليها الشاعر مكتملة بالألغاز ، في قوله :

عَلَيْكَ صَلَّى إِلَهُ العَرْشِ مَا اتَّضَحَتْ   آيٌ بِتَفْصِيــــلِ إِجْمَــالٍ لِمُفْتِهِمِ[2*]

ثم إن الأمر لا يتوقف عند الإبداع ، إذ يتجاوزه الشاعر للوصول إلى أعلى قمة إنسانية، تتصارع فيها الأفكار وتتباين الأسرار التي يود كل واحد كشفها و النفاذ إلى أعماقها ، فتكون النفس البشرية واحدة منها ، يعرج عليها الشاعر ليعترف بذنوبه راجيا و داعيا و متوسلا في الفقرة الثالثة و الأخيرة.

---

[1]- د.رجاء عيد ، **القول الشعري (منظورات معاصر ة)** ،ص61.
[2]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص 23.
[*]- في البيت عقد من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ وَ مَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ... ﴾ الأحزاب : 56.

5- الدعاء والتضرع في بديعية ابن الخلوف

إن في الإبداع لذة يصاحبها تعبير عن المراد في العودة إلى النفس ، و الشاعر في كل ذلك يتأسى ويود الوصول إلى مبتغاه داعيا ومتضرعا في آخر الفقرات، فمدحه و تفننه فيه كان تمهيدا لغاية سامية سمو مدحه، يقول في ذلك :

يَا رَبِّ سَهِّلْ إِلَى الْجِنَابِ مُنْقَلَبِي وَ نَجِّنِي بِامْتِدَاحِي مِنْ لَظَى الْهَرَمِ[1]

يبدو أن غاية الشاعر من مدحه وبراعته فيه هي الوصول إلى الأماكن المقدسة، " فالجناب " اسم مكان معروف بنجد حيث مقام الحبيب الشفيع – أنبل الخلق – فهو يجهد نفسه محاولا نيل العفو:

و احْسِنْ رَيْحَانَ رَجَا ابْنِ الخُلُوفِ وَ جُدْ بِالْعَفْوِ وَ الْجُودِ يَا ذَا الصَّفْحِ وَ الْكَرَمِ[2]

إنه يتوسل ويتضرع لنيل الشفاعة من أكرم الخلق في أرق و أجل المعاني يقول :

وَ لَا تُعَسِّرْ فَمَالِي لِلرُّجُوعِ يَدٌ يَا ذَا الْجَلَالِ وَ يَا ذَا الْإِكْرَامِ وَ الْحَرَمِ[3]

لقد لجأ إلى القرآن مقتبسا ، طالبا النجاة ، متحسرا ، نادما ، فنداؤه من الأعماق، إذ لم يجد إلا شعره كترجمة لفكره ليحول بينه و العذاب ، يقول :

وَ جَازِنِي بِاحْتِرَامِي فِي مَدَائِحِهِ مِنْ غَيْرِ أَمَد ، وَ وَاصِلْ وَافِرَ النِّعَمِ[4]

ما ينبغي ملاحظته هذا التفوق في عرض الطلب فقد واءم بين المطلب و المعنى في شكل رائق فمدح الرسول– صلى الله عليه و سلم – الطريق الوحيد لنيل الشفاعة بالتوسل ، ثم إنه يدعو الله في النهاية

---

[1]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص 27.
[2] - المرجع نفسه ، ص 27.
[3] - المرجع نفسه ، ص 27.
[4] - المرجع نفسه ، ص 27.

أن يخلصه من الجحيم و والديه ، يقول :

وَ بِابْتِدَاءِ الْمَدِيحِ خِلِّصْ أَهْلَ مِلَّتِـــهِ وَ وَالِــدَيَّ وَ هَبْ لِي حُسْنَ مُخْتَتَمٍ[1]

و في براعة يختم الشاعر بديعيته من حلال اللون البديعي "حسن التخلص " الذي أحســن بــه التخلص ، محققا الفائدة العلمية والجمال الفني ، مجسدا لفن إسلامي ذو ألق خاص ، سواء من حيث التشبع بالمعاني الإسلامية ، أو جودة الصياغة و العاطفة الحارة ، النابغة من أعماق الوجدان ، و المفعمة بأحاسـيس مختلفة ، بداياتها شوق و نهايتها حسرة و ندم و دعاء ، كما رأينا في " مقام التضرع ".

و الشاعر في كل ذلك قد أبدع فعلا ، بحيث كان التلاحم بين فقرات بديعيتــه ، معــبرا عــن مضمون جليل في شكل بديع ، حيث كانت البدايات وقوفا على الأطلال ، إذ وظــف الشــاعر المقدمــة الطللية المعروفة عند الشعراء ، و لكنه أضفى عليها طابعا جديدا و خاصا ، فوقفته هنا مختلفة و متميــزة ، يبكي فيها و يشتاق لديار الحبيب الشفيع – النبي الكريم عليه أفضل الصلاة و الســلام – ،فهــي أمــاكن مقدسة كان يتنقل فيها النبي صلى الله عليه و سلم و صحابته الكرام ، حيث هي رمز لماض زاهر ، للهداية و البر ، فبفقده كانت الفجيعة للمسلمين ، بل للكون كله ، من ثمّ كان الإحساس بالفقد ، الذي عبر عنــه في مضمون عميق و بألوان البديع ، التي جاءت متناسبة و متناسقة مع المعاني ، بادئا بذكر شوقه لزيارة قبر النبي صلوات الله عليه بالبقيع ، و تذكر الأيام و العهود ، مشيدا بصفات الممدوح الخُلقيــة و الخِلقيــة ، و عظيم معجزاته معرجا على آله و صحبه ، منهيا بالتوسل و التضرع و طالبا الإعانة و الغفران.

لقد تميزت البديعية في مضمونها ، بما تثيره من مشاعر الشوق لدى المتلقي في المديح خاصــة ، و هذا ما اختلفت به عن المنظومات التعليمية ، كما أنها انفردت بأبيات رائعة و تصوير جميل و عاطفة صادقة

[1] - المرجع نفسه ، ص 27.

رغم الهدف العلمي، فقد ورد المضمون متناغما متوائما مع مبنى البديعية ، معبرا عن أسى وجداني عميـــق و قيم عليا، مع دلالات تجعل المتلقي محلقا متفاعلا باحثا عن كنهها ، فهي تستحوذ عليه بالمعاني التي تنمـــو و تتطور إلى نهاية البديعية .

الفصـل الثالث : الجانب البلاغي و الجمالي في بديعية ابن الخلوف

تمهيـــــــــد

النظـــام البـــــــــلاغي في بديعية ابن الخلوف

الجانب الفني و الجمالي في بديعية ابن الخلوف

3-1- الحقول الدلالية

أ- حقل ألفاظ الوجدان

ب- القاموس البلاغـــــي

ج- المعجم الاسلامــــي

3-2- البنية الايقاعية

أ- موسيقى الاطـــار

1)- الوزن أو الإيقاع

2)- القافيـــة

ب- موسيقى الألفاظ

1)- المحسنات اللفظية

أ)- السجع المطرف مع التصريع

ب)- الجنـــــاس

ج)- الترصيـــع

2)- المحسنات المعنوية

أ)- مراعاة النظير

ب)- الافتنـــان

ج)- التقسيـــم

3-3- الصورة الفنية في البديعية

أ- الاستعارية

ب- الكنائيـــة

ج- التشبيهية

1- تمهيــــــد:

إننا أمام نص إبداعي ذي بنية خاصة، تطبعه جمالية فنية، ذات ألق وجداني، حيث ينسج الشاعر خيوطا دقيقة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالصناعة البلاغية التي تعد من التراث، إذ تثير الفكر و العقل، و كذا الدهشة في جمعها بين علوم البلاغة و عمق مضمونها، إنه شمول و عمق و مضمون أعمق، فنحن أمام تراث نلتمس منه البذور التي ننطلق منها محاولين أسكتناه ماهية النص و بنيته الشكلية التي يتحكم فيها مظهران أو مستويان: المظهر الأفقي لتوالد النص، و المظهر العمودي للتشكيل الفني.

من ثمّ سنتحدث عن البنية البلاغية للنص ، أي تلك الأشكال التي اعتمد عليها " ابن الخلوف " في بديعيته، فأي نوع يا ترى اعتمده ؟ و هل هي مقتصرة على علم دون الآخر من علوم البلاغة ؟ و أي أشكال استوعبت بديعيته أكثر ؟ ثم ما البنية البلاغية التي تفردت بها البديعية، أو النظام الذي سارت عليه ؟ ثم ما علاقة تلك الأشكال و البنى البلاغية – إن صح التعبير – بالجانب الجمالي الموازي للجانب الأفقي؟.

فإن كانت بنية الشعر عند " ابن رشيق القيرواني " تشمل أربعة عناصر على حد قوله: "البنية من أربعة أشياء، و هي : اللفظ و الوزن و المعنى و القافية، فهذا هو حد الشعر، لأن من الكلام موزونا مقفى، و ليس بشعر لعدم الصنعة و البنية، كأشياء اتزنت من القرآن و من كلام النبي صلى الله عليه و سلم، و غير ذلك معا لم يطلق عليه أنه شعر"[1] ، فينبغي أن نلاحظ مدى المشابهة، فالعمل الشعري تبقى عناصره ثابتة، لكن و مع هذا يختلف الأمر، حيث تفردت البديعية ببنية خاصة مغايرة لبنية الشعر فبالإضافة لتلك العناصر نجد جانبا آخر ، معرفي و علمي، هو تلك البنى التي ميزت هذا النص و جعلته مثارا للإعجاب و المعرفة و كذا التساؤل حولها،

[1]- ابن رشيق القيرواني، **العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده** ، ص 108.

فما أثرها – الألوان البلاغية– في التشكيل البلاغي؟ و ما الهدف من توظيف مثل هذه البنى ؟.

من هنا سيشمل الحديث ماهية معرفية و كذا جمالية، إذ إن الارتباط الوثيق بينهما هو سمة العصور، فقراءة هذا النص البديعي يستلزم منا " استخدام ما يطلق عليه في البلاغة الجديدة " القراءة الجدولية " للنص الأدبي، و هي قراءة تمضي في المستويين الأفقي و الرأسي له "[1].

و لن يتأتى لنا ذلك إلا بتتبع البنى على مستوى الجمل المتتالية من خلال المصطلحات البلاغية التي تنسجم مع البنى في شكل إبداعي: " فالعمل المعين يستعمل في آن عدة أنماط من علاقات وحداته فيما بينهما، و هو تبعا لذلك يخضع إلى عدة أنظمة "[2].

من ثم سنحاول تتبع الأنظمة أو النظام المهيمن الذي اتبعه الشاعر أو فرض نفسه في البديعية، مع الإشارة إلى أنها تجمع بين فنون البلاغة في نسيج متماسك تتفاوت فيه الألوان بشكل مكثف، فكيف يا ترى جمع هاته القواعد التعليمية مع الفن في آن واحد و نسيج متلاحم؟.

بادئ ذي بدء سنحاول الحديث عن الجانب القواعدي أو الأفقي فإلى أي حد وفق الشاعر بين التنظير و التطبيق ؟ و كيف وظف الألوان البلاغية في بديعيته؟ و أي نظام اتبعه؟

---

[1]- د.صلاح فضل، **بلاغة الخطاب و علم النص**، الشركة المصرية العالمية للنشر لو نجمان ، القاهرة (مصر)، ط1، 1996، ص 5.
[2]- تزفيطان طودوروف ، **الشعرية** ، ترجمة شكري المبخوت و رجاء بن سلامة ، المعرفة الأدبية ، تونس ،ط1، 1987، ص 5.

2-النظام البلاغي في بديعية ابن الخلوف

إن بديعية ابن الخلوف تشتمل على ستة و عشرين و مائتي بيت، تتمازج فيها الألوان البلاغية في لوحة فنية موائمة بين المصطلحات و الشعر، إذ يذكر النوع البديعي أو يوريه مع براعة في توضيحه و إبراز معناه من خلال البيت، و هكذا تتوالى الأبيات في أشكال مختلفة.

كانت البداية أو مطلع البديعية من أحسن الابتداءات و هو براعة الاستهلال، اذ وفق الشاعر في ذكره مشيرا الى مفهومه بصورة مباشرة، مدلا على مضمونه قائلا:

أَمِنْ هَوَى مَنْ ثَوَى بِالبَانِ وَ العَلَمِ   هَلَّتْ بَرَاعَةُ مُزْنِ الدَّمْعِ كَالعَنَـــمِ[1]

إن لهذا الفن البلاغي قيمة عظيمة، لما حققه من قدرة في افتتاح الكلام بما يناسب المقصود، و هو بعد ذلك يحاول تحديد المصطلحات بشكل دقيق، إذ يتحدث عن التجنيس المركب[*] " التلفيق[*] و التفريق"، و هي مصطلحات كلها تؤول الى معنى واحد ، يتأرجح اللون البلاغي بينهما، إلى أن يصل الى التفريق الذي يعد غاية البديع، حيث يفسره الشاعر تفسيرا دقيقا في قوله:

وَ إِنْ رَجَـــوْتَ فَدَعْ تَفْرِيقَ دَهَرَ مَا   أَبْدُوا وَ سَـــلْ عَنْ دَمِ القَتْلَى بِحُبِّهِمِ[2]

إنه يذكر اللـــون البديعي "التفـــريق"، الذي يعرفه " ابن حجة " بقولـــه: " ان التفريق في اللغـــة ضد الاجتماع، و في الاصطـــلاح أن يـــأتي المتكلـــم أو الناظـــم إلى شيئين من نـــوع واحد، فيوقـــع بينهمـــا تباينـــا و تفريقا، بفرق يفيد زيـــادة و ترجيحـــا فيما هو بصدده من مـــدح أو ذم أو نسيب أو

---

[1]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص05.

[*]- التجنيس المركب: ما اختلف ركناه إفرادا و تركيبا، فإن اتفق الركنان خطا سمي مقرونا ، و إلا سمي مفروقا، أحمد الهاشمي، **جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع**، ص 328.

[*]- التلفيق: أو الجناس الملفق: يكون بتركيب الركنين جميعا.

[2]- المرجع السابق نفسه ، ص05.

غيره"[1] ، ثم إنه لا يكتفي برصد اللون، إذ يوضحه في معنى عميق حيث يتجلى لنا الحب في أرقى صوره و أقصاها، فالأمر الذي أصابهم لا يضاهيه شئ فما أصابهم به الدهر لا يساوي شيئا مما فعله حبهم، إنها مقاربة معرفية تنم عن دلالات عميقة، يغدو فيها الحب انتماء و ولاء لحب كبير،لا يقارن و لا يشابه –سيد الخلق و أنبلهم– فكان الشاعر بهاته البنية يجسد مشاعر سامية "فهي في الواقع محاولة الشاعر لتجسيد علاقة النبل و التسامي التي تتجسد في حالة الخلق الفني "[2].

إنه الإبداع الذي تجلى أكثر في البديعية، من خلال الجانب العلمي المعرفي خاصة فيما يتعلق بعلم البديع، إذ وظف الشاعر جل الألوان البديعية في قصيدته مع أننا لا نغفل توظيفه للبيان و المعاني، يعني أن هيكله أصبح مخططا يتحكم فيه جانب معرفي أو علمي حيث يستمر الشاعر في بناء نصه موائما بين الدلالة و ألوانه البلاغية، موريا تارة و ذاكرا تارة أخرى اللون البلاغي أو البديعي، إذ تتناثر ألوان المعاني و البيان بين طرفي البديع ، حيث نجده يوظفها بين الحين و الآخر، لكن الغالب و الأولوية لعلم البديع، فالنظام الذي اتبعه" ابن الخلوف "لم يلتزم فيه بما عرف في البلاغة القديمة في أن المعاني و البيان في المرتبة الأولى ثم يأتي علم البديع، باعتباره زينة و زخرفة لفظية، و في ذلك يقول الخطيب القزويني: " البلاغة في الكلام مرجعها إلى الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد و إلى تمييز الكلام الفصيح من غيره ، و الآني أعني التمييز منه ما يتبين في علم متن اللغة أو التصريف أو النحو أو يدرك بالحس و هو ما عدا التعقيد المعنوي، و ما يحترز به عن الأول أعني الخطأ هو علم المعاني، و ما يحترز به عن الثاني أعني التعقيد المعنوي هو علم البيان و ما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال و فصاحته هو علم البديع"[3].

---

[1]- ابن حجة الحموي ، **خزانة الأدب و غاية الأرب**، ص 378.
[2]- د.أيمن محمد زكي العشماوي ، **قصيدة المديح عند المتنبي**، دار النهضة العربية، بيروت(لبنان)، ط 1، 1983، ص 135.
[3]- الخطيب القزويني، **الايضاح في علوم البلاغة (المعاني، البيان، البديع)** ، ص09

إذن فالنظام في البديعية اختلف، إذ كانت الصدارة لعلم البديع بمصطلحاته التي هيمنت على امتداد الأبيات، و هذا ينم عن إبداعية و تفوق في النظم، و هو في ذلك،"يتناوله تناولا جديدا يكشف عما يشاهده من قصور و بذا يستحق وصف المبدع لأنه رأى الأشياء أو بدت هي في صورة لم يفطن إليها غيره ، فأعاد صياغتها لتلائم رؤيته و مزاجه و توجهاته الخاصة" [1].

يتجلى لنا هذا الإحساس الفني في الجمع و المواءمة و التوالي بين الأنواع البديعية في بناء متماسك، من خلال التماثل و التضاد في الجمع بين الدال و المدلول، إذ التعطيف ، و التصحيف و التعريف، و التذييل ، و التجريد ،بين تتماثل و تتشاكل ضمن نظام دقيق ، حيث يوظف الشاعر الفنون البديعية تباعا ، و التي تحمل معاني متقاربة ، متواشجة و متضادة في آن، و كلها ألوان بديعية تتناسب و دلالات الفقرة الأولى ، و تترجم ما يعانيه الشاعر من ألم و حنين و افتقاد، حيث نجده ينسج المعاني في إطار اللون أو المصطلح البديعي الذي يتأرجح بين الذكر و التورية ، تفسير و تلميح و تفصيل، حيث يمثل للجناس المصحف* في قوله:

وَ كَمْ بِخَيْرِ وَ جَيْرٍ* صَفَّحُوا* كَلِمِـــي   وَ حَرَّفُوا بِوُقُــوعِ الحِلْمِ فِي الحُلْمِ [2]

لقد فسر الجناس المصحف في بيت واحد ذاكرا له مدلا عليه، و تفسيره مرتبط تماما بالنوع البديعي إذ الشاعر لا يرصد الألوان و يجمعها لأجل ذلك، بل ينتقي ما يفيد و في الموضع اللائق بها، و يستمر في تعريفه لها و تلميحه إليها فيلائم بين شطري الأبيات، و يمتد الزخرف و المعنى إذ يعلل الشاعر التذييل* في قوله :

---

[1]- د. محمد طه عمر، **مفهوم الإبداع في الفكر النقدي عند العرب**، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2000، ص 49.
*- الجناس المصحف و المحرف: من التصحيف و هو زيادة نقاط أو حذف نقاط من الكلمة أثناء الكتابة.
*- جير : بمعنى أجل ، وجير : بمعنى اليمين.
*- صفحوا : نظر إليه بصفح وجهه ، ويصفح وجهه ، تصفح الشيء تأمله و نظر في صفحاته ، و تصفح القوم نظر في أحوالهم أو نظر في خلالهم هل يرى فلانا.
[2]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص05.
*- التذييل هو أن يذيل الناظم أو الناثر كلاما ، بعد تمامه و حسن السكوت عليه ، بجملة تحقق ما قبلها من الكلام ، وتزيده توكيدا أو تجري مجرى المثل بزيادة التحقيق، ابن حجة الحموي، خزانة الأدب و غاية الأرب، ص 232 .

وَ لَوْ بِتَطْرِيفِ عَهْدٍ قَدْ مَضَى اِرتَجَعُوا لَذَيَّلُونِي بِفَرْطِ عَاطــــــرِ الشِّيَـــمِ[1]

فهو يذكر هنا اللون البديعي و يربطه بالتجريد* في قوله :

لَكِنَهُمْ مَــــرَرُّوا نَدْوَى الفُــــؤَادِ بِمَا قَدْ جَرَّدُوا الشَّوْقَ مِنْ بِلْبَالِ عَهْدِهِم[2]

و تتوالى المعاني مشكلة لوحة زخرفية، حيث ينتقل مباشرة إلى الالتفات* دون ذكره في البيت لكن المعنى يشير إليه و ينوب عن اللون البديعي ، إذ يقول:

وَ بِالْمُتَوَّجِ مِلْ بِي وَ اَسْتَمِلْ فَلَقَّــــــا مَالَ السَّبْع أَنْ بَانُوا وَ انْطَلِق وَهِـــمِ[3]

يتضح جليا أن الشاعر ينتقل من المخاطب الى الغائب، و بعد ذلك يعود مرة أخرى إلى المخاطب و لهذا دلالته، و بهذا يشير إلى الالتفات ، و يدرك معناه من خلال مبنى البيت الشعري، فكأن الشاعر بهذا التقارب في المعاني و التماثل يكشف لنا عن صياغة خاصة لبنى قصيدته و إبداعية ، تتواشج فيها الألوان و تتداخل منبئة عن جانب دلالي و معرفي، و ترابط رائع، يثير في ذواتنا آلامه و أحزانه، من خلال توسيعه في معناه بأنواع التجنيس، حيث تتوالى أنواعه في الأبيات مثل الجناس المحرف* و المذيل* و اللاحق*، و لقد كان توظيفه للجناس في الفقرة الأولى لمواءمته غرض الشاعر أي الغزل، حيث إن " للجناس وظيفة في الصنعة الشعرية فهو يؤثر في

---

[1]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص06.

*- التجريد: هو أن ينتزع من أمر ذي صفة آخر مثله، و فائدته المبالغة في تلك الصفة، الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص56.

[2]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص06.

*- الالتفات: و هو أن يكون الشاعر آخذا في معنى فكأنه يعترضه إما شك فيه، أو ظن بأن رادا يرد قوله أو سائلا يسأله عن سببه فيعود راجعا إلى ما قدمه فإما أن يذكر سببه أو يجعل الشك فيه / قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان)، ص150.

[3]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص06.

*- الجناس المحرف: أو جناس التحريف: و هو ما اتفق ركناه في عدد الحروف و ترتيبها و اختلفا في الحركات سواء كانا من اسمين أو فعلين، أو من اسم و فعل، ابن حجة الحموي، خزانة الأدب و غاية الأرب، ص 87.

*- الجناس المذيل: هو ما زاد أحد ركنيه على الآخر حرفا في آخره فصار له كالذيل، المرجع نفسه، ص 70.

*- الجناس اللاحق: ما أبدل أحد ركنيه حرف من غير مخرجه، المرجع نفسه، ص 71.

النفس و الأذن، حين يعمل على إيهام السامع أن الكلمة المكررة ذات معنى واحد فإذا أمعن المرء النظر فيها رأى المعنى مختلفا مما يجلب الإعجاب ، و يدفع إلى متابعة التمعن" [1].

إنها بلاغة حاضرة في النص كله، و كأن للون البديعي الصدارة و الامتداد في نظام دقيق، و متواتر لا يخرج عن النسق الثلاثي، إذ تتوالى الألوان البديعية و تتماسك في البناء الأفقي للقصيدة في حلة جميلة موشحة و مطرزة و يواصل الشاعر توظيفها دون فصل بينها، ذاكرا اللون البديعي في أغلب الأحيان، هكذا تتشكل البديعية بنظام واحد فتبقى المصطلحات البديعية سمة مميزة بين مد و جزر، حيث تتباين و تختلف ، و يرفرف النسق البلاغي على البديعية، حيث نجد الاستعارة في قوله :

وَ بِاسْتِعَارةٍ أَبْدَى الصُّبْح قَدْ عَرَفُـــــوا   أَسْتَارَ شِعْرِ الدُّجَى عَنْ وَجْهِ بَدْرِهِمِ[2]

و كذا المجاز في قوله:

اَعِنْدَهُـــــــمْ وَ عُيُونُ اللهِ تَحْرُسُهُـــمْ   مِنْ اِعْتِرَاضِ حَسُودٍ لَمْ يَقُلْ بِهِـــمِ [3]

إن الشاعر يوظف بين الحين و الآخر ألوان البلاغة من علم البيان، ذاكرا لها و موريا عنها، في لوحة دقيقة رائعة خالصة للفن في نظام متميز، ينم عن ثراء تراثنا بعلومه البلاغية الثلاثة، من ثمّ فهذا النظم لها يجعل للعمل الأدبي الأسبقية و الأفضلية " إذ الأمر ليس أمر البديع في حد ذاته و إنما أمر التوفيق الفردي للمبدع في توظيف إمكانات الفنون البديعية في كل عمل أدبي "[4] ، و ما نود الإشارة إليه أنه قد وظف الألوان البلاغية بشكل مكثف لكن عن دراية و رعاية إذ تجتمع الصنعة بالصياغة ، حيث نجده يذكر اللون البديعي في بيتين أو

---

[1]- د. عبد الله التطاوي، **قصيدة المديح العباسية بين الاحتراف و الإمارة**، دار قباء، القاهرة(مصر)، 2000، ص 325.
[2]- حورية رواق ، **" بديعية مواهب البديع في علم البديع "** ، ص 07.
[3]- المرجع نفسه ، ص 07.
[4]- د. صلاح رزق ، **أدبية النص (محاولة لتأسيس منهج نقدي عربي)** ، دار غريب ، القاهرة(مصر)، 2002، ص 111.

ثلاثة ، ثم يمثل له في الأبيات الموالية دون ذكره ، مع أننا و في تتبعنا للمصطلح البديعي نلاحظ مصطلحات تحتاج إلى التوضيح كالتفويف في قوله:

غِبْ ،إِبْدُ ، مُرْ إِنَّهُ عَزَّ أَهنْ   فَرِّقْ ، أَقِلْ حَيِّ لَمْ جِدْ أَعْطِ هِبَاتِهِمِ[1]

و يتضح ذلك الغموض لطبيعة النوع في حد ذاته حيث يعرفه " ابن حجة الحموي " في قوله:" التفويف تأملته فوجدته نوعا لم يفد غير إرشاد ناظمه إلى طرق العقادة ، و الشاعر إذا كان معنويا و تجشم مشاقه ، تقصر يده عن التطاول الى اختراع معنى من المعاني الغريبة، و تجفوه حسان الألفاظ، و لم يعطف عليه برقة و تأنق "[2].

و في المقابل نجد أن " الخطيب القزويني " يعتبر هذا اللون جمعا بين معان متلائمة، " فهو أن يؤتى في الكلام بمعان متلائمة في جمل مستوية المقادير أو متقاربتها" [3].

هذا التعارض لا ندرجه هكذا بل لنؤكد أن الألوان البديعية تبقى مصدرا لتعدد المعاني و اختلاف المشارب و الاتجاهات، مع ذلك فقد جاءت متواصلة مع دلالات البديعية، فمثلا نجد الإبهام، الطرد و العكس، ثم يأتي مصطلح آخر يمت بصلة للأنواع السابقة، "حسن البيان" الذي يعد عقد لؤلؤ عند أصحاب البديعيات فهو البلاغة حقيقة، و يضفي ألقا على باقي الألوان ، فيتنامى المعنى بنورانيته و جماليته، و تدلنا الألوان ذاتها على تقاربها و تواشجها، و وصول الشاعر بذلك إلى منتهاه الدلالي، موظفا ألوانا تتواصل و تمتد بصورة أو بأخرى

---

[1]- حورية رواق ، **" بديعية مواهب البديع في علم البديع "** ، ص 11.
[2]- ابن حجة الحموي، **خزانة الأدب و غاية الأرب**، ص 246.
[3]- الخطيب القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني، البيان، البديع)** ، ص 198.

فيمـــا بينها، إذ نجـــد التشريع[*]، التشطير[*]، التشبيه المخمس[*]، و هـــو ممهد لعتـــاب المرء نفســـه ليؤكد "حسن التخلص".

إن الشاعر يجسد و يتميز بهذا الثراء و الإثراء لعلوم البلاغة و مع ذلك يبقى ،" لكل علم حدوده ، و لكن هذه الحدود و لا نكران لهذا ذات طبيعة مرنة، فهي أشبه بخطوط رمال متحركة، تتلاصق و تتضام، و تمتد و تتواصل، و هنا يمكن للحدود الأدبية أن تتداخل و أن تتشكل لها ملامح متجددة، و من ثمّ فلا نكران لتواصل حميم تتلاقى خطوطه على خارطة المعارف الإنسانية "[1] ، لكن الأمر هنا يختلف، فالجانب المعرفي كان حاضرا على امتداد البديعية في أشكال متباينة، حيث إن هيكل النص يتحكم فيه مجال معرفي مسبقا، يتواءم و فقرات البديعية الثلاث فبعد "حسن التخلص" ينتقل إلى المدح مدلا عليه بألوان بديعية متباينة، بداية بالاطراد الذي يشير إليه و يفسره تفسيرا دقيقا كأنه يحرص على كمال المعنى في قوله:

بُشْرَى الذَّبيحِ بنُ فَيَّاضِ ابنِ هَاشِمِ ابـــنِ المُغِـــيرَةِ فَاعْجَـــبْ بِاطِّـــرَادِهِمِ[2]

و على نفس المنوال يواصل الشاعر تحديده للألوان البديعية، حيث يذكرها بصفة مكثفة و بصورة متوالية كالكلام الجامع[*]، الإيجاز[*]، المبالغة[*]، إلى غاية التوشيع[*]، كما أنه يميل بذلك إلى الجمع بين الفنون

---

[*]- التشريع: هذا النوع شرطه أن يبني الشاعر بيته على وزنين، من أوزان القريض و قافيتين، فإذا أسقط من أجزاء البيت جزءا أو جزأين صار ذلك البيت من وزن آخر غير الأول ، ابن حجة الحموي، خزانة الأدب و غاية الأرب، ص 266.

[*]- التشطير هو أن يقسم الشاعر بيته شطرين، ثم يصرع كل شطر منهما لكنه يأتي بكل شطر من بيته مخالفا لقافية الآخر، كل شطر عن أخيه، المرجع نفسه، ص 381.

[*]- التشبيه المخمس : التشبيه ركن من أركان البلاغة، و أركانه أربعة: المشبه، المشبه به، الشبه، التشبيه و هو الإلحاق المذكور في الشبه، و هذا النوع يرد المشبه متعددا أي خمسا.

[1]- رجاء عيد، **القول الشعري (منظورات معاصرة)** ، ص 19.

[2]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص 13.

[*]- الكلام الجامع: و هو أن يأتي الشاعر ببيت تكون جملته حكمة أو موعظة أو تنبيها أو غير ذلك من الحقائق الجارية مجرى المثال صفي الدين الحلي، شرح الكافية البديعية، ص 121.

[*]- الإيجاز: و هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارة المتعارف ، المرجع نفسه، ص 98.

[*]- المبالغة: إفراط وصف الشئ بالممكن القريب.

[*]- التوشيع: و هو إثبات المتكلم أو الشاعر باسم مثنى في آخر الكلام أو البيت لم يكن بعده إلا مفردات هما عين ذلك المثنى، فيكون الأخير منهما هو قافية البيت أو سجعة الكلام، المرجع نفسه، ص 132.

المتقاربة مدركا بذلك الأزمة التي نتجت عن هذا الكم البديعي الهائل، عن نظـم هذا الفـن أو الدرس البـلاغي البديعي، الذي حـاول رصد ألوانـه في أشكـال متباينة، حـتى يتجلى التقـارب أكثر في قولـه عن " التشبيه المثنى":

تَكَامَلَ الوَجْهُ عَنْ تَشْبِيهه قَمَرًا   أَبَانَ عَنْ مَبْسَمٍ كَالعِقْـدِ مُنْتَظِـمِ[1]

و كذا تشبيهه شيئين في قوله:

شَبِّهْ بِشَيْئَيْنِ إِنْ تُرِدْ فَتَجِـدْ   غَيْثًا هَمَا، وَ حَكَى كَاللَّيْثِ فِي الأَجَمِ[2]

لقد ورد التشبيه باعتباره من علم البيان، لكنه لون بلاغي ينبئ عن روعة و جمال و جانب معرفي، مثل ما يوضحه كذلك، الاقتباس*، و التلميح*، و حسن التضمين في الأبيات الموالية من البديعية، فهذه الألوان مرتبطة بحقائق مهمة، و قد حرص الشاعر على هذا التنوع و التباين ، حيث تبدو للوهلة الأولى مكررة، لكنها تنبض بمعاني و حقائق و دلالات تزخر بها البديعية في شكل رائق و فريد يجمع بين المعرفة و العاطفة،"فهذا الجمع بين العقل و الوجدان لا يتمثل في تراث ثقافي بمثل الوضوح الذي يتمثل به في الثقافة العربية و تراثها"[3].

كذلك كانت البديعية أصدق نموذج، حيث نجد اللون البلاغي يحمل علما، فكرا، و ألقا وجدانيا، كالعقد في قوله:

---

[1]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص 15.
[2]- المرجع نفسه، ص 15.
*- الاقتباس: أن يضمن المتكلم كلامه كلمة أو آية من آيات الكتاب العزيز خاصة.
*- التلميح: أو حسن التضمين، هو أن يضمن المتكلم كلامه كلمة أو كلمات من آيات أو بيت شعر، أو فقرة من خبر، أو مثل سائر، أو معنى مجرد من كلام، أو حكمة. صفي الدين الحلي، شرح الكافية البديعية، ص 328.
[3]- زكي نجيب محمود، **تجديد الفكر العربي** ، ص 320.

وَ اشْهَدْ بِتَمْكِينِ ذِي النُّونِ الكَرِيمِ وَ قَدْ نَجَّاهُ فِي اليَّـــمِ مِنْ أَحْشَاءِ مُلْتَقِـــمِ[1]

من ثم لم يقتصر النظم على الألوان البلاغية، إذ تجاوزه لمعارف إســـلامية و عواطف سامية، تنم عن ثقافة وسعة اطلاع و تمكن مـــن البلاغـــة، مـــن خلال السير ضمن آليـــات ينمو وفقهـــا النـــص البـــديعي، إذ الألـــوان البلاغية تنمـــو مع النص و تتكثف، فنجد الائتلاف في أشكـــال شتى، مثل: " ائتلاف المعنى و الوزن"*، "ائتلاف اللفظ بالوزن"*،"ائتلاف اللفظ مع المعنى"*،" ائتلاف اللفظ باللفظ "*، فقد جمعها الشاعر في شكل متتال و لهذا دلالته، حيث تكتظ البديعية بالألوان المتناسقة و المتقاربة، و هذا التشابه لا يلغي تلك المفارقة، التي تتجلى من خلالها خصوصية البديعية، و مدى تمكن الشاعر من نصه الإبداعي،حيث يقوم بانتقاء مادته و تنظيمها"، فبين الوحدة و التنوع تتمايز خصوصية و تفرد"[2].

من هنا نجد أن نظم الألوان البلاغية لم يكن إلا عن دراية و حسن اختيار، و سبك أفكار، و رصد ألوان، إذ "ترتبط الفكرة في البلاغة العربية و الشعر الذي وصفوه بانه صياغة و ضرب من التصوير على ان ذلك اقتدار في الجهد البلاغي، و احتشاد لاستخدام التشكيل البلاغي في الموطن الصحيح"[3] و هذا ما أشار إليه الجاحظ.

تبقى الألوان متنامية ،متشابهة، متباينة، و مكررة لغاية و هدف سام، إنها أثر بلاغي راق يجسد علما

---

[1]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص 15.

*- ائتلاف المعنى و الوزن: و هو أن يأتي بلفظ يأتلف مع المعنى من غير حاجة إلى إخراج المعنى عن وجه الصحة لتقديم أو تأخير أو تحريك أو حذف أو قلب، صفي الدين الحلي، شرح الكافية البديعية، ص 254.

*- ائتلاف اللفظ بالوزن: هذا النوع لا مثال له بصورة معينة، لأنه عبارة عن ألا يضطر الشاعر إلى أن يقدم بعض الألفاظ و يؤخر بعضها فيفسد تصور المعنى و يذهب رونق اللفظ، المرجع نفسه، ص 233.

*- ائتلاف اللفظ مع المعنى: و هو عبارة عن الإتيان بألفاظ جزلة إن كان المعنى فخما، و بألفاظ رقيقة إن كان المعنى سهلا، المرجع نفسه، ص 183.

*- ائتلاف اللفظ باللفظ: و هو أن يكون في الكلام معنى يصح معه معنى واحد من عدة معاني، فيختار منها ما بين لفظه و بين بعض الكلام ائتلافا و ملاءمة.

[2]- رجاء عيد، **القول الشعري**(منظورات معاصرة) ، ص 21.

[3]- د.محمد بركات حمدي أبو علي، **في الأدب و البيان**، دار الفكر ، عمان (الأردن) ، 1984، ص 49.

من أهم علوم البلاغة ، إنه تحديد للفكر البلاغي المرتبط ارتباطا وثيقا بمناحي الحياة ، و " لذا فتجديد الفكـــــر البلاغي، دعـــوة إلى النظر السليم في قضايا الفكر و الحياة"[1].

و مع تتبعنا لأبيات البديعية نجد لونا بلاغيا مهما، و هو التجريد"، المرتبط بإظهار معنى معين سواء كان حزنا أو ندما، و ارتباط الألوان بدلالات، و بقضايا العصر و الحياة، كما أنه تلاحم يستمد ألقه من التراث و الشعر العربي في " التشطير" الذي كرر في قوله:

شَطِّرْ بِمُعْتَمِدٍ بِالنَّصْرِ مُعْتَضِدٍ   بِالسَّيْفِ مُنْتَقِمٍ ، بِاللهِ مُعْتَصـــــِمِ[2]

فهذا ينم عن ذاكرة مشبعة،و مخزون يتسم بالفاعلية و بالموسوعية العلمية و المعرفية، أين تتوارد الألوان و تتزاحم على صفحات البديعية و تتلألأ حباتها و تتراصف،مع غرابتها أحيانا و عدم توضحها في قوله:

بِمَدْحِ مَنْ صَيَّرَ الآدَابَ صَارِمُهُ   يَحِلُّ مِنْ حَاسِدِيهِ مَوْضِعَ الشَمَمِ[3]

غير أنها تبقى ذات شجون "فثمة إضافات و حذوفات ، و من توالي مقولات تكوّن منظوره، ثم تشكل مدلوله" [4] ، فيكون "حسن الاختراع" و كذا الإبداع ، و يبدو ذلك في قول الشاعر:

أَحْيَا البَدِيعُ بِهِ مَيْتَ البَدِيعِ فَسِمْ   إِبْدَاعَ إِبْدَاعِهِ بِالحُكْمِ وَ الحِكَمِ[5]

إنها فنون البديع التي تشكل علما فذا مع تواليها في صور فريدة ، نصل الى أعظمها و أجلها في الاطراد الذي أبدع فيه أيما إبداع، إذ نجده يمتد إلى خمسة عشرة بيتا مسهبا فيه بشكل جميل يلفت الانتباه، فهذا

---

[1]- المرجع نفسه، ص 47.
[2]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص 19.
[3]- المرجع نفسه ، ص 20.
[4]- د. رجاء عيد، **القول الشعري(منظورات معاصرة)** ، ص 225.
[5]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص 20 .

الذكر الحسن للممدوح، و لصفاته و لقبه و كنيته و صفته اللائقة، و اسم من أمكن من أبيه و جده و قبيلته، إذ يبتدئ البيت بقوله:

مُحَمَّدٌ أَحْمَدٌ أَصْلٌ تَفَــرَّعَ عَنْ ... عَمْرو بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ عَنْ قُصَيِّهِمِ[1]

إلى أن يقول:

مُحَمَّدٌ أَحْمَدٌ أَصْلٌ تَفَــرَّعَ عَنْ ... عَمْرو بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ عَنْ مَعَدِّهِمِ[2]

و قد أخرجه في شكل ما يعرف بالمشجر ، و هذا قد يعني " التدوير "* في العصر الحديث .

إنه يجمع في هذا اللون البلاغي ثمرة معارفه العلمية و المعرفية في شكل شائق ، حيث نجد في سهولته و تناسق أجزائه ، و حسن سبكه و تركيبه ، محاسنا و تميزا لا يكون إلا في هذا النظم، ثم يربطه بما يعده من " التفريع "* ليؤكد ما قبله في بيت يلخص كل الدلالات ، في قوله:

مَا النَّجْمُ إِنْ شَبَّ نَبْتًا أَوْ نَمَا شَرَفًا ... عِنْدِي بِأَحْسَنَ مِنْ تَفْرِيعِ أَصْلِهِمِ[3]

فهذا اللون البديعي "التفريع" فسره الشاعر بشكل دقيق، و رقيق يوحي بالجانب المعرفي و كذا الوجداني، فلقد تميز الشاعر بحسن اتباعه للألوان البلاغية و اختيارها ، ثم تنسيقها في منظومة فريدة ، مطرزا إياها ، في قوله:

---

[1]- المرجع نفسه ، ص 21.

[2]- المرجع نفسه ، ص 22.

*- البيت المدور : هو الذي تحوي مكوناته الداخلية كلمة تصبح شركة بين قسميه ؛ أي شطريه غير قابلة للتقسيم إنشاديا ؛ فحين تصير صيغة من الصيغ اللغوية مقسومة إلى قسمين : قسم يتم به تمام الشطر الأول ؛ و قسم يبدأ به إيقاع الشطر الثاني ، فإن هذا يعد في نظر الإيقاع الشعري " تدويرا ".

*- التفريع: و هو ضد التأصيل، هو أن يصدر الشاعر أو المتكلم كلامه باسم منفي بما خاصة، ثم يصف ذلك الاسم المنفي بأحسن أوصافه المناسبة للمقام، إما في الحسن و إما في القبح، ثم يجعله، أصلا يفرع منه جملة، من جار و مجرور، متعلقة به تعلق مدح أو هجاء أو فخر، أو نسيب أو غير ذلك، ثم يخبر عن ذلك الاسم بأفعل التفضيل ، ثم يدخل من على المقصود بالمدح أو الذم أو غيرهما، و يعلق المجرور بأفعل التفضيل، فتحصل المساواة بين الاسم المجرور بمن و بين الاسم الداخل عليه ما النافية، لأن حرف النفي قد نفى الأفضلية، ابن حجة الحموي، **خزانة الأدب و غاية الأرب**، ص 385.

[3]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص 22.

بَدِيعُ تَطْرِيزِ *نَظْمِي فِيكَ مُرْتَسِمٌ يَا حُسْنَ مُرْتَسِمٍ، يَا حُسْنَ مُرْتَسِمِ[1]

و ملغزا * في شيء من الغموض ، بعد ذلك يذكر ألوانا مثل الاستتباع *، و الترشيح *،و الملاحظ أنها تتناسب مع الفقرات الثلاث للبديعية، و تتوالى إلى أن يصل الشاعر إلى منتهاه الدلالي، دون أن يفصل بين الأنواع البديعية، سواء كانت لفظية أو معنوية، إذ تأتي بصورة متلاحمة، ثم إن التكرار الذي نجده في بعض الأنواع القليلة، كالإلغاز و التكرار *، يوحي ببناء بديع و يعبر عن الغرض أو المعنى.

و تبدو كذلك صور مناقضة مثيرة للتساؤل عن جوهر الفن البديعي، إذ نجد مثلا الأرقط و الأخيف، مصطلحات غير متداولة، لدى البلاغيين، رغم أن استخدامها في البديعية، جعلها تنبع عن مقدرة و فهم، أو دلت على تنوع هائل للأنواع البديعية، و قدرة فائقة على النظم، مما يكسبها صبغة علمية، متدرجا بها ليصل إلى غايته في "براعة طلب" تجسد قمة البراعة ، في قوله:

وَ مَا بَرَاعَةُ مَدْحِي أَنْتَ هُوَ طَلَبِي مِنْ غَيْرِ نُطْقٍ يَعُمُّ يَا خَيْرَ مِنْ كَرَمِ[2]

يعقب ذلك تمن و جزاء ليحسن النظم و الطلب في آن واحد، مضفيا على ذلك ثقافته الإسلامية التي

---

*- التطريز، هو أن يبتدئ المتكلم، أو الشاعر بذكر جمل من الذوات غير منفصلة، ثم يخبر عنها بصفة واحدة من الصفات مكررة بحسب العدد الذي قرره و قدره، في تلك الجملة الأولى، و عدد الجمل التي وصفت بالذوات عدد تكرر و اتحاد لا عدد تغير، ابن حجة الحموي، **خزانة الأدب و غاية الأرب**، ص 305.

[1]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص 23.

*- الإلغاز : هو أن يأتي المتكلم بعدة ألفاظ مشتركة، من غير ذكر الموصوف، و يأتي بعبارات يدل ظاهرها على غيره و باطنها عليه، ابن حجة الحموي، **خزانة الأدب و غاية الأرب** ، ص 342.

*- الاستتباع : و هو أن يذكر الناظم أو الناثر معنى كمدح أو ذم أو غرض من أغراض الشعر، فيستتبع معنى آخر من جنسه يقتضي زيادة في وصف ذلك الفن، المرجع نفسه، ص 394.

*- الترشيح: و هو أن يأتي المتكلم بكلمة لا تصلح لضرب من المحاسن، حتى يؤتى بلفظة ترشحها و تؤهلها لذلك، المرجع نفسه، ص 299.

*- التكرار: هو أن يكرر المتكلم الكلمة أو الكلمتين بلفظها و معناها لتأكيد المدح أو الوصف، أو غيره، صفي الدين الحلي، شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة، ص 134.

[2]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص 26.

يجسدها "الاقتباس"، في "كلام جامع"، يحسن اختتامه "بحسن الاختتام"*، في قوله:

وَ بِابْتِدَاءِ المَدِيحِ خَلِّصْ أَهْلَ مِلَّتِهِ   وَ وَالِدَيَّ وَ هَبْ لِي حُسْنَ مُخْتَتَمِ[1]

من كل ما سبق يتضح أن بديعية ابن الخلوف حوت ألوانا بلاغية كثرة ، فاقت المئتي نوع، وظفها الشاعر بشكل متناسب مع المعاني رغم كثافتها، إلا أنها وردت متناسقة، متواشجة، متناغمة، مستوحية من علوم البلاغة، خاصة علم البديع، منظرا لها، و مطبقا في آن واحد، بأبيات شعرية تدل عليها، مستلهما من التراث موائما وجهته الفنية،و كذا نزعته الوجدانية، و ذوقه الجمالي، مع أننا لا نعدم ورود بعض الأنواع التي تتسم بالغموض، كأنها هاربة من زمن رتيب، رغم ذلك قدم لنا الشاعر لوحة فنية، أنبأت عن براعة فنية و إحكام صنعة، و تفوق في هذا النوع من النظم مع إدراك للمأزق الذي وقع فيه الكثير من الذين نظموا في هذا الفن الشائق.

من ثم فبديعية ابن الخلوف تعد نموذجا لتوافق الجانب المعرفي، العلمي و الشعري، حيث تكوّن لدينا نص ذو بنية و نظام خاص ، صبغ بصبغة فنية خاصة، حيث انصبغت صنعة الفكرة و امتزجت مشكلة فكرة شعرية مزدوجة بين نظم و شعر، ضاربة أروع الأمثلة لفن شائق و فريد امتد عبر قرون ، و اعتمادا على العرض هذا لأنواع البديع ، يمكن لنا إيرادها في الجدول التوضيحي الآتي :

*- حسن الاختتام: هذا النوع يجب على الناظم و الناثر أن يجعلاه خاتمة لكلامهما، انهما لا بد أن يحسنا فيه غاية الإحسان، فانه آخر ما يبقى في الإسماع، صفي الدين الحلي، شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة، ص 493.

[1]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص 27.

رقم البيت	النوع البديعي	رقم البيت	النوع البديعي
01	- براعة الاستهلال و السجع المطرف مع التصريع	17	- إظهار الحزن
02	- التجنيس المضارع - إيهام التوكيد	18	- التذلل
		19	
03	- المطابقة	20	- التصغير والجناس المحرف.
04	- التجنيس المركب - نفي الشيء بإيجابه	21	- الجناس المقلوب
05	- الأمر و النهي	22	- القسم
		23	
06	- المشابهة	24	- المماثلة
07	- التلفيق	25	- المعنوي
		26	
08	- التفريق	27	- الاستعارة
09	- التصحيف	28	- التعمية والأحجية
10	- التعطيف	29	- التغاير
		30	
11	- التذييل	31	- المجاز
	- التجريد	32	- التكرار

رقم البيت	النوع البديعي	رقم البيت	النوع البديعي
33	- الطي والنشر	59	- التشبيه والتضمين
34	- التمني	60 61	- الأسلوب
35	- العكس	62	- الإعراض
36	- الاستفهام	63	- تجاهل العارف
37	- الاستدراك	64 65	- العدل
38	- حسن التعليل	66	- التلطف ومراعاة النظير
39	- التوجيه	67 68	- التفويف
40	- للتعليل والتفسير	69	- تناسب الأطراف
41	- الإفحام المستحيل	70 71	- مراعاة النظير
42	- الردع والزجر	72	- التنكيت
43	- التتميم ولإضراب	73	- التوهيم
44	- التدبيج	74 75	- النشر والطي
45	- الافتتان	76	- الإبهام
46	- الرد على الأعجاز	77 78	- التلويح
47	- التعديد	79	- الطرد والعكس
	- التشبيه	80	- حسن البيان
48	- التسليم	81 82	- التشريع
49	- المناقضة	83	- التشطير
50	- ائتلاف المعنى مع المعنى	84	- التشبيه المخمس

رقم البيت	النوع البديعي
85	- التبديل
86	- تشابه الأطراف
87	- التثبيت
88	- الغلو في التشبيه
89	- النفي والإثبات
90	- الاستتباع
91	- الإعجاز
92	- الكلام الجامع
93	- **الإيجاز** - المبالغة
94	- تمهيد الدليل و الغلو
95	- الغلو
96	- المزاوجة
97	- المذهب الكلامي
98	- التكميل
99	- التوشيع
100	- الانسجام
101	- التقسيم
102	- الإيضاح و الترقية

رقم البيت	النوع البديعي
111	- العقد
112 - 113	- الحقيقة الشرعية
114	- الاستعانة
115 - 116	- حصر الجزئي و إلحاقه بالكلي
117	- التخصيص
118	- الجزاء و المجاز
119 - 120	- التفصيل
121	- الإيجاب و السلب
122	-ائتلاف اللفظ و المعنى
123	
124	- التعجب
125	- التهذيب
126 - 127	- ائتلاف المعنى والوزن
128	- ائتلاف اللفظ بالوزن
129 - 130	- ائتلاف معاني الألفاظ
131	- ائتلاف اللفظ باللفظ
132	- ائتلاف المعنيين
133 - 134	- الإبداع
135	- الموارية
136	- الموارية

رقم البيت	النوع البديعـــــــي	رقم البيت	النوع البديعـــــــي
137	- الجمع و التفريق	163إلى177	- الاطراد أو المشجر شكلا
		178	
138	- الجمع و التقسيم		- التفريع
		179	
139	- المشاكلة	180	- الترقية مع الطباق الموجب
		181	
140	- التوزيع		- التدلي
		182	
141	- الملافاة	183	- التطريز
142	- الحيدة و الانتقال	184	- الإلغاز
		185	
143	- الوفاق	186	- التنكيت
144	- الطاعة و العصيان	187	- الاستتباع
		188	
145	- التجريد		الترشيح
		189	
146	- إظهار الندم	190	- الاستثناء مع التصريع
147	- ترصيع التصريع	191	- حسن البيان مع الطباق الموجب
		192	
148	- التسجيع	193	- التعليل
149	- التشطير	194	- الإدماج
		195	
150	- التشطير	196	- التدبيج
151	- التسميط	197	- المزاوجة
		198	
152	- التجزئة و الالتزام		- تنسيق الصفات
		199	
153	- استعانة المشهور	200	- التعطيف
154	- التجزئة و التمازج	201	- البسط
		202	
155	- حسن الاختراع		- المدح بما يشبه الذم

رقم البيت	النوع البديعـــــــي	رقم البيت	النوع البديعـــــــي
203	- التفويف	215	- التشبيه
204	- التفصيل و التعجب	216	- التوهيم
205	- المعكوس	217	- الدعاء
206	- الحكمة	218	- حسن البيان و الإيضاح
207	- المبالغة	219	- براعة الطلب
208	- المؤتلف و المختلف	220	- التمني و الجزاء
209	- التعريض	221	- حسن الطلب وبراعته
210	- الإلغاز	222	- الاقتباس
211	- التكرار	223	- الكلام الجامع
212	- الايماء	224	- الجزاء و النزاهة
213	- الوصية	225	- المساواة
214	- الحذف	226	- حسن الختام

3- الجانب الفني و الجمالي في بديعية ابن الخلوف

في الشق الثاني سنحاول الإشارة بصورة أو بأخرى إلى النسق الثاني و المتعلق بهذا النظام – الذي أشرنا إليه سابقا – و هاته المصطلحات البلاغية بالذات التي نجد بها جوانب تتصل بالأصوات و التركيب و الدلالة اتصالا مباشرا منبئة عن جمال و روعة أداء في لغة سلسلة التعابير جميلة المبنى ، زاخرة بالأفكار ، متواشجة ، متنامية المعاني في البناء العمودي للبديعية ، إذ لم يكن العمل الشعري مجرد رصف لألوان بلاغية، بل مزجها الشاعر و نظم لعلوم البلاغة و صاغها في قالب شعري ، و أضفى عليها صبغة جمالية ، فهذه العلوم الثلاثة" المعاني و البيان و البديع ، تشكل علما واحدا ، هو علم الجمال اللغوي"[1].

فاللغة التي يوظفها الشاعر ملتقى لأنظمة شتى في بنائه الشعري ، حيث إن " النص الأدبي ما هو إلا نتاج نظم أو نسق لغوي معين لا يمكن فهمه أو تفسيره كاملا دون إلمام دقيق شامل للغة التي صيغ بها "[2].

من ثمّ ستكون دراسة لغة البديعية من ناحية بنائها الداخلي ، أو مستوياتها المتفاعلة في دلالتها و بنائها الفني بحيث يتضافر المستوى الصوتي و التركيبي و الدلالي ، التي ستأتي في شكل موجز ، لأن ما يهمنا هو الإشارة إلى بعض الجوانب الجمالية تبعا للنظام البلاغي الذي تطرقنا إليه آنفا .

و دراستنا ستقتصر على بعض الجوانب التي تضيء لنا مواطن الجمال ، إذ إن النص يحمل رؤية فريدة ، و خصوصية معرفية و فنية ، من ثم ستكون الإشارة إلى الجانب الصوتي و بالتحديد البنية الإيقاعية أو الصوتية التي تجلت من خلال موسيقى الإطار و دلالتها ثم علاقة المصطلح البلاغي بالموسيقى أو بالأداء اللغوي ، ورغم الارتباط الوثيق بين الجانب الصوتي و الدلالي ، سأركز على الجانب المعجمي أو الحقل الدلالي ، لتوا شجه مع

---

[1]- د. محمود سليمان ياقوت ، **علم الجمال اللغوي(المعاني – البيان – البديع)** ، دار المعرفة الجامعية ،مصر،(د،ط) ، 1995 ، ص 05.
[2]- د. علي عزت ، **الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب و تحليل الخطاب** ، دار بونار للطباعة ، القاهرة (مصر)، ط1 ، 1996 ، ص 02.

المعنى، و هذا هو لب الدراسة ، أما الصورة ستكون الإشارة إليها عابرة ، فهي في البديعية وجدانية تعبر عن معاناة الشاعر.

إنها تجربة شعرية متميزة ، في نسيج لغوي مختلف لما تضمنته البديعية من روافد و منابع ثقافية خاصة ، فالجديد هو تلك الازدواجية " علم و فن " ، إذ استخدم الشاعر اللغة في أداء دلالاته من خلال فنه الشعري متفردا مكثفا ، تبعا لهذا النسق الشعري و تمثيلا لمناحي تلك التجربة التي اقتضت حقلا دلاليا واسعا يشمل هذا الشعر فكان تمايزا و تنوعا و تباينا .

إذ نجد من خلال قراءتنا للبديعية ، تلك الألفاظ التي تشيع دلالات شتى ،حيث مزج بين الفكري و المعرفي والموضوعي في ألق وجداني يشكل نسيجا و علاقات متداخلة المعاني " بالنسبة للناحية الدلالية فإن الأسلوبية تتجه إلى الألفاظ باعتبارها ممثلة لجوهر المعنى ، فاختيار المبدع لألفاظه يتم في ضوء إدراكه لطبيعة اللفظة ، و تأثير ذلك على الفكرة ، كما يتم في ضوء تجاوز ألفاظ بعينها تستند عليها طبيعة الفكرة "[1] ففي هذا الإطار الخاص نجد ألفاظا تتناول شكلا خاصا ، و تعبر عن دلالات خاصة ، حيث يتراوح القاموس بين وجداني ، إسلامي و بلاغي ، و توضيحا لذلك ننطلق من :

[1]- د. محمد عبد المطلب ، **البلاغة و الأسلوبية** ، مكتبة لبنان ، القاهرة (مصر)، (د ، ط) ، (ب ، ت) ، ص 107.

3–1: الحقول الدلالية

أ– حقل ألفاظ الوجدان

إن الحب هنا مختلف ، فالعلاقة روحية عميقة و سامية سمو المحبوب ، غير أن الشاعر في تعبيره عن الوجد الحارق ، لم يكن أمامه إلا اللجوء إلى موروث عربي زاخر بألفاظ الحب ، و الأسى الروحي العميق ، إذ حاول أن يوائم معجم الحب و غرضه في مدح أنبل الخلق ، و يوسع دلالاته لتتناسب و هذا الفن ، لقد طغى الحب عليه ، و ملك جوارحه ، و جعله سبيلا لرضا الخالق عن طريق رضا و حب الشفيع ، فكان ورود ألفاظ للحب من مطلع البديعية إلى براعة الطلب ، إذ نجد الألفاظ الواردة و المعبرة عن الأسى من مثل : " الهوى ، الدمع ، الأحشاء ، الضرم ، النوال ، سقمي ، قلبي ، حبهم ، الوصال ، دمعي ، ندمي ، حادي ، ناظر ، أفلاذ ، القتلى ، الحلم ، القلب ، الفؤاد ، الشوق ، العواذل ، ريح الصبا ، المعتل ، البرء ، بروا ، صادوا ، ظبي ، طرفي ، وصلهم ، الوجد ، الغرام ، النسيم ، برنت ، سمعتي ، مقلتي ، صبري ، سلواني ، مكتتمي ، سحر، لحظهم ، ساجي ، ظمأ ، صب".

لقد اعتمدت البديعية على هاته الألفاظ المعبرة عن قمة الوجد والمفتوحة على دلالات أعمق ، فاستخدامه لهذا المعجم كان كاشفا لمشاعره ، إنها إيحاءات و طاقات لغوية عبر بها الشاعر في بلاغة رائعة ، إذ الازدواجية تبقى دوما بين وجدان و فن و هذا ما بدا جليا " فكل فن هو لغة تعبير "[1]و فعلا وفق الشاعر في هاته اللغة الوجدانية النابعة من الفؤاد إلى الفؤاد ، فكانت أعلق بالأذهان ، و أحرص على الإبلاغ و أقدر على إيصال آلام الهوى و الفقد ، لرمز الأمة الإسلامية ، و شفيعها خاتم الأنبياء والمرسلين عليه أفضل الصلاة و

[1]- د. رمضان صباغ ، **عناصر العمل الفني** ، دراسة جمالية ، ص 159.

التسليم ، و كل ما يرتبط به من قيم و مثل و كذا أمجاد ولت ، فجاء هذا الشعر بلغة وجدانية عميقة معبرة عن عمق الأسى و الجرح الذي لازال يترف ، مجسدة بذلك بلاغة رائعة و حسنا بلاغيا فريدا ، إذ " الحسن البلاغي مرتبط باللغة "[1] لغة زئبقية الألفاظ و المعاني .

ب- القاموس البلاغي

إنه الجانب الأوضح و الذي ارتكزت عليه البديعية ، فهي في الأساس تأليف بلاغي أو نظم لحقائق العلوم ، علوم البلاغة : بالتحديد علم البديع . إذ قدم الشاعر لنا لوحة متنوعة الألوان ذات خطوط دقيقة و ظلال وارفة، تلتحم و تتشابك من البداية إلى النهاية حيث تتنامى من خلال ألوان و أنواع بديعية يرصدها الشاعر في شكل صور متباينة ، يشكل من خلالها قاموسا بلاغيا رائقا و متميزا ، بما ورد فيه من مصطلحات بلاغية ، تعد منبعا معرفيا هاما ، و استثارة للأفكار ، و تنميقا للمعنى ، بما نجده وراءها من شجون ، و الشاعر في كل ذلك يذكر الألوان البلاغية في أغلب الأحيان ، و يوريها أحيانا ، حيث تمتد من مطلع البديعية إلى أن تصل إلى منتهاها الدلالي ، فنجد مصطلحات مثل : " براعة الاستهلال ، المشابهة ، التفريق ، التصحيف ، التذييل ، التجريد ، القسم المعنوي ، الاستعارة ، الطي والنشر ، الاستدراك ، التوجيه ، التعليل و التفسير ، الافتتان ، رد العجز على الصدر ، المناقضة ، المراجعة ، الهجاء في معرض المدح ، الإعراض ، تجاهل العارف ، تناسب الأطراف ، الإيهام ، التلويح ، الطرد و العكس ، التشريع ، حسن التخلص ، التلفيق ، الترديد ، التبديل ، الغلو في التشبيه ، الكلام الجامع ، المبالغة ، الإيجاز ، الغلو ، المذهب الكلامي ، التكميل ، التوشيح ، الكناية ، .... حسن الاختتام " .

---

[1]- د. محمد بركات حمدي أبو علي ، **دراسات في البلاغة** ، دار الفكر ، عمان (الأردن)، (د،ط) ، 1984 ، ص 89.

ما نلاحظه ورود مصطلحات بلاغية مختلفة و مكثفة ، فقد حاول الشاعر استخدام الألوان البلاغية الأكثر تأثيرا و امتدادا ، نتيجة تداولها ، فكان الدرس البلاغي ظاهرا في النص من بدايته إلى نهايته مشكلا وحدة و بناء لما قام عليه من أوجه بيان و بديع ، إذ تمتعت البديعية على الصعيد التأليفي ، بدرجة كبيرة من التوازن المتلائم و المتناسب مع المحور الدلالي أو الإبداع الشعري ، فكانت ثنائية الدرس البلاغي و الإبداع تجانسا في مستويات النص المختلفة، مما أضفى عليه جمالية و تفردا .

ج- المعجم الإسلامي

إن الدلالات و المعاني تتشابك في البديعية و لذا يصعب خاصة في هذا الجانب إحصاء الألفاظ و تحديدها بشكل دقيق و شامل ، فالثراء الذي اتسمت به البديعية ، جعل الأمر صعبا و مثيرا للتباين ، لهذا ارتأينا الإشارة إلى بعض الرموز و الدوال التي تجسد بصورة أو أخرى ثقافة الشاعر ، و مدى تأثره بالمعجم القرآني ، الذي تجلى أكثر من خلال ظاهرة العقد و الاقتباس ، خاصة و أن موضوع البديعية هو مدح الرسول – صلى الله عليه و سلم – الذي غدا فنا في البديعيات فليس من الغريب أن يستعين بهذا المعجم في تجربته الإبداعية من حيث تشكيلها الفني " ففن الشعر يعمد إلى خلق تناسق بين اللغة المبعثرة فيتواكب من بين أعدادها أو كمها المطلق ما يشكل تناسقا أو انسجاما بين عدد من مفرداتها و جملها لتصاغ في إبداع تناسقي "[1].

و الأمر هنا متعلق بلغة إعجازية – القرآن – الذي جاء بلغة و أسلوب خاص ، من ثم كان توظيفه خاصا ، و في نسق شعري مغاير ، إذ تضافرت عوامل شتى ، حيث كان العقد و الاقتباس كلونين بلاغيين أضفيا إيحاءات و خصوصية لهذا الاستجداء ، فجاءت نظما و علما و معـــرفة و إثـــراء ، فنجد ألفـــاظ

---

[1]- د . رجاء عيد ، **القول الشعري (منظورات معاصرة)** ، ص 62.

مثـــل : (الحـــرم ، القـــدس ، عيون الله ، إلـــه ، العـــرش ، القـــادر ، المحتكـــم ،......) ، مستلهمـــة من المعجـــم القرآني ، ثم إنه يوظف العقـــد خاصـــة في الفقـــرة المتعلقة بالمدح ، إذ نجد نمـــاذج كثـــيرة منه ، ففي قوله :

بِاللهِ أَوْجِزْ وَ سَلْ عَنْهُ تَجِدْ مَدْحًـــــا فِي صُورَةِ النَّجْمِ أَوَ فِي نُونِ القَلَـــمِ[1]

نجد في عبارة " في صورة النجم " إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَ النَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾[2] ، و كذا عبارته " أو في نون القلم " مقتبسة من قوله تعالى: ﴿ ن وَ القَلَمِ وَ مَا يَسْطُرُونَ ﴾[3].

و الأمر لا يقتصر على ذلك إذ نجد الشاعر يوظف أسماء الأنبياء و يشير إلى قصصهم و كذا بعض الشخصيات التاريخية ، حيث نجد تلميحا إلى الشاعر المعروف بجميل بثينة أي جميل بن عبد الله بن معمر العذري ، و يتجلى ذلك في قوله : " ترديد حب جميل زد به وهم "، و كذا جعفر بن أبي طالب و هو أخ علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– رغم التواشج بينهما ، ونجد هذا التنوع والتباين من خلال ذكر القصص والشخصيات والأخذ من كل ما هو إسلامي، وتمتد البديعية في الفقرة الثانية موشحة بهذا الشكل وبأسلوب العقد ، فنجد في قوله:" لمح بما نال في الإسراء من شرف" إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى الّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾[4] كما نجد في قول الشاعر : " موائس في قصور تفرعهم " عقد من قوله تعالى: ﴿ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيَامِ ﴾[5]

[1]- المرجع نفسه ، ص 14.
[2]- سورة النجم : 01.
[3]- سورة القلم : 01.
[4]- سورة الإسراء : 01.
[5]- سورة الرحمن : 72.

وكذا في قوله:" ما كان طه أبا " نجده في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾[1] و العقد يتجلى أكثر في البديعية من خلال الحديث النبوي الشريف ، إذ نجد قول الشاعر:" بما أتانا أفصح الأمم" عقد من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أنا أفصح العرب بيد إني من قريش" وكذا قوله:" وارتح لراحة كف أظهرت عجبا " عقد من حديث الاستسقاء وخروج الماء بين أصابع الرسول صلى الله عليه وسلم – وقد أشرنا إلى ذلك سابقا– ونجد كذلك تلميح إلى معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر على عهده ، في قوله:" مؤيدا بانشقاق البدر في الظلم ".

وهكذا تغدو البديعية ملتقى لنصوص متعددة ، تنم عن ثقافة الشاعر وعن تميز بديعيته، إذ استوعبت نصوصا مختلفة و وشحتها بطراز بديعي، فهي تشكل بالتالي خطابا شعريا يجمع بين دلالات فكرية ، وجدانية، دينية، اجتماعية ومعرفية.

3–2– البنية الإيقاعية

إن بديعية ابن الخلوف من المطولات ، ذات نص مختلف عن باقي النصوص ، من ثم فهو ذو بنية إيقاعية معينة ونظام صوتي خاص ، فهو أفضل نموذج جسد و فجر تلك الطاقة الإبداعية في مستوياتها المختلفة خاصة فيما يتعلق بالمستوى الصوتي ، " فالشعر نواح عدة للجمال ، أسرعها على نفوسنا ما فيه من جرس الألفاظ ، و انسجام في توالي المقاطع و تردد بعضها بعد قدر معين منها ، و كل هذا هو ما نسميه موسيقى الشعر "[2].

---

[1]- سورة الأحزاب : 40.
[2]- د. إبراهيم أنيس ، **موسيقى الشعر** ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة(مصر) ، ط 6 ، 1988، ص 08-09.

فعلى هذا الأساس نسلط الضوء على هاته الناحية الموسيقية ، لنعرف مصدر موسيقاها ، و تلك الأنغام والألحان التي يطرب بها كل قارئ للبديعية ، و هل أن استعارة موسيقى الشعر في " نظم ما ليس من أغراض الشعر"[1]، أي نظم علوم البلاغة ، يفقده خصائصه أم أن الأمر سيان ، و الموسيقى تبقى ذاتها و يبقى " الشعر إلا كلاما موسيقيا تنفعل لموسيقاه النفوس و تتأثر به القلوب "[2].

فنظرا لهذا التميز في هذا النص ، فإن دراستنا تختلف إذ سنشير إلى ما له علاقة وطيدة به فقط ، حيث نجد شقين ، الأول: متعلق بموسيقى الإطار في إشارة إلى الإيقاع و القافية ، أما الثاني : موسيقى الألفاظ حيث إن ما "تتميز به لغتنا العربية حرصها على الحس الجمالي ، عن طريق إقناع الأذن بما تحققه من جمال لفظي و تراكيب موسيقية "[3]و لقد كانت البديعية كذلك ، إذ تجلى هذا الحس الجمالي في مستويات عدة منها :

أ– موسيقى الإطار

1)– الوزن أو الإيقاع : تندرج البديعية ضمن النظم أو التأليف ، فقد ارتكزت على سبك ألوان البديع ، فهي قصيدة من بحر البسيط، و لهذا الاختيار دلالته " فإن اختيار هذا البحر أو ذاك سياجا و إطارا إيقاعيا لهذه القصيدة أو تلك ليس أمرا تفرضه روح العصر أو ظروف المجتمع أو التقاليد الفنية السائدة بل نستطيع أن نقول لا يفرضه الشاعر على نفسه إذ إن كل بحر يحوي داخل أبنيته إيحاءات و دلالات وجدانية و نفسية متعددة و مركبة "[4].

من ثمّ تجسدت انفعالات الشاعر إيقاعيا من خلال البحر البسيط الذي يوائم هاته التجربة الوجدانية

---

[1]- المرجع نفسه ، ص 17.
[2]- د. رجب عبد الجواد إبراهيم ، **موسيقى اللغة** ، دار الآفاق العربية ، القاهرة (مصر)، ط 2003 ، ص 03.
[3]- د. إبراهيم أنيس ، **موسيقى الشعر** ، ص 18.
[4]- رمضان صادق ، **شعر عمر بن الفارض (دراسة أسلوبية)** ، ص 30.

العميقة، إذ اقتصر عليه الشاعر على امتداد بديعيته التي وصل عدد أبياتها إلى مائتي و ستة و عشرين بروي الميم المكسورة الذي أضفى إيقاعا خاصا انسجم مع إيقاع الحشو الذي تكرر فيه الكسر مرارا ، و لعل الصوت المنخفض المكسور يدل على " الانهيار و البث و الحزن و الحـــرقة "[1] ، و لقد أشـــرنا إلى هـــاته المعـــاني من انهيار العالم الإسلامي ، فبث لواعج الأسى و الحزن و الحـــرقة من خلال الاستجداء بحبيب الأمة و شفيعها الرسول – صلى الله عليه و سلم – ، فجـــاء البحر البسيط و هـــو من البحور الطويلة التي كثر دورانها في الشعر العربي و يـــرد " على صورتين : قصـــائد تنتهي كـــل أبياتها بوزن " فَعِلن " و قصائد تنتهي كل أبيـــاتها بوزن " فَعْلن " ، و في كل مـــن النوعين نرى المقياسين: " مستفعلن"، " فاعلن"، لا يلتزمـــان صـــورة واحدة في حشو الأبيات "[2]

و هذا ما بدا في البديعية ، إذ نجد أن عروضها و ضربها ينتهيان بتفعيلة : " فعلن " ، فهي من نمط القصائد الأولى .

كما أننا نجد الزحافـــات في تفعيلاته بشكل كبير ، حيث إن "مستفعلن" في الحشو يصير "مُتَفْعلن"، "فاعلن" يصير "فَعِلن" ، "فاعلن" تصير "فَاعِل" .

و لهذا دلالته إذ يضفي حركية و يحرر النص من رتابة الإيقاع ، إذ إن الزحافات وردت بشكل مكثف في الحشو ، فقد تعرضت بعض أبيات البديعية للزحاف بشكل متباين و مختلف ، فجاء الإيقاع متنوعا متناغما ، والملاحظ أن هاته الزحافات في هذا النص من خلال البحر البسيط اختصت بحذف الثاني الساكن

---

[1]- د. أماني سليمان داود ، **الأسلوبية و الصوفية (دراسة في شعر الحسين بن المنصور الحلاج)** ، دار مجدلاوي ، عمان (الأردن) ، ط1 ، 2002 ، ص 38.
[2]- د. إبراهيم أنيس ، **موسيقى الشعر** ، ص 71.

بشكل كبير ، و ليس الأمر اعتباطا ، فهو يجسد مدى الانفعال الوجداني و اللااستقرار و الاضطراب الذي يعيشه الشاعر.

2)– **القـــافيـــــة**: إنها من دعائم الإيقاع الشعري فلا يتم البناء الإيقاعي للشعر إلا بالوقوف عندها بحروفها و الروي تحدد الدلالة إذ " القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى شعرا حتى يكون له وزن وقافية، هذا على من رأى أن الشعر ما جاوز بيتا واتفقت أوزانه وقوافيه ....والقافية من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله مع حركة الحرف الذي قبل الساكن"[1] ، إنها مهمة للغاية، فهي تاج الإيقاع الشعري ، من ثمّ و في محاولتنا تأمل قوافي البديعية ، فإننا نلحظ من الوهلة الأولى تلك المغايرة التقفوية ، بداية بالقافية ،حيث وردت مطلقة مكسورة مؤكدة و موحية لمعاني عميقة ، فقد امتد حرف الميم المكسور في البناء الإيقاعي مدلا على تميز الشاعر في نسجه، بحسن اختياره لما يتناسب و تجربته الشعرية حيث كان صوت حرف الروي المكسور وكذا أغلب حروف القافية ،خير معبر عن ذلك ، فهي الأكثر وقعا إذ إن " ما تتسم به الكسرة من توسط على الصعيد البيولوجي داخل الجهاز النطقي ما يشير إلى حالة التوسط بين الاتصال بالعالم المفروض المحسوس المرغوب عنه ، و الميل نحو العالم الروحي غير المحسوس و المرغوب فيه "[2] ، ثم إن الروي هو الأساس الذي تبنى عليه القصيدة، فهو بمثابة الخاتمة للبيت الشعري ،فكان لزاما أن يتخير القافية التي جاء معظم حروفها مكسورا ، مضيفا بذلك رونقـــا و إيقاعـــا خاصا للقصيدة إذ " القافية ليست إلا عدة أصوات تتكرر في أواخر الشطر أو الأبيات من القصيدة ، و تكررها هذا يكون جزءا هامـــا من الموسيقى

---

[1]- ابن رشيق القيرواني ، **العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده** ، ج1 ، ص 135.
[2] - رمضان صادق ، **شعر عمر بن الفارض (دراسة أسلوبية)** ، ص 47.

الشعرية "[1].

من ثمّ كان تكرار الصوت المكسور في أحد حروف القافية، يحمل دلالات موسيقية ومعنوية روحية ، حيث يتكرر الصوت موقعا نغمة موسيقية تنم عن الصراع الذي يعيشه الشاعر بين عالم مفروض وأخر يتوق إليه، في إيحاءات وجدانية، تدل معانيها على المرونة والرقة، مع نوع من التماسك إزاء المرفوض.

وما ينبغي ملاحظته هو خلو القافية من الردف والتأسيس و هذا يدل على تفرد هذا الشـعر علـى مستوى الإيقاع و القافية فهو يجمع بين الوجدانية و المعرفية العلمية، و خصوصيته هذه جعلته متميزا بين أنساق الشعر العربي.

ب- موسيقى الألفاظ

إن ما تميزت به البديعية ، تلك الألوان التي زينتها و وشحتها بحلة مزركشة أضفت عليها ألقا و رونقا ، فهي بنوعيها تحسن الكلام من خلال المعنى أو اللفظ ، كما أنها تضفي جرسا موسيقيا و نغما شجيا مطردا على أوتار الأبيات.

من ثم سنشير إلى بعض المحسنات من فن البديع ، بتوضيح علاقتها الوثيقة بموسيقى الألفاظ، فلخصوصية النص نكتفي بهذا المستوى الذي برع الشاعر فيه و أبدى مقدرة فنية من خلال تناوله لمباحث البديع ،" فإذا كانت المعاني تتناول الدلالات المركبة، و مباحث البيان تتناول الدلالات الإفرادية، فان مباحث البديع تتناول جوهر اللفظ و ما يحمله من ألقاب بحسب تأليفه مع غيره من ألفاظ "[2]، فألوان البديع لم تكن

---

[1] - د. إبراهيم أنيس ، **موسيقى الشعر** ، ص 246.
[2]- د. محمد عبد المطلب ، **البلاغة و الأسلوبية** ، ص 266.

لمجرد الزينة و الزخرفة اللفظية التي لا تفيد شيئا، فهي" تجسد إمكانات لغوية، لها تصور شكلي محدد في إبراز الناحية الجمالية "[1]، إنها تجمع بين مستويين: سطحي و عميق.

1)– المستوى السطحي أي المحسنات اللفظية: لقد كثفها الشاعر في بديعيته ، فسلط الضوء على بعضها لتكون النموذج الذي يوضح أثرها الجمالي الموسيقي، "فهذا النوع من فن البديع وثيق الصلة بموسيقى الألفاظ، فهو ليس في الحقيقة الا تفننا في طرق ترديد الأصوات في الكلام، حتى يكون له نغم و موسيقى، و حتى يسترعي الآذان بألفاظه كما يسترعي القلوب و العقول بمعانيه"[2] ، و من ضمن ما ورد على سبيل التمثيل لا الحصر.

أ) السجع المطرف مع التصريع :

ورد في مطلع البديعية ، فالأول هو " ما اختلفت فاصلتاه في الوزن واتفقتا في الحرف الأخير"[3].

فالسجع يولد إيقاعا يأسر النفوس والأسماع إنه محبب إلى النفس و القلب، و كأنه تمهيد الشعر و صورة مصغرة عنه"[4] ، فهو تنغيم بديع، و لحن شجي ، يضفي حركية و انسجاما في المعاني، ليغدو أكثر خصوصية من خلال التصريع و هو :" ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه، تنقص بنقصه و تزيد بزيادته"[5] ، حيث نجده في المطلع :

أَمِنْ هَوَى مَنْ ثَوَى بِالبَانِ وَ العَلَمِ   هَلَّتْ بَرَاعَةُ مُزْنِ الدَّمْعِ كَالعَنَــمِ[6]

---

[1]- المرجع نفسه، ص 266.
[2]- د. إبراهيم أنيس، **موسيقى الشعر**، ص 44-45.
[3]- أحمد الهاشمي، **جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع**، ضبط و تدقيق وتوثيق يوسف الصميلي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت، ط1، 1999، ص 330.
[4]- د. بكري شيخ أمين، **البلاغة العربية في ثوبها الجديد**، علم البديع، دار العلم للملايين، بيروت(لبنان)، ط1 ، 1987 ، ص 126.
[5]- أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، **العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده**، ج1، ص 156.
[6]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص 05.

فكلمتا: العلم ، العنم ، توحيان بإيقاع خاص يتغلغل في النفس، و يقرع الأسماع، فالتصريع له أهمية كبيرة إذ"إن التصريع في أوائل القصائد طلاوة ، و موقعا من النفس لاستدلالها به على قافية القصيدة قبل الانتهاء اليها، و لمناسبة تحصل لها بازدواج صيغتي العروض و الضرب، و تماثل مقطعهما، لا تحصل لها دون ذلك"[1].

إنه ارتباط وثيق بين النوع البديعي و العزف على أنغام تحقق الغرض و المطلب في قالب موسيقي رائع.

ب) الجناس:

ورد بشكل ملحوظ في البديعية، و بالتحديد في الفقرة الأولى أي المقدمة الغزلية، حيث نجد التجنيس المضارع و المركب، الجناس المذيل و اللاحق، الجناس المحرف و كذا المقلوب، و لهذا التكثيف دلالته، فهو مناسب لمقام التغزل، بذلك الرنين الصوتي و الجرس الموسيقي، الذي ينبعث من تشابه الحروف في الألفاظ و لعل أصدق مثال قوله:

أم َمِنْ فُرُوق بُرُوقِ الحَيِّ إِذَا لَمَعَـــتْ   تَمَّتْ مُمَاثَلَةُ الأَحْشَـــــاءِ لِلضَّرَمِ [2]

فالمواءمة و الجمع بين الكلمتين، فروق و بروق يجعل للمعنى بعدا نفسيا يتناسب مع معاناة الشاعر التي تبدو من خلاله –الجناس– " أي أن سحر الجناس إنما يكمن في مراعاة البعد النفسي و أن يكون ذا مسار فني يدفع المستمع إلى إقامة مقارنة تتبعها مفارقة، الأولى ناتجة عن تشابه اللفظين و الثانية الناتجة من اختلاف المعنيين"[3].

---

[1]- أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، **العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده**، ج1، ص 156.
[2]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص 05.
[3]- د. رجاء عيد، **المذهب البديعي في الشعر و النقد**، ص 277.

إن الجناس يصنع ذلك الجمال اللفظي أي يرتبط ارتباطا وثيقا بالمعنى، و هذا ما برز في البديعية، التي لم تكن مجرد زخرفة بل جمعت بين الشكل و المضمون، حيث إن " الجناس يجب أن يراعى فيه جانب المعنى، أما الاكتفاء بالجرس الصوتي و التشابه اللفظي فلا يكفي، و ليس ذلك قاصرا على الجناس بل ينطبق على كل لون من ألوان البديع"[1]، فالجانب الصوتي مرتبط بالمعنى، من ثم كان التلاحم في ألوان البديعية من ناحية التشكيل الموسيقي و كذا الدلالي في السياق الشعري " إذ لا ينبغي أن نقع في خطأ التجزيء، فالنظم لا يوجد إلا كعلاقة بين الصوت و المعنى، فهو إذن بنية صوتية –دلالية– و بذلك يتميز عن المقومات الشعرية الأخرى"[2].

و لذلك فإن الإشارة إلى بعض هذه الفنون البديعية أمر في غاية الأهمية، لتميز هذا النظم و إضفائه جمالية و جديدا على فن الشعر و خصوصية من خلال تلك الطاقات النغمية الموحية بانفعالات و معاني عميقة.

ج) الترصيع :

و هو من المحسنات التي ينتج عن تقارب ألفاظها و توافقها نغم و جرس فهو:" توازن لألفاظ مع توافق الأعجاز و تقاربها"[3]، و يتجلى ذلك في قوله :

وَ انْسِبْ إِلَى لَفْظِهِ مَا شِئْتَ مِنْ مُلَحٍ   وَ انْقُلْ عَلَى عَقْلِهِ مَا شِئْتَ مِنْ حِكَمِ[4]

إنه توافق تام بين أوزان الكلمات، مما يضفي نغما قويا من خلال موسيقى التراكيب، يجذب الأسماع و يثير الأشجان، و يحض العقول على فهم معانيها، إنها ثلاثية المعرفة ، الموسيقى ، المعنى ، فهي "مهارة في نظم الكلمات و براعة في ترتيبها و تنسيقها، و مهما اختلفت أصنافه و تعددت طرقه يجمعها جميعها أمر واحد و

---

[1]- المرجع نفسه، ص 278.
[2]- أماني سليمان داود، **الأسلوبية و الصوفية**، دراسة في شعر الحسين بن منصور الحلاج ، ص 38.
[3]- أحمد الهاشمي، **جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع**، ص 332.
[4]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص 17.

هو: العناية بحسن الجرس ووقع الألفاظ في الأسماع"[1].

من ذلك يتجلى ترديد الأصوات في هذا الفن البديعي، و فنون أخرى، كالتسميط، "رد الاعجاز على الصدر"، "التشطير و الاطراد"، "المواربة"، هاته الألوان و إن ارتبطت بالشكل فإنها توحي بمعاني و دلالات عميقة، إذ لا انفصام بينهما، فالتواشج يبقى بين الشكل و المضمون حيث يتآلفان ، من ثمّ فهاته المحسنات أضفت ألقا موسيقيا خاصا على البديعية.

2)– المستوى العميق أي المحسنات المعنوية : إنها بادية في البديعية شأنها شأن المحسنات اللفظية وبشكل واضح، مسهمة في إبراز المضمون ، متباينة الإيقاع، متوزعة داخل البناء العام للنص ، منبئة عن تشكيل جميل، تتضافر فيه الظواهر المعنوية مع الإطار الإيقاعي مشكلة خصائصه، من خلال بعض الظواهر السياقية البادية في النمط التشكيلي للقصيدة، نتطرق إلى شذرات منها.

أ) **مراعاة النظير**: إنه من الألوان التي وظفها الشاعر في نصه، جامعا بين المبنى والمعنى في تشكيل متميز يقول فيه:

وَ رَاعِ بِالبَدْرِ أَيَّامَ النَّظِيرِ فَقَدْ   خِلْتُ الغَزَالَةَ تَرْعَى النَّجْمَ فِي الأَكَمِ[2]

" و مراعاة النظير و تسمى التناسب و الائتلاف والتوفيق أيضا و هي أن يجمع في الكلام بين أمر و ما يناسبه"[3] ، فلما ذكر البدر بكماله وتلألئه وافقه وقابله بذكر الغزالة وارتقائها نحو العلياء، إنه عالم خيالي ، تتوافق مفرداته وتتناغم موحية بالمعنى المراد ، في شكل أكثر إثارة و إيحاء ، فكأن الألفاظ تأتلف مستدعية

---

[1]- د. إبراهيم أنيس، **موسيقى الشعر**، ص 45.
[2]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص 11
[3]- الخطيب القزويني ، **الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني ،البيان ، البديع)** ، ص 196.

نظائرها موقعة على أوتارها نغما موسيقيا ، ومشكلة خلقا جديدا من خلال ثلاثية اللون ، المعنى، الموسيقى ، إذ يتآلف اللفظ و المعنى من خلال العلاقات السياقية التي تشكل نسيجا متكاملا معتمدا على توالي الكلمات و تقابلها ، بالتالي صبغت هذا الفن البديعي بشكل جديد .

ب) الإفتنـــــان : ينم هذا اللون عن مهارة الشاعر و حذقه في جمعه بين فنين في بيت واحد فهو :" أن يفتن الشاعر فيأتي بفنين متضادين من فنون الشعر ، في بيت واحد فأكثر ، مثل النسيب و الحماسة ، و المديح و الهجاء، و الهناء و العزاء "[1] ، و يتجلى ذلك في قول الشاعر :

وَ كَمْ فُتِنْـــــتُ بِهِمْ لَمَّا عَلَوْا شَرَفًا   رَدَدْتُ عَنْ مَوْرِدِي فِي شَانِي فُنُونِهِـــمِ[2]

قد جمع الشاعر بين الغزل و المدح ، فلقد فتن بالحبيب وهو هنا الرسول عليه الصلاة و السلام ، ثم انتقل من النسيب إلى المدح في شكل جميل حيث يشيد بتميزه و خصاله و ينتقل من معنى إلى آخر ، ذاكرا الألوان البديعية جامعا بينها ، وموائما في إطار موسيقي رائق.

ج) التقسيــــــم : ورد التقسيم في الفقرة الثانية المتعلقة بالمدح في قوله :

كَالدُّرِ فِي نَسَقٍ ، وَ البَدْرِ فِي غَسَـــقٍ   وَ الشَّمْسِ فِي شَرَفٍ وَ الزَّهْرِ فِي هِمَمِ[3]

هنا يتجلى الفيض المعنوي من خلال الجمع و الربط بين الأقسام المتباينة و دلالاتها ، مما يضفي نغما موسيقيا حين استكناه ما وراء الكلمات في التقابل بينها ، إذ التقسيم كما يقول قدامة :" أن يبتدئ الشاعر

---

[1]- ابن حجة الحموي ، **خزانة الأدب و غاية الأرب** ، ص 138 .
[2]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص09.
[3]- المرجع نفسه ، ص 15.

فيضع أقساما فيستوفيها و لا يغادر قسما منها "[1] ، هذا الاستيفاء لها ، يخلق جوا نغميا فذا ، و يلفت انتباه السامع أو القارئ و يثير فيه رغبة التطلع لماهية هاته الأنغام الشجية .

إن هاته الأنواع و إن وشحت المعنى فقد واءمت بينه و بين الألفاظ إذ إن توظيف الشاعر للمحسنات المعنوية لم يكن على حساب المعنى ، حيث واءم بينها ، مختارا لكل مقام ما يناسبه فلقد كان الشاعر بارعا في صناعته و لم يخرج عن طريقة القدماء ، و في نفس الوقت أضفى خصوصية في تناوله لهذا العلم ، فقد عرف القدماء ألوانا من البديع ، لكنهم لم يتعمدوها و لم يصيغوها بهذه الطريقة المميزة ، فرغم كثافتها فهي على الأقل لا تظهر التكلف فيها ، رغم أنها كانت هدفا و غاية ، لقد جمع ابن الخلوف في بديعيته بين المحسنات سواء كانت لفظية أو معنوية، محافظا على المضمون المقصود ، ملائما بينه و الشكل ، منظرا لعلم البديع و مطبقا له في أبيات رائعة .

---

[1]- أبو الفرج قدامة بن جعفر ، **نقد الشعر** ، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت(لبنان) ، ص 139.

3-3- الصورة الفنية في البديعية

إن ما تميزت به البديعية من نظام خاص و مضمون مختلف يحدد الصورة في القصيدة على اعتبار أن " كل قصيدة هي بحد ذاتها صورة "[1] ، فلارتباطها بالمحتوى أو مادة العمل الفني ، تغدو متفردة تلقي بظلالها على كامل البديعية ، فهي لبها " و هي جزء أصيل من المعنى "[2]، فعلا فقد كانت الصورة كتعبير عن معرفة ، إذ لم تأت عبثا ، بل جسدت و عبرت عن فكر أمة بأسرها، لا غرو في ذلك، حيث هي" تعبير عن الوجدان البشري"[3].

و باعتبار أن النص الشعري ينظر لعلوم البلاغة ، و بما أن التشبيه و الاستعارة من الأسس المعتمدة في بناء الصورة الشعرية ، التي بدت مختلفة في البديعية ، من خلال التنميق الذي اتسمت به ، حيث جاء الخطاب الشعري أكثر إيحائية و تفاعلا مع الإيقاع ، فالصورة تعلن عن خصوصيتها إذ تنم عن غرض تأليفي ، يوائمه عنصر التخييل الذي يرسخ المعنى أكثر ، مصحوبا بعاطفة وجدانية تعبر عن ارتباط الشاعر ببيئته و تلاحمه معها ، جاعلا بناء الصورة عالما واقعيا محسوسا ، يجسد فكرته ، و يحافظ على قيمة الشعر في هذا النظم من خلال التصوير الذي يعد عنصرا رئيسيا في أي عمل شعري، و بناء على ذلك سنحاول الإشارة إلى هاته الصورة بشكل مختصر ، و إبراز موطن الجمال و الفنية فيها ، بداية بـ :

أ)- **الاستعارية** : إنها تجلي الكثير من الوجدانية و الجمال الفني ، فصورة واحدة تكفي لوصف الظاهرة أو تحديد ما يعيشه الشاعر من تناقض ، فبين تأليف بلاغي و صراع نفسي تتولد الصورة الاستعارية في

---

[1] - د. أشرف محمود نجا ، **قصيدة المديح في الأندلس ، قضاياها الموضوعية و الفنية (عصر الطوائف)** ، ص 193.
[2] - المرجع نفسه ، ص 193.
[3] - د. رمضان الصباغ ، **عناصر العمل الفني (دراسة جمالية)** ، ص 52.

قوله :

وَ بِاسْتِعارةٍ أَبْدَى الصُّبْح قَدْ عَرَفُوا   أَسْتَارَ شعْرِ الدُّجَى عَنْ وَجْهِ بَدْرِهِمِ[1]

فبالإضافة إلى المعنى العميق ، فإن الشاعر يذكر الاستعارة و يعتبرها من فنون البديع رغم انتمائها إلى علم البيان ، فهي توحي بجمال فني و طابع علمي معرفي ، فلا شك أن الجمع بينهما أمر شائق و بديع ، فهو يذكر النوع البلاغي ، ثم يوضحه في أعمق صورة ، بذلك شكل لوحة فنية لوحدها، فأي استعارة ؟ إنها تتواشج و المستوى الدلالي ، حيث التماثل يفرض نفسه على اللغة الشعرية ، فتكون بذلك "الاستعارة بمدلولها التخييلي الواسع تمثل هي الأخرى القطب الثاني لمرتكزات الآلية الشعرية"[2]، فالاستعارة من الآليات المعتمدة في البديعية ، و قد وظفها في شعره معبرا بها ، و ملخصا المضمون في أجمل صورة ، حيث يجمع بين التقعيد في ذكره الاستعارة و إبداعه في خلق نموذج تشيع فيه الدلالات و تتباين : بين ثنائيات تترجم معاناة الشاعر و واقعه في حلة جميلة : تتناسق ، و تجتمع فيها المتناقضات مما يضفي روعة ، و تجسيدا للصورة من خلال استعارة أوصاف من الطبيعة و إضفاء صبغة خاصة عليها عند إسنادها للممدوح – الموصوف – فلقد كانت المرأة توصف بسواد الشعر ، الذي شبه بسواد الليل و ظلمته و في المقابل يبدو الوجه بإشراقه و تلألئه ، كالبدر في استدارته ، إنها صورة تتسم بالجمال الفني ، حيث تغدو ترجمة لكل الأحاسيس المعتملة في نفس الشاعر، و تموج بالحركة حيث تبدو أكثر إيحائية ، برغم ارتباطها بالجانب التقعيدي ، و معبرة عن المعنى ، برسم صورة ترتبط بالموقف النفسي ، فهي بالتالي من صور التعبير لا التزيين فقط و التنميق، كما أنها تجسد الخصب في البلاغة

[1] - حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص 07.
[2] - د. صلاح فضل ، **بلاغة الخطاب و علم النص** ، ص 171.

العربية إذ "المجاز أبلغ من الحقيقة و أن الاستعارة أقوى من التصريح بالتشبيه"[1].

من ذلك يتضح لنا أن الصورة الاستعارية قد وظفت في شكل مميز ، إذ تواءمت مع موضوع و معنى البديعية ، فأضفت إلى جانب الألوان الأخرى زخما معرفيا و جمالا فنيا موشحا بألق فكري وجداني.

ب)- الكنائية : إنها من الأدوات التي لا تقل أهمية عن الاستعارة، فهي تجسد المعنى بأسلوب فني جميل ، حيث " الكناية كالاستعارة من حيث قدرتها على تجسيم المعاني و إخراجهـــا صورا محسوسة تزخر بالحياة و الحركة و تبهر العيون منظرا "[2] ، فلقد وردت في البديعية ، في قوله:

وَ [ ] فَجَرُوا إِذْ بَرَوْا جَسَـــدِي عَمْدًا ، وَقَالُوا: لَقَدْ صَحَيتَ بِالسَّقَمِ[3]

إنه يشكو الألم الذي وصل إلى حد كبير ، فجسمه نحيف من جراء فراق الأحبة الذين تركوه أشلاء مبعثرة ، يعاني ألما نفسيا وجدانيا ، يتجلى من خلال الكناية التي كشفت جمالا فنيا حيث" الكناية مظهـــر مـــن مظاهر البلاغة في القول و لعل السر في بلاغتها يكمن في أنها تعطيك الحقيقة في كثير من الأحيـــان مصـــحوبة بدليلها "[4] ، فرغم الفراغ الذي نلاحظه في البديعية ، و الموجود في الأصل ، فإنه يحمـــل المتلقـــي إلى أبعـــاد و دلالات متعددة ، حيث الصورة تجسد الموقف الشعوري ككل في القصيدة إزاء الممدوح ، من خـــلال هاتـــه الصياغة و التشكيل التي تؤثر في المتلقي و تجعله مقتنعا ، حين تبدو فاعلية التصوير البلاغي و صـــلته بالشـــعر ، فمن ذلك قوله :

---

[1] - أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي ، **مفتاح العلوم** ، مطبعة مصطفى البابي ،(د، ذكر البلد)، ط1 ، 1937 ، ص 137.

[2] - د. عبد العزيز عتيق ، **علم البيان** ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط1 ، 1974 ، ص222 ،نقلا عن رسالة ماجستير ، إسماعيل زردومي ، شعر الاستغاثة للأندلس ، ص 156.

[3]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص07.

[4] - د. أحمد الهاشمي ، **جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع** ، ص 286.

كَنَّتْهُ أَلْسِنَةُ العَلْيَا نَجْـــــمَ الدُّجَـــى   الهَيْجَا رَفِيعَ عِمَادِ البَيْتِ وَ الهِمَـــمِ[1]

إنها صورة تخلق فضاء من الدلالات التي تؤكد و تنقل المحتوى النفسي إلى المتلقي و تؤثر فيه ، فهـــي وجدانية تقعيدية ، ذات ألق خاص في عمق مضمونها ، و كذا تضمينها من التراث ، إذ يتبادر إلى الأذهان قول "الخنساء" في رثاء أخيها "صخر" :

طَوِيلُ النِّجَادِ رَفِيعُ العِمَـــــادِ   كَثِيرُ الرَّمَـــادِ إِذَا مَا شَتَـــا

و هذا يدلنا على ثقافة الشاعر و استيعابه للموروث و إبداعه من خلال هذه الممازجة بين فن البديع و الموروث.

ج)– **التشبيهية** : لقد ورد التشبيه لغرض النظم ، من ثمّ وردت أشكال معينة له جمعت بين التقعيـــد و الوجدان ، حيث الصورة وجدانية أكثر منها تنميقية ، فنجد مثلا " التشبيه المثنى "، و" المخمس "، و هذا لا ينفي البلاغة و البيان الذي يفيده التشبيه ، " فاعلم أن للتشبيه موقعا حسنا في البلاغة ، و ذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي ، و إدنائه البعيد من القريب ، يزيد المعاني رفعة و وضوحا ، و يسكبها توكيدا و فضلا و يكســـوها شرفا و نبلا فهو فن واسع النطاق ، فسيح الخطوة ، ممتد الحواشي ، متشعب الأطراف ، متـــوعر المســـلك ، غامض المدرك ، دقيق المجرى ، غزير الجدوى "[2].

إنها حقيقة تتجلى في البديعية و تميزها ، فورود التشبيه بهاته الصورة أضفى ألقا و جمالا فنيـــا فهـــو تعريف و تنميق ، حيث يبدو ذلك في قوله :

---

[1] - حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص 15.
[2]- د. أحمد الهاشمي ، **جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع** ، ص 395.

فِي حَلْبَةِ الخَدِّ خَيْلُ الدَّمْعِ قَدْ وَقَفَتْ   تَسْتَطْرِدُ السَّبْقَ بَيْنَ الفرْقِ وَ الدِّيَمِ[*][1]

لقد كانت صورة رائعة تنقل المعنى ، و تنبعث من ثناياها عاطفة الشاعر الجياشة ، فتغدو أكثر تأثيرا و ترجمة لتجربة و إحساسه ، و هذا ما يجعلها مختلفة ، فهي زادت البديعية روعة و وجدانية ، حيث يتضح ذلك أكثر في قوله :

تَكَامَلَ الوَجْهُ عَنْ تَشْبيهه قَمَــــرًا   أَبَانَ عَنْ مَبْسَمٍ كَالعِقْدِ مُنْتَظِمِ[2]

هي صورة تضيف ألقا لهذا البناء الهندسي ، ففي أنحائه نجد مثل هذا الجمال المتناثر الذي يكتسب قيمته من ذلك التمازج ، حيث إن هاته الصور تتفاعل مع دلالتها فيقوم نوع من التشابه بين العلاقات اللغوية المنبثة في النص الشعري ، فصور التشبيه هنا شذرات فهي بمثابة المعطى التجميلي ، إذ كان النسق التصويري مختلفا ، فكان أن جاء النسيج الأدائي مغايرا ، مما أضفى جماليات على البديعية و أشاع نوعا من المدركات الخيالية التي تثيرنا ، فهي من سمات الصورة ، إذ أبدت لنا هذا الالتقاء بين العقل و الوجدان ، حيث إن " التشبيه ليس مجرد عملية إلحاق تتطابق فيها النسب و الأبعاد و لكنه خبرة فنية تقوم على التفطن لخصائص الأشياء و إبرازها و التعبير عنها تعبيرا ينم عن التأمل و التفاعل و المعايشة ، فهو ركن من أركان الشعر "[3] ، و قد تجلى ذلك في البديعية .

إن شاعرنا وظف ألوانا بلاغية و قدمها في صياغة جديدة فرغم الغرض التأليفي إلا أنها جسدت براعة الشاعر ، فكانت الصورة الفنية ومضات إبداعية زادت البديعية إثارة و بلغت الحد الأقصى في التصوير و

---

[*]- الديم و الديمة : المطر الذي ليس فيه رعد و لا برق ، اللسان مادة ديم.
[1]- حورية رواق ، **بديعية مواهب البديع في علم البديع** ، ص 09.
[2]- المرجع نفسه ، ص 15.
[3]- د. محمد طه عمر ، **مفهوم الإبداع في الفكر النقدي عند العرب** ، ص127.

التشكيل الجمالي ، فالمتلقي في قراءته للبديعية يشعر بالنشوة و الانفعال ، إذ هي تخترق أعماق نفسه اختراقا ، و تخلخل رؤاه ، حيث يتواءم اللون البلاغي في ذكره مع الوجدان ، مفعما بخيال خلاق.

خاتمة

لقد حاولت هذه الدراسة استثارة الأعماق، وإضفاء إشراقة وروعة على الشعر المغربي، من خلال هذا الموروث الشعري الذي لم يلق حظه من الدراسة والرعاية، فكانت غايتنا إبراز الخصوصية التي تجعل من هذا النص شاهدا على اكتمال ونضج الأدب المغربي والشعر بصفة خاصة من خلال هذا التجديد والتميز في بنية المضامين والنظام البلاغي لبديعية ابن الخلوف الذي أبدع وعبر عن طاقات وإمكانات قلما تتوفر لشاعر، فهي بالذات شهادة على التفوق والنبوغ المغربي، "الجزائري" – لانتماء الشاعر– وهي بذلك بصمة من بصمات الشعر العربي المغربي ودعوة لاستنباط كوامن التراث العربي الذي يستحق اهتماما أكثر و دراسة أعمق، وبالتالي تغير المفاهيم وتصحح الكثير من الاعتقادات الخاطئة.

وتبعا لما سبق فقد توصلت إلى نتائج يمكن إجمالها في النقاط التالية:

1–إن البديعية جسدت صورا جمالية ونظاما معرفيا، قلما يتمكن منه شاعر ليحقق هذا التناسب والإبداع الشعري .

2–رغم أن الأدباء والنقاد فصلوا في أمر علوم البلاغة، فبعد أن كانت في البداية تشير كلها إلى فرع واحد ثم استقلت لكن في البديعية جعلت منها فرعا واحدا من خلال هذا النظام الصارم والدقيق الذي اتبعه " ابن الخلوف " إذ بدت منبعا لمعرفة البلاغة ونسقا واحدا.

3–جاءت القصيدة لشاعر ذي شخصية متميزة تعلن عن خصوصيتها من خلال معجمه الشعري ، ورؤيته الفنية .

4–إن البديع يجسد ظاهرة لغوية صوتية، تجعل من البديعية ملتقى لمستويات عدة، فهي نقطة التقاء وتمايز في آن بين البلاغة والأسلوبية.

5–هناك تضام و إبداع لا نظير له بين مضمون وشكل، إنها بديعية فعلا بديعة، حيث نجد المعجم الوجداني فالإسلامي، وكليهما موشحين بتأليف بلاغي.

6-تشكل البديعية نقطة التقاء لكثير من الفنون، كالبردة، الصوفية والمدائح النبوية والمولديات إذ تبقى العلاقة تكاملية وتواصلية .

7-كان النسيب والمدح مختلفان، من خلال تزينهما بحلة بديعية أضافت للمعنى الكثير من الأبعاد و التأويلات المتعددة.

8-في اعتماد الشاعر للمقدمة الطللية نوع من الثبات والانسحاب نحو الماضي، الذي يبكيه بما فيه من قيم ومثل .

9-تعد البديعية منبعا هاما لالتقاء النصوص و تقاربها و تواشجها حيث تشكل لنا نصا يزخر بالمعارف على اختلافها، ناهيك على أنها نظم لعلوم البلاغة فهي بذلك مصدر هام للمعرفة في الأدب العربي.

10-لقد جاء مضمون البديعية متناغما مع شكلها معبرة عن أسى وجداني عميق .

11-النظام البلاغي في البديعية لم يخضع فيه لقواعد معينة بل جاءت كلا متكاملا من المطلع إلى النهاية تعبر فيه الألوان عن المعاني، و تنظر لعلوم البلاغة .

12- لم تكن الألوان البديعية إلا ظواهر سياقية تشكل خصائص النمط التشكيلي للبديعية.

13-كان التشكيل الموسيقي في البديعية متحدا مع المضمون و معبرا عنه، حيث تناغم مع الألوان البلاغية في البديعية.

14-بلغت البديعية الحد الأقصى في التصوير و التشكيل الجمالي من خلال الصورة الفنية، رغم ورودها كومضات.

و في الأخير لست أدعي أن هذه النتائج التي أكون قد توصلت إليها ، من خلال هذا الجهد المتواضع هي نتائج نهائية ، بل إن البديعيات فن لم ينل حقه من الدراسة ، حيث شحت حوله على امتداد

المساحة العربية ، كما أن أغلب نصوص البديعيات لم تر النور بعد ، رغم أهمية هذا الموروث الشعري العربي و قيمته المعرفية و المعنوية ، و عليه لا أرى هذا الجهد إلا محاولة لاستثارة الأعماق و دعوة صارخة لإخراج هذا الكم الهائل من تراثنا من تحت الركام ، و إيلائه عناية خاصة بالدراسة و التحقيق ، آملة أن تتوالى الجهود لتحريره من الشرنقة التي وضع فيها لأسباب تتباين و تختلف ، و لا يتسع المجال لذكرها .

و على العموم فإن أصبت فمن الله ، و إن أخطأت فحسبي أني اجتهدت و كان لي شرف المحاولة و قرع النواقيس.

إنها خطوة على الطريق و بالله التوفيق

المصادر و المراجع

. القرآن الكريم

المصادر:

1. ابن الخلوف، "مواهب البديع في علم البديع"، تحقيق حورية رواق، رسالة ماجستير، قسنطينة، 2003.

المراجع:

1- د. إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط6/ 1988.

2- أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق عبد الحميد هنـــداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1/ .2001

3- أبو الفرج قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، تحقيق د. عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلميـــة ، بـــيروت (لبنان) ، (د،ط)،(ب،ت).

4- أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي ، مفتاح العلوم ، مطبعة مصـــطفى البـــابي ،(د ، ذكر البلد)،ط1/.1937

5- أحمد إبراهيم موسى، الصبغ البديعي في اللغة العربية، دار الكاتب العربي، القاهرة،(د،ط)، 1969 .

6- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق يوسف الصميلي، المكتبـــة العصرية، صيدا، بيروت، ط1/.1999

7- د. أشرف محمود نجا، قصيدة المديح في الأندلس، قضاياها الموضوعية والفنية، عصر الطوائف، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1/.2003

8- د. أماني سليمان داود ، الأسلوبية و الصوفية (دراسة في شعر الحسين بـــن منصـــور الحـــلاج) ، دار مجدلاوي ، عمان (الأردن) ، ط1 ، 2002.

9- إميل ناصف، أروع ما قيل في المديح، دار الجيل، بيروت، ط$_1$/1992.

10- إنعام الجندي، الرائد في الأدب العربي، ج$_1$، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان ، ط$_2$/1986.

11- ايفور ارمسترونغ ريتشاردر، فلسفة البلاغة، ترجمة ســعيد الغــانمي، د. ناصـــر حـــلاوي، إفريقيـــا الشرق،بيروت(لبنان)،ط1/2002.

12- د.أيمن محمد زكي العشماوي، قصيدة المديح عند المتنبي وتطورها الفني، دار النهضة العربيـــة، بـــيروت، ط$_1$/1983.

13- د. بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم البديع، دار العلم للملايين، بيروت(لبنـــان)، ط$_1$/1987.

14- بيير جييرو ، الأسلوب و الأسلوبية ، ترجمة منذر عياشي ،مركز الإنماء القومي ،لبنان،(د،ط)،(ب،ت).

15- تزفيطان طودوروف، الشعرية، ترجمة شكري المبخوت ورجاء بن ســـلامة، المعرفـــة الأدبيـــة،تونس، ط$_1$/1987.

16- تقي الدين أبي بكـــر (ابـــن حجـــة الحمـــوي)، خزانـــة الأدب وغايـــة الأرب، ج1،ج2،دار مكتبـــة الهلال،بيروت(لبنان)، ، ط$_1$/1987.

17- د. جودت الركابي، الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار ،دار الفكر ، دمشق(سوريا)، ط$_2$/1982.

18- جوليا كريسطيفيا، علم النص، ترجمة فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم،بيروت(لبنان) (د،ط)،(ب،ت).

19- جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة د. عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافيةالعامة،العراق، ط1/.1987

20- الحسن بن مسعود البغوي، الأنوار في شمائل النبي المختار، حققه إبراهيم اليعقوبي، ج1، دار المكتبة، دمشق (سوريا)، ، ط2/.1999

21- حسن ناظم، البنى الأسلوبية (دراسة في أنشودة المطر للسياب)، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، ط1/.2000

22- د. خالد إبراهيم يوسف، الشعر العربي أيام المماليك ومن عاصرهم من ذوي السلطان، دار النهضة العربية، بيروت (لبنان)، ط1/.2003

23- د. خديجة السايح، مناهج البحث البلاغي في النصف الأول من القرن العشرين في مصر، تقديم د. منير سلطان الإسكندرية، القاهرة، (د،ط)،(ب،ت).

24- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني، البيان، البديع)،دار الجيل، بيروت(لبنان)،(د،ط)،(ب،ت).

25- د. خليل إبراهيم ذياب، الصورة الإستدارية في الشعر العربي، عمان (الأردن) ، ط1/.1999

26- رابح بوحوش، البنية اللغوية لبردة البوصيري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،.1993

27- د. رجاء عيد ، القول الشعري (منظورات معاصرة)، منشــأة المعــارف، الإســكندرية، القــاهرة ، (د،ط)،(ب،ت).

28- د. رجاء عيد ، المــذهب البــديعي في الشــعر والنقــد، منشــأة المعــارف، الإســكندرية،القاهرة، (د،ط)،(ب،ت).

29- د. رجب عبد الجواد إبراهيم، موسيقى اللغة، دار الآفاق العربية، القاهرة، طبعة.2003

30- رمضان صادق، شعر عمر بن الفارض(دراسة أسلوبية)، الهيئــة المصــرية العامــة للكتــاب ، مصــر ،(د،ط)،.1998

31- د. رمضان الصباغ، عناصر العمل الفني(دراسة جمالية)،دار الوفاء، الإسكندرية(مصر)،(د،ط)،(ب،ت).

32- د. زكي مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي، صيدا، بيروت، (د،ط)، .1935

33- د. زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، دار الشرق، بيروت(لبنان)، ط$_6$/.1980

34- د.سامي إسماعيل، جماليات التلقي (دراسة في نظرية التلقي عند هانز روبــرت يــاوس و فولفجــانج ايزر)،القاهرة(مصر)، ط$_1$/.2002

35- د. سامي سويدان، في النص الشعري، مقاربات منهجية، دار الآداب، بيروت(لبنان) ، ط$_2$/.1999

36- د. سليمان حمودة ، البلاغة العربية،دار المعارف، مصر، (د،ط)،(ب،ت).

37- سمير أبو حمدان، الإبلاغية في البلاغة العربية، منشورات عويدات الدولية ، بيروت(لبنان)، ط$_1$/.1991

38- د. شوقي ضيف، البلاغة العربية تطور وتاريخ، دار المعارف،مصر، ط8 ،(ب،ت).

39- د. صابر طعيمة، الصوفية معتقدا ومسلكا، عالم الكتب، الرياض(السعودية)، ط2/.1985

40- د. صالح بلعيد، ألفية بن مالك في الميزان، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر ، (د،ط)، .1995

41- صفي الدين الحلي،شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة و محاسن البديع، تحقيق نسيب شاوي، ديـــوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، (د،ط)،(ب،ت).

42- د. صلاح رزق، أدبية النص (محاولة لتأسيس منهج نقدي عربي)، دار غريب، القاهرة(مصـــر)، طبعـــة . 2002

43- د. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص،دار بونار للطباعة، القاهرة(مصر)،ط1/.1996

44- د. عائشة حسين فريد، وشي الربيع بألوان البديع، في ضوء أساليب العربية، دار قباء ،(د،ط)،(ب،ت).

45- عبـــاس محمـــود العقـــاد،ابن الرومـــي(حياتـــه مـــن شـــعره)،ج1، المكتبـــة العصـــرية-الـــدار النموذجية،بيروت(لبنان)،ط1 ،(ب،ت).

46- د. عبد العزيز عتيق في تاريخ البلاغة العربية، دار النهضة، بيروت(لبنان) ، (د،ط)،(ب،ت).

47- عبد الغني النابلسي ، نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار، شرح البديعية المزرية بالعقود الجوهرية ، عالم الكتب، بيروت(لبنان) ،(د،ط)،(ب،ت).

48- د. عبد الفتاح لاشين، الخصومات البلاغية والنقديـــة في صـــنعة أبي تمـــام، دار المعـــارف، القـــاهرة ،(د،ط)،(ب،ت).

49- د. عبد القادر فيدوح، دلائلية النص الأدبي ، دراسة سيميائية للشـــعر الجزائري،ديـــوان المطبوعـــات الجامعية،وهران(الجزائر)،ط1/.1993

50- د. عبد الله التطاوي، قصيدة المديح العباسية بين الاحتراف والإمارة، دار قباء، القاهرة(مصر)،(د،ط)، 2000.

51- د. عبد الله حمادي، دراسات في الأدب المغربي القديم، دار البعث، قسنطينة(الجزائر)، ط1/.1986

52- د.عبده عبد العزيز قليقلة، خط سير الأدب العربي، دار الفكر العربي، القاهرة (مصر)، ط2/.1990

53 - د. عبد الواحد حسن الشيخ، دراسات في علم البديع،(د،ط)،(1999-2000).

54- د. العربي دحو، ابن الخلوف وديوانه جني الجنتين في مدح خير الفرقتين(المعروف بـــديوان الإســـلام)، (827هـ-1454م)، (899 هـ-1526م)، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر.

55- د. عماد الدين خليل، مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1/.1987

56- د. علي أبو زيد، البديعيات في الأدب العربي، (نشأتها،تطورها، أثرها)، عالم الكتب، بـــيروت(لبنـــان)، ط1/1983.

57- د. علي الشابي، الأدب الفارسي في العصر الغرنوي، تونس،(د،ط) ، .1965

58- د. علي عزت، الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، دار بونار، القاهرة، ط1/1996.

59- د.فوزي محمد أمين،أدب العصر المملوكي الأول (ملامح المجتمـــع المصـــري)،دار المعرفـــة الجامعيـــة، الإسكندرية(مصر)، ط2/.2003

60- د. لطفـــي عبـــد البـــديع ، إلى طـــه حســـين في عيـــد مـــيلاده الســـبعين ، ضـــياء خضـــير ، http://www.fikrwanakd.aljabriabed.net/n41_07khadir.htm

61- محمد بركات حمدي أبو علي ، دراسات في البلاغة ، دار الفكر، عمان (الأردن) ، (د،ط) ، .1984

62- د. محمد زغلول سلام، الأدب في العصر المملوكي، ج1 ، منشأة المعارف، الإسكندرية(مصر) ،(د،ط) ، (ب،ت).

63- د. محمد زغلول سلام، الأدب في العصر المملوكي، ج3 ، منشأة المعارف، الإسكندرية(مصر) ،(د،ط) ، (ب،ت).

64- محمد علي سلطاني،البلاغة العربية في فنونها،مطبعة زيد بن ثابت، دمشق(سوريا)،(د،ط)،(1979،1980).

65- د. محمد العمري ، البلاغة العربية(أصولها و امتدادها)، إفريقيا الشرق ، بيروت (لبنان)،(د،ط)،.1999

66- محمد متولي الشعراوي ، معجزات الرسول صلى الله عليه و سلم ، دار القلم، بيروت(لبنان)،(د،ط)،(ب،ت).

67- د. محمد مصطفى أبو شوارب ، البديع في علم البديع ليحي بن معطي،دار الوفاء،الإسكندرية'مصر)،ط1/.2003

68- د. محمد مفتاح، التلقي والتأويل مقاربة نسقية، المركز الثقافي العربي، بيروت(لبنان)، ط2/.2001

69- د. محمد نايل أحمد، البلاغة بين عهدين (في ظلال الذوق الأزلي وتحت سلطان العلم النظري)، دار الفكر العربي،(د،ط) ، .1994

70- د. محمد نور الدين عبد المنعم، دراسات في الشعر الفارسي حتى القرن الخامس، دار الثقافة، القاهرة(مصر)،(د،ط) .1976

71- د. محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، دار بونار، القاهرة(مصر)، ط1/.1994

72- د. محمد عبد الواحد حجازي،الأطلال في الشعر العربي(دراسة جمالية)،دار الوفاء ، الإسكندرية(مصر)، ط1/.2002

73- محمود سليمان ياقوت ،علم الجمال اللغوي(المعاني،البيان،البـــديع)،دار المعرفـــة الجامعية،مصـــر،(د،ط)،.1995

74- د. محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ونتاجه الأدبي والعلمي، م7، مكتبة الآداب، القـــاهرة، ط1/1965 .

75- د. محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، ق8، ج4، م8، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1/.1965

76- د. محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك ونتاجه الأدبي والعلمي، م8،مكتبـــة الآداب، القـــاهرة، ط1/1965.

77- د. منير سلطان، البديع تأصيل و تجديد، منشأة المعارف، الإسكندرية(مصر) ، (د،ط) ، 1986.

المعاجم:

1- إبراهيم مصطفى، حامد عبد القادر، أحمد حسن الزيات، محمد علي النجار، المعجم الوسيط، ج1 ،مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، ، .1989

2- أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضـــبط محمـــد هـــارون، دار الجيـــل، بيروت(لبنان)، المجلد الأول، ط1/.1991

3- د. أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، بيروت-لبنان، إعادة طبع 2000.

المجلات :

1- د. لخضر عيكوس، جماليات البديعيات وخصائصها الفنية، مجلة آفاق الثقافة والتراث، السنة السادسة العددان الثاني والعشرون والثالث والعشرون، 1989.

الرسائل الجامعية:

1- إسماعيل زردومي، شعر الاستغاثة للأندلس، رسالة ماجستير، جامعة باتنة 1994، تحت إشراف د. العربي دحو.

2- حورية رواق، بديعية مواهب البديع في علم البديع، رسالة ماجستير، جامعة قســنطينة 2003، تحــت إشراف د. لخضر عيكوس.

مواهب البديع في علم البديع

01. أمـــنْ هوَى مـــنْ ثوى بالـــبان و العَلّمِ   هـــلَّتْ براعةُ مزْن الدَّمْع كالعَنــــــــَمِ؟!

02. أمْ منْ فـــرُوق بُروق الحيِّ إذا لـــمَعتْ   تمتْ مماثـــلةُ الأحْشـــــاءِ لـــلضَّرمِ ؟!

03. فَاسْتــوفِ مدَّ نــــوالِ مدَّ نَــــــائِلَـــهُ   مِـــنْ مَـــنْ و ادعهُ يا جامِعَ الكـــــلِمِ

04. و صِـــلْ بِـــبدْرِ تَمامٍ منْ مَحَـــاسِنِـــهِمْ   مَضَاه لـــليلِ تمـــام مِنْ شُعُـــورِهِـــــمِ

05. وَ حَيِّ سلْعًا , وَ سلْ عَن حَالِ مُخْتَـــلِفٍ   واخْضَعْ، وَ سَلْ مَا لسَلْمَى ركبت سَقمِي

06. وَ إنْ تشَـــابه بتـــركـــيبٍ لـــنَفْسِكَ قُـــلْ   لِـــي مَالَهَا إنْ لَـــهَا قَـــلْبي بحُـــبهـــــم

07. وَ عِشْ بتعْلِـــيق مَعْرُوفِ الوِصَالِ ، ولَا   تَقلْ هَـــانَ دَمْعِي يَا قَوْمُ فَيَا نَدَمِـــــــي

08. وَ شَـــابِهِ الـــسّقْمَ بالـــمقْرُوق مَنْ جَـــلَدٍ   فَقَدْ حَدَا بهِـــــــــمْ حَـــادِي رِكـــابِهِـــمِ

09. وَ بالـــمشَابِهِ لـــفِقْ قـــدْرَ ما قَـــطَعُـــوا   بنَاظِرِ قـــد رَمَـــى ، أَقْـــلَاذَ حـــبهـــــمِ

10. وَ إنْ رَجَـــوْتَ، فَدَعْ تَفـــريقَ دَاهرَ مَـــا   أبدَوْا وَ سَـــلْ عَن دَمِ الـــقَتلَى بحُبِّهِـــــمِ

11. وَ كَـــمْ بخَيْرِ وجَيْرِ صَـــقَّحُوا كَلِـــــمِي   وَ حَرَّفُوا بوقُوع الـــحِلْم في الـــحُلْـــــمِ

12. وكَـــمْ بِسَخْطٍ، وَشَحْطٍ صَـــرَّفُوا نَظَـــرًا   يَـــا مَـــا مَلاَ القَلْبَ لَمَا مَالَ بِالألـــــــمِ

13. وَ لَو بِتَطريـــفِ عَهْدٍ قدْ مَضَى ارْتَجَعُوا   لَـــذَيَّلُـــونِي بـــفرْطِ عَـــاطِرِ الـــشّيَـــمِ

14. لـــكنّهـــمْ مَـــرَّرُوا نَـــدْوى الـــفتؤادِ بمَا   قد جرَّدُوا الـــشَّوقَ من بلْبَالِ عَهْدِهِـــــمِ

15. وَ بِالـــمُتَوّج مِـــلْ بِي ،و اسْـــتملْ فَـــلقا   مال الـــسَّبْعَ أَنْ بَانوا وانطلـــق وَهِـــــمِ

16. وَ بِالـــمُوَسّـــط منْ دَلَّ الـــدّلالِ نَـــهَـــوْا   لِتَرمِيلِ منْ تـــمّ عنْ تَمَامِ حسْنـــهِـــــمِ

17. وَ لَاحَفونِي بصَـــدْمِ الـــصَّرعِ حِينَ نَأوْا   بـــضَارعِ الـــنَّهْي نَدْبي يَومَ نـــأيهـــــم

18. وَ فِي مجْـــنحِهِمْ مَـــازَالَ الـــعواذِلُ منْ   أثَارَ بالحبِّ قـــلْبًا غـــيْر مُنْـــقَسِـــــــمِ

19. يَا رُوَيْحَ رِيحِ الـــصِّبَا المعتَلّ حَيّ بمَـــا   حَيًّا فَمَـــا هَـــامَ فِي لَـــفْظِي مُبْتَسِمِـــــي

20. وَ سِـــمْ بتَجْنيسِ عَـــلْس الأيْمين وَ سِـــمْ   مُمنَّعًـــا مُنعَمًـــا بالـــمِيسَـــمِ الـــنّظِـــمِ

21. وَ هـــاٍو مُشْتَـــقَّ قلْـــبٍ قلّـــبُوُه عَسَـــى   أنْ يُطْلِـــقَ الـــبرْءَ منْهُ مطْلَقَ القَسَـــــمِ

22. و اخْيـْر مشَوشَ عَقْلٍ ضَلَّ أنْ يَسِـمُوا   عَنْ أشْنَبِ شَـرْقٍ، أوْ الْـعَسَ شَبِـم

23. وكـْم أمـَامَ حَنَيـنِ أطْلَـقُوا و سَـبَوْا   يا مَعنويًا تُجَاهَ الـقُدْسِ فـي الْـحَرَمِ

24. وباسْتعارةٍ أبْـدَى الْـصُبْحُ قَدْ عرفُـوا   أسْتَارَ شعْرِ الدُّجَى عـنْ وجْهِ بِدرِهْم

25. منْ لي بِمَنْ حجبُوا البيْضَا و قَدْ حَلَفُـوا   مِنْ مَـا [ ] وحَاجى عـنْ صَفَيِّهِم

26. وَإنْ تَمَـثَّلْتَ إنْ طَلَّـقَ الـشُّعُورَ فَقَـدْ   عَزَا المُسَافِرُ نُورَ الْبَدْرِ فـي الـظُّلَمِ

27. أعِـندَهمْ و عـيونُ الـلَّهِ تَحْـرِسُهُـمْ   مِنِ اعْتِرَاضِ حسُـودٍ لَمْ يقـلْ بِهِـم

28. هُمُ ٌ، همُ الْـعَيْنُ حلْـوُهَا و ما سفـرَتْ   إلا لِتَصِرْف في اسْتِخْـدَامِ عبْدِهْـم

29. أبـورُ أَنَّ مَنَـامِـي طَـائِـرٌ أبـدًا   حَتَّـى يقـصَّ بِمَا عَائَيْتُ في الْحُلـُمِ

30. و [ ] فَـجَـرَوْا إذْ بَـرَوْا جَـسَدِي   عَمْـدًا،وَقَالُوا: لَقَدْ صَحِيتَ بِالـسَّقَـم

31. وَبِالْـتِفَاتِ الهَـوَى صَادُوا النُّفُوسَ فَهَلْ   عَايَنْتَ يَـا ظَبْـيُ أَشْرَادَ الْـتِفَاتِهِـمِ

32. وَمَـا تَخَيَّلْـتُ أنَّ الـرَّوْضَ أوْجَهَهُـمْ   حَتَّى رَأَيْتُ بِهَا السُّوسَانَ في الـظُّلُـم

33. وَ لَـوْ طَـوَى شعْـرٌ قَدْ زَكَا اتَّشَحُـوا   َلانْشَقَ الـجَوَّ عُرْفَ طَـيِّ نَشْـرِهِـمِ

34. يَـا لَـيْتَ طَرْفِي تَمَنَّى حُسْنَ رُؤْيَتِهِـمْ   لَعَـلَّ قَلْبِـي بِرَجلِي نَيْـلَ وَصْلِـهِـم

35. دَعْ ،وَ اجْتَنِبْ مَا بِـهِ يُخْشَى نَظِيرَهُـمُ   و اقْصِدْ بِقَـوْلٍ جَمِيلٍ حُسْـنَ مَـائِهِـم

36. وَ إنْ تَعَجَّبْتَ فاسْـتَقِـمْ هُدِيـتَ بِهِـمْ   كَيفَ الـظِّبَاءُ تَصِيدُ الـصَّيْدَ فِي الأكَم

37. قَـالُوا انْتَضَيْنَا جُفُونَا فَالـظَّبَا سُقِيَـتْ   فَقُلْـتُ مُسْـتَدْرِكًا: لَكِنْ بِسَفْكِ دَمِـي

38. لَـمْ أرْجُ تَدْيِيـلَهُمْ كَـمْ يَشْتَفِـي سَقَـمٌ   وكَيْفَ أرْجُو الشَّفَا مِنْ مُعْضِلِ السَّقَـم؟!

39. وَ خَالِدِ الوَجْدَ عَزَّ بِحُسْنِ الغَـرَامِ رَوَى   تَوْجِيـهَ جَعْفَـرِ دَمِـي عِنْدَ فَضْلِـهِـم

40. و صَحَّ قَلْـبِـي بِتَعْلِيلِ الـنَّسِيمِ لِـذَا   تَـرَاهُ يَسْأَلُـهُ عَنْ طِيـبِ عُـرْفِهِـم

41. برئْتُ مِنْ مُهْجَتِـي إنْ لَمْ تَسَلْ أسقَـا   يَـا نَاظِرِي فِي هَوَى منْ بَرَّ بِالـسَّقَـم

42. ولا اكْتَفَـى مُقْلَتِـي بالدَّمْعِ قُلْتُ لَهَـا   كَفَى الـجَـرَاءَ قَالَـتْ:إنَّـهُ لَـحْمِـي

43. لا ذنْبَ لِلــدَّمْعَ بَلْ لِــلْعَيْنِ تُرْسِلُـــــــهُ … بشْـــرى وَقَدْ عَــانَيْتُ: تَتَمُّـــمَ حُسْنِهـــم

44. و كَــمْ بِأَوْصَـــافِهِمْ شَبَبْتُ فِي غَـــــزَلً … حـــوَى الــمَدِيحُ به فَخْــرَ افْتِتــاحهـــم

45. وَ كَــمْ فُتِنْـــتُ بِهِمْ لَــمَّا عَلَوْا شَرَفًــــا … رَدَدْتُ عَنْ مورْدِي فِي شَأْنِـــي فُنُونِهــم

46. وَ كَمْ رَدَدْتُ عَلَى الأعْجاز إذْ نفـــــرُوا … صدُّوا عُزَّالَــهُمْ قَــهْرًا، وَكَــمْ وكَـــمِ

47. بمُوجِبِ القَوْلِ قَالُوا: دَعْ فَقُلْتُ لَهـــــــمْ … نَوْمِي، وَصَبْرِي وَسُلْوَانِـــي وَ مُكْتَتَمِـــي

48. في حَلْبَةِ الخَدِّ خيْلُ الدَمْعِ قَدْ وقفـــــــتْ … تَسْتَطْرِدُ الــسَّبْقَ بَيْنَ الــفَرْقِ وَ الــدِّيَمِ

49. يا عَاذِلِي كُفَّ فالــتَّسْلِيمُ اجْدَرُ بِـــــي … وهبْ: نصحْتَ فسمْعِي عَنْكَ فِي صَمَـمِ

50. وَإنْ تناقِضْ ، فإني قَــــــدْ رضيتُ إذَا … بَانُوا وعَنَيْتُ دُمُوعِي عَلَى إثْرَ عِيسِهِـــم

51. و إنْ أغَالِــــــطْ بأسْجَــالِ لــتُرضِينِي … هبْ إنْ غالطها فَأَنْعِمْ بالـــرِّضَى وَهِــمِ

52. و إنْ أسَجِّلْ بمَا حسَنْتَ منْ شَغَـــــــفٍ … بِــلَا مُغَـــالَطَـــةٍ يَـــا عادلـــي فَـــــدُمِ

53. قالوا:ارْتَجِعْ،قُلْتُ: فَاكْفُفْ عَنْ مراجَعَتِي … قَالُوا: استَمِعْ قُلْتُ: لا أصْغِي لِغَيْرِهِـــــم

54. وَكَـــمْ تَهَكَّمْتُ إذ قَالُـــوا اتَّخِذْ بَـــــدَلا … وَقُلْتُ: أنْتَ حَلِــيفَ الرَّعيِ و الــدِّمــَمِ

55. وإنْ تَخَيَّرْتَ صَبْرِي والــسِّقَامَ فَقَــــــدْ … عَدِمْتُ صِحَّةَ مَا تَرْجُـــو، فَوَاعَدَمِـــــي!

56. وإنْ تُوَازِي بشْرِ الــعَاذِلِينَ فَقُـــــــلْ: … هُــمْ، هــُمُ النَّاسُ والأبْدَالُ فِي الأُمَــــمِ

57. منـــزَّهُونَ عَنِ الــعُتْبَى فَهُمْ سُحُـــبٌ … تَرْوِي ومنْ رَيِّهَا يَا ظِلَّـــهُ الـــــنَكِـــم

58. فِي مَعْرِضِ المَدْحِ هجْوِي قَالَ إذْ سَلَبُوا … صنتُمْ، وجدْتمْ ببذْلِ الــمَالِ و الحـــــرَمِ

59. و إنْ أنْذَرْ بتَخْوِيــفٍ، وإذَا نَظَـــــرُوا … تدُورُ أعْيُنُهُمْ كالــخَائِفِ، الـــوَجِـــم

60. أسلُوبُ أجْمعَهــم أبْدُوا فَقَـــالَ لَهُـــمْ : … أبْدَى الــفَسَادَ، و أخْفَى صَالِحَ الحِكَـــم

61. يَا مُعْرِضًا كَيْفَ لمْ تَسْتَتِرْ إذْ غَضِبُــــوا … إلا الرِّضَـــى وَقَدِ اشْتَطُـــوا بِغَيْضِهـــمِ

62. تَجَاهَـــلِ الــعَارِفَ إنْ سَبُّوكَ وَقُــــــلْ … أفِعْلُ بيضِ الظبَا ، أمْ سِحْرُ لَحْظِهـــــــم

63. والزَمْ مُغَايَرَةَ الظَّبْيِ الغَرِيرِ وَ صِــــفْ … عَيْنَيْهِ ، أوْ دَعْ وَصفَ سَاجِي عُيُونِهـــم

64. واحْذَرْ مَرَاعِ}ي نَظيرَ الزهْرِ، إذْ سَبَحُوا … عَنْ لُؤْلُؤِ الثَّغْرِ، وَعَنْ جَوْهَرِ الكَلِـــــم

65. ـِغــبْ، ابْــدُ،مُــرْ إنَّهُ عَــزَّ أهْـــــن … فَرِّقْ، أقِلْ حَيَّ لَــمْ جدَاعُطِ هِبَاتِهـــــــم

66. وَانْسِبْ بِأَطْرَافِ مَنْ لَمْ يَخْشَ وَاجِبَـــهُ وتَخْشَهُ، وَهُوَ صُبْحٌ وَاضِحُ الـــلَّقَـــم

67. وَرَاع بالـــبَدْر أَيَامَ الـــنَّظِير فَقَـــــدْ خِلْتُ الغَزَالَةَ تَرْعَى النَّجَمَ فِي الأَكَـــم

68. وَاخْفَضْ جَنَاحَكَ وانْصِبْ رَاحَتَيْــكَ وَ لا تَعِشْ ، تَعِشْ بِارْتِفَــاع فِــي طِبَاقِهــــم

69. وَ إِنْ وَثِقْتَ بِإِبْهَــامِ الــطِبَاقِ فَقُــــلْ سَيُضْحِكُ الــصُّبْحُ البَاكِينَ فِي الظُّلُــم

70. وانْشُرْ بَطِيء ، وَأَهْمِلْ واحْتَلِــمْ وَأَرِقْ وَجْدِي، وَصَبْرِي ، وَدمْعِي والحَشَا وَدَع

71. وأَبْهِمْ الأَمْرَ إِنْ جَادَ الحَيَا، وَجَــــرَى دَمْعِــي لِتَرْوِي ظَمَأَ أَحْيَــاءَ حَبِّــهــم

72. وإِنْ تَلُوحُ فَقُلْ يَا مَا عَلَوْتُ عَلَـــــى حَــيٍّ، و إِنْ مَــلاَنِي غَيْــرَ مُحْتَشِــم

73. و اعْكِسْ تُصِبْ طَرْدَ قَصْدٍ و اسْتَتِرْ بِهِمْ زَهْرَ الرِّيَاضِ ، رِيَاضَ الزَّهْرِ فِي الشَّمَمِ

74. و إِنْ تَصَغَّرَهُ فَعَظِّمْ حسنَهُنَّ وَ قُـــلْ يَـــا مَـــا أُحيلا نَظِيمِــي فِي حَبْلِهِـــم

75. حَمَّ الدُّجى عِندَ تَشرِيـــع الذَوَائِبِ ،إِذْ ظَلَّ الــحِجَى بِبُــدُورٍ مِنْ وُجُوهِهِـــم

76. موَائِسٌ فِي قُصُورِهم إِنْ تَفرَعْهُـــمُ كَــوَانِسٌ فِي خُــدُورٍ مِن شُعُــورِهِـــم

77. أَبْدَوا خُدُودَ التَّشْكِيكِ كَزَهْرِ الدُّجَـــى أَوْ عَنْــدَمٍ ، أَو سَنًّــا ، أَوْ نَارٍ أَوْ عَنَــم

78. غَيْرَ إِذَا ارْتَحَلُوا حَلُّوا عَن جَلْــــدِي قَــد أَقْرَدُوهُ لِــيَرْعــوا بِاقْتِــرَانِهِـــم

79. بَانُوا فَقُلْــتُ لِنَفْسٍ أَضْرَمَتْ تَلَفَـــا يَـــا نَفْسُ ذُوقِــي عِتَابِــي عِنْدَ فَقْدِهِـم

80. فَشَــتْ بِنَسِيــبٍ مِنْــهُ خَلَصَــــتْ بِمَــدْحِ أَحْمَــدَ خَيْرِ العُــرْبِ و العَجَــم

81. بُشْرَى الدّبِيح بن فيّاض ابْنِ هاشِـــم ابْنِ الــمُغِيرةِ فَــاعْجَبْ بِأَطْــرَادِهِـــم

82. لَمْ يُعْزَزَ يَدُ لَهُ التَّلْفِيقُ فَاصْغِ وَ قُـــلْ مَــا كَانَ طَــه أَبَا ابْنٍ مِنْ رِجَالِهِـــم

83. كَنْزُ ادِّخَارِي عَلاهُ شَمْسُ مُرْتَقِبِـــي غُوثُ اضْطِرَارِي،صَبَاحِي فِي دُجَى ظُلُم

84. بَدَا الجَمِيلُ ، لَهُ الوَصْفُ ،الجَمِيلُ فَعــنْ تَرْدِيــدِ حَــبٍ جَمِيــلٍ زِدْ بِهِ، وَهَـــم

85. وَ إِنْ تُشَابِه أَطْــرَافَ المَدِيحِ بِـــه بِــه تَبَــدَّل بَعْدَ الــبُؤْسِ بِالــنِّعَــم

86. كَــرِّر حَــلاوَةَ مَــدْحِ الأَشْــرَفِ الــعَلَمِ ابْنِ الأَشْــرَفِ ، الأَشْــرَافِ الــعَلَـــم

87. و اقْصِرْ عَلَيْهِ السَّنَا حَتْمًا، ومُدَّ بِـــهِ عَالِــي السَّنَاءِ و هِمْ فِي مَدِّ قَصْرِهِـــم

88. ما الشَّمْسُ إِنْ رمتْ تشْبِيهَا بوَاضِحَـــةٍ إلا كَكَــافُورَةٍ فِــي جَوْهَــرِ نَظِـــم

89. ولا الـــحُسَامَ إذَا سُـــلَّتْ وغــرَّتُـــــــهُ   منْ بعْدِ نَقْبِكَ إلا الـــبــــــرْقَ فِي الدِّيَـــم
90. َسهْلُ الرِّضَى، و اللِّقَا والجُودُ مُمْتَنِـــــعُ   إنْ بُدِّلَتْ كلماتُ الـــقَادِرِ الـــمُحْتَكِـــــم
91. َقدْ أعْجَـــزَ المُتَحَدِّي قَوْلَهُ أوْ فَمَـــــــنْ   يَأْتِـــي بِمَـــا قَدْ أتَانَا أفْصَحُ الـــأُمَـــم
92. َكلامُهُ جَامِعٌ إنْ تُصْغِ تَلْقَ هُـــــــــدًى   مَنْ لَمْ يَصِحْ لَمْ يَجِدْ عنْ فئَةِ الصَّمَـــم
93. بالله أوْجِزْ و سَلْ عَنْهُ تَجِدْ مَدْحًــــــــا   فِي صُورَةِ النَّجْمِ، أوْ فِي نُونِ القَلَـــــم
94. و بَالِغِ المَدْحَ فِيمَنْ كَانَ حِينَ يَـــــرَى   أبْهَى وأبْهَـــرَ مُرْسَـــلا إلَـــى كَـــــرَمِ
95. وَ قُلْ بِأعْرَاقِ مَدْحِ المَادِحِينَ وَ لَــــــوْ   جَـــاؤُوا بِطُوفَانِ نُوحٍ فِي مَدِيحِهِـــــم
96. وَ زِدْ غُلُـــوًا فَقَدْ كَانَ الـــمَدِيحُ بِـــــهِ   يَسْتَوْقِفُ الـــنَّجْمَ أنْ سَارَ فِي الـــظُّلُـــم
97. أيُقَـــالُ يُسْرُ مَدِيحِي غَيْرُ مُنْقَطِـــــــعِ   عَنْهُ و عَقْـــدُ وِدَادِي غَيْـــرُ مُنْفَصِـــــم
98. وَمَذْهَبِـــي فِي كَلامِـــي أنَّ أُمَّتَـــــــهُ   لَوْ لَـــمْ يَكن لم يَكُنْ أسْنَى مِنَ الأُمَـــمِ
99. تَكْمِيـــلُ إنْعَامِـــهِ بالصَّحْبِ أيَّــــــــدَهُ   بَـــأسٌ أذَلَّ بِـــهِ مَـــنْ عَـــزَّ بِالصَّنَـــم
100. مُوَشَّـــحٌ برِدَاءِ الـــعِزِّ مُتَشِـــــــــحٌ   بِحُلَـــةِ الأحْسَنَيْنِ: الـــحِلْمُ و الـــكَـــرَمِ
101. الـــنَصرُ سرْبلهُ والـــفَخْرُ تَوَّجَـــــــهُ   والـــمَجْدُ مَاثِلُـــهُ فِي الخَلْقِ والشِّيَـــــم
102. كالدُّرِ فِي نَسَقٍ، و البَدْرِ فِي غَسَـــــــقِ   والشَّمْسِ فِي شَرَفٍ، و الزَّهْرِ فِي هِمَمِ
103. لِوَجهِهِ رِفْعَةٌ فِي الأرْضِ حَيْثُ مَشَـــــى   كَمَـــا لِبَـــدْرِ الـــسَمَا نُورُ احْتِبَالِـــهِـــمِ
104. غَلَبَ عَلَى القَمَرَيْنِ الزُّهْرِ وَاضِحُـــــــهُ   وبَـــاهَ بِالـــعُمَرَيْنِ الـــغُرَ كُـــلَّ كَـــم
105. تَكَامَلَ الوَجْهُ عن تشْبيهه قَمَــــــــرًا   أبَان عـــنْ مَبْسَـــم كالـــعِقْد مُنْتَظِـــــم
106. شبِّـــهْ بِشَيْئَيْـــنِ إنْ تُرِدْ فَتَجِـــــــــدْ   غَيْثًا هَمَى ، وحَكَى كَاللَّيْثِ فِي الأجَـــم
107. كَنَّتْهُ ألْسِنَةُ العَلْيَاءِ ، نجْمَ الدُّجَى الهيْجَـــا   رفِيـــعُ عِمَـــادِ الـــبَيْـــتِ والـــهِمَـــــم
108. عنْوَانُ تَكْمِيلِهِ ضبُّ الفلاةِ غَـــــــــدَا   مُؤَيدًا بِانْشِـــقَاقِ الـــبَدْرِ فِي الـــظُّلُـــم
109. لَمِّحْ بِمَا نَالَ فِي الإسْرَاءِ مِنَ شَــــــرَفٍ   و قُلْ بِتَكلِيم مُوسَى غَيرَ مُحْتَشِـــــــم
110. وَ ارصُدْ بدَعْوَةِ ابْرَاهِيمَ حينَ نَجَـــــــا   منْ كيْدِ نَمْرُودِهِ فِي البَرْدِ فِي الضَّـــرَمِ
111. واشْهَدْ بِتَمْكِينِ ذِي النُّونِ الكَرِيم وَقَـــــدْ   نَجَّـــاهُ فـــي الـــيَمِّ مِنْ أحْشَاءِ مُلْتَقَـــم

112. و اعْقِدْ لِعِيسَى لِوَاءَ الفَخْرِ حَيْثُ أَتَـــى   مُبَشِّــرًا بِرَسُــولِ اللَّـــهِ لِـــلأُمَــــــم

113. فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا الأُمَــــــمُ   يَـــا سَعْدَ مُقْتَبَسٍ مِنْ نُورِ كُتْبِهِــــــم

114. و اخْتِمْ بِهِ الأَنْبِيَاء وحَصْرًا بِمَنْطِقِـــــهِ   قَدْ أَلْـــحق الـــجزء لِلكُلِّي المُعْظَـــم

115. و إِنْ تَعَمَّمَ خِطَابُ الحَقِّ فِيهِ فَقُـــــلْ   يَا مُنْشِدَ المَدْحِ خصِّصْ جَامِعَ الكَلِـــم

116. هُوَ المَجازُ إِلى دَارِ الخُلُودِ ومــــــنْ   يَرْجُــو أَيَادِيــهِ يَكْفِي زَلَّةَ الــقَـــدَمِ

117. وَ فِي الــحَقِيقَةِ أَنَّ اللهَ صَــــــوَّرَهُ   مِنْ نُورٍ فَاغْتَــدَى إنسانُ عَيْنِهِــــم

118. لا يَسْلُبُ الحُلْمَ مِنْ إِيجَابُ قُدْرَتِـــــهِ   وَيَسْلُبُ العَقْوَ مِنْ مُرْدَانٍ بِالصَّنَـــم!

119. وَلَيْسَ يَنْفِي التُّقَى إِيجَابُ صَوْلَتِـــــهِ   وَلا يَشُوبُ الرِّضَى بِالسُّخْطِ والنِّقَـــم

120. أعْظِمْ بِأَصْلٍ زَكِيٍّ أَبْدَاهُ مَوْلِـــــــدُهُ   مَا البَدْرُ، مَا الشَّمْسُ، مَا تَوْحِيدُ حَظِّهِم

121. تَهْذِيــبُ كُلِّ كَبِيرِ السِّــرِ مُحْتَنِـــكٌ   تَأْدِيبُــه، و هُو طِفْلٌ غَيْرُ مُنْفَطِـــم

122. أَلِّفْ بِوَزْنِـــك مَعْنًى حسْنهُ فَلَقَــــدْ   أَرَاكَ شَمْسَ الضُّحَى فِي بَانَةِ العِلِـــم

123. وَ أَلِّفْ اللَّفْظَ بِالوَزْنِ الصَّحِيحِ تَجِـــدْ   شَخْصًا تَأَلَّفْ مِنْ حُلْمٍ، وَمِنْ كَـــــرَمِ

124. وَ بِأْتِلافِ مَعَانِي اللَّفْظِ زِدْ مَدْحًـــــا   كَالعِقْدِ زَانَ الطِّلا بِالجَوْهَرِ النَّظِـــم

125. وَ أَلِّفْ اللَّفْظَ بِاللَّفْظِ البَدِيعِ وَعُـــــم   فِي بَحْرِ نَظْمٍ بِمُوجِبِ المَدْحِ مُلْتَطِـــم

126. وَ أَلِّـــفْ الــمَعْنَيَيْنِ الغُرِّ فِيهِ تَـــــرَى   نُعْمًا ، وَ بُؤْسًـــا لِمُنْـــزَادٍ وَ مُنْتَقِـــم

127. وأَوْدِعِ المَدْحَ أَوْصَافًا بِهِ شَرُفَـــــتْ   وأَحْكِمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحًا فِيهِ و احْتَكِـــم

128. وَصُنِ الوَصْفَ أَسْرَارَ المَدِيحِ وَقـــُلْ   مُحَمَّــدٌ خَيْــرُ خَلْــقِ اللهِ كُلِّهِـــــم

129. ثُمَّ اسْتَعِنْ بِالــمُبَدَّى سَيِّدِ الثَّقَلَيْـــــنِ   والــفَرِيقَيْنِ: مِنْ عُرْبٍ وَ مِنْ عَجَـــم

130. وانْسِبْ إِلَى لَفْظِهِ مَا شِئْتَ مِنْ مُلَـــحِ   و انْقُلْ عَلَى عَقْلِهِ مَا شِئْتَ مِنْ حِكَـــم

131. وَرَتِّبْ المَدْحَ كَيْ تَحْظَى بِنَائِلِـــــهِ   حَيًّا، و مَيِّتًا، ومَحْشُورًا عَلَى قَـــدَمِ

132. وإِنْ تعُـــدَّ سَجَايَاهُ تَجِدْ شَرَفًـــــا   وَ عِـــزَّةً وجَـــلالا واعْتِلا هِمَـــم

133. فرْقٌ إِذَا قِيلَ إِنَّ الصُّبْحَ وَاضِحُـــهُ   هذاكَ خَافٍ، وَ هَذَا وَاضِحُ اللُّقَـــم

134. واجْمَعْ حلَى مقْردٍ قَدْ زَانَ صُورَتَـــهُ   بِالعِلْمِ، وَالحِلْمِ، والأَقْدَارِ، والكَـــرَمِ

135. وقُلْ بِتَقْسِيمِ مَدْحِي فِي مَحَاسِنِـــــــــهِ   نَظْمًا، وَنثرًا تَجِدْهُ وَافِرَ القَسَـــــــــم

136. أرَاؤُهُ الصُّبْحَ فِي تَفْرِيقِ مَا جَمَعُــــوا   وَ وَجْهُهُ الصُّبْح يَمْحُو لَيْلَ شَكّهِــــــم

137. وَجَمْــعُ مَا قُلْتَ فِيهِ الله قسَّمَــــــــهُ   طِفْلا، وكَهْلا وَشَيْخًا شَائِبَ الأُمَـــــم

138. وَاجْمَعْ بِتَفْرِيقِ تَقْسِيمِي مَدَائِحـــــــهُ   فالـــنَّظْمُ لِلذَّاتِ، وَ الــمَنْثُورِ للشِّيَـــم

139. شاكِلْ ببرٍّ لِبرٍّ، أوْ بِصيغَةٍ مِـــــــنْ   أغْنَـــى بسَبْقَتِهِ عَنْ غَمْسِ مَائِهِـــــم

140. وَ وَزِّعِ العُمْرَ طَوْعًا عَلَى طَاعَتِهِـــــمْ   تُعَينُ عَقْلِي عَلَى تَعْظِيمِ عِلْمِهِـــــــم

141. واهْجُ الوُشَاةَ، وشبِّبْ بِالمَدِيحِ وَهِـــــمْ   بِصرَفِ حُبِّكَ عَنْ تَمْزِيجِ حُبِّهِـــــــم

142. وحِدْ عَنْ الغَزَلِ إنْ قَالُوا: اسْتَمِلْهُ وسَـــلْ   مَا للأحَبَّــةِ أظْنَــوا بِانْتِقَالِهِــــــــــمِ

143. أثبِتْ شَيْئَكَ شَيْئًا بَعْدَ نفْيك عَـــــــنْ   نحْوِ مَـــا نِيلَ عِزٌّ غَيْرَ عِزِّهِــــــــمِ

144. واعْصِ الهَوَى طَائِعًا مَوْلاكَ وارْجُ بِـــهِ   ممـــدَّهُ لِتُفَـــرِّقْ حـــرَّ فَيْضِهِـــــــم

145. و طَهِّرْ النَّفْسَ بِالتَجْرِيدِ إنَّ لَهَـــــــا   شَيْطَانُ غَيٍّ، يَدُسُّ السُّمَّ فِي الــدَّسِـــم

146. واغسِلْ بِدَمْعِكَ أرْدانَ الذُّنُوبِ، وَ قـــُلْ   يَا دَمْعُ سُحَّ بأفْقِ الخَّدِ، و انْسَجِـــم

147. رصِّعْ تفِدْ حِكْمَةً منْ حُسْنِ فعْلِهِـــــمُ   واسْجَعْ تَجِدْ لَذَّةً فِي لَحْنِ قَوْلِهِـــــم

148. و اسْجَــعْ بِمُلْتَزَمِ الإكْــرَامِ ، مُحْتَـكِمِ الأحْكَـــــامِ ، مُبْتَسِمِ بِالــخَيْرِ مُتَّسِـــــم

149. وثِقْ بِتَكْمِيلٍ، وَافْخَرْ بِمؤْتَمِـــــــــلٍ   و ارْفَــعْ بمنْتَصِرٍ، وسَلْ بِمُحْتَــــرَمِ

150. شطِّرْ بِمُعْتَمَدٍ بِالنَّصْرِ مُعْتَضِـــــــدٍ   بِالــسَّيْفِ مُنْتَقِــمٍ ، بِاللَّــهِ مُعْتَصِـــم

151. أنبأ بِمَنْظَرِهِ عنْ طِيبِ مَخْبَـــــــرِهِ   فانْظِــمْ بِجَوْهَرِهِ تَسْمِيــطَ عَقْدِهِـــم

152. جريْتُ فِي كَلِمٍ، بَيَّنْتُ فِي حكَـــــــم   بريْتُ فِـــي قَسَمٍ، وَقَيَّــتُ فِي ذِمَـــم

153. يِمْدحِ منْ صَيَّرَ الآدَابَ صَارِمَـــــــهُ   يَحِلُّ منْ حَاسِدِيهِ مَوْضِعَ الــشَّمَـــم

154. تحْكِيـــمُ مُحْتَكِمٍ، تَكْرِيمُ مُحْتَـــــرِمٍ   تَحْتِيـــمُ مُعْتَصِـــمٍ، تَعْظِيـــمُ مُلْتَـــزِمِ

155. حسْنُ اخْتِرَاعِ مَدِيحِي فَفِيهِ قَدْ شرحـــتْ   أرْوَاحُ معْنَـــاهُ أحْيَتْ مَيِّتَ الــكَلَـــم

156. أحْيَا البَدِيعُ بِهِ مَيْتَ البَدِيعِ فَسِـــــمْ   إبْـــدَاعَ إبْدَاعِـــهِ بِالــحُكْمِ و الــحِكَـــم

157. بِشِرْعَةِ الحَقِّ، سَمَا الحَقُّ أنْبَتَـــــهُ   فأنْعِــمْ بِفَاطِمَـــةَ حُسْـــنَ اتِّفَاقِهِــــم

158. ـِع منْ حَدِيثِ السَّخَا عَنْ فيْض ساريَـــةٍ عنْ النَّدَى ، عَنْ عَطَا إنْعَامِهِ العَمَـــــم

159. وارْتحْ لِرَاحةِ كفٍّ أظْهَرَتْ عَجَبًـــــــــا بالـــلَّمْس، والسَّمْع، والتَّفْجير بالدِّيَـــــم

160. أبْدَتْ إشَارُتهُ للصَّحْبِ إذْ جَعَلُـــــــوا مَا فِـــي الـــشَّهَادَةِ منْ إكْرَام رَبِّهِـــــم

161. لا كيْدَ للنَّاسِ فِي إحْصَا فَرَائِدِ مَـــــــنْ هَلَّـــتْ أيَادِيـــهِ بالإنْعَـــام و الـــنِّعَـــم

162. ضَمِنْتُ حُسْنَ الحلَي تَضمِينَ مُـــــزْدَوَج فِي وَصْفِ نَظْم الحِلَى وبَدْر بَدْرهِـــــم

163. مُحمَّدٌ أحْمَدٌ أصلٌ تَفَرَّعَ عَـــــــــنْ عَمْرو بْن عَبْدِ مَنَافٍ عَنْ قُصَيِّهِـــــــم

164. مُحمَّدٌ أحْكَمُ الحُكَّامِ خَيْرُ فَتًـــــــــى شَقَّــى بِتَقْلَـــةٍ فيهِ مُعْضَـــل الـــسَّقَـم

165. مُحَمَّدٌ حسَّنَ الـــمَخْلُوق خَالِقُـــــــــهُ حَبَاهُ بالـــخُلْقِ المَنْسُـــوبِ لِلْـــعِظَـــم

166. مُحَمَّدٌ، أحْمَدٌ ، طَهَ الذِّي ظَهَـــــــرَتْ عَنْهُ الـــمَحَامِدُ فِي بَدْءٍ ، وَفِي خِتَـــم

167. مُحَمَّدٌ، أحْمَدٌ، أصلٌ سَمَا وَرَقَـــــــــى مَكَانَـــةً لَـــمْ يَكُـــنْ فِيـــهَـــا بِمُتَّهَـــم

168. مُحَمَّـــدٌ أحْمَدٌ أصلٌ تَفَرَّعَ عَـــــــــنْ فَضْـــلٍ أبَـــانَ لَنَـــا عَنْ سَعْـــدِهِـــم

169. مُحَمَّـــدٌ أحْمَدٌ أصلٌ تَفَرَّعَ عَـــــــــنْ عَمْرو، وتَوَالَتْ بِهِ نُعْمَى ابْن عَوْفِهِـــم

170. مُحَمَّـــدٌ أحْمَدٌ أصلٌ تَفَرَّعَ عَـــــــــنْ عَمْـــرو بْن عَبْدِ مَنَافٍ، كَافِلِ الحَـــرَم

171. مُحَمَّـــدٌ أحْمَدٌ أصلٌ تَفَرَّعَ عَـــــــــنْ عَمْـــرو بْن عَبْدِ مَنَافٍ عَنْ عَدِيِّهِـــــم

172. مُحَمَّـــدٌ أحْمَدٌ ، المخْتَارُ مَنْ مَضَـــــــى بِخَيْـــر صفْوَةِ الـــخَلاقِ فِي الـــقِـــدَم

173. مُحَمَّـــدٌ أحْمَدٌ ، أصلٌ زَكَى و عَـــــــلا فَوْقَ الـــعُلا ، وحَبَـــاهُ الله بالـــنِّعَـــم

174. مُحَمَّـــدٌ أحْمَدٌ أصلٌ تَفَرَّعَ عَـــــــــنْ نُور بِهِ شَهِـــدَتْ مَجْـــدًا عَتِيـــقِهِـــم

175. مُحَمَّـــدٌ أحْمَدٌ أصلٌ تَفَرَّعَ عَـــــــــنْ عَمْرو الشُّجَاعِ، الهُمَامِ، السيِّدِ الحَكَـــم!

176. مُحَمَّـــدٌ أحْمَدٌ أصلٌ تَفَرَّعَ عَـــــــــنْ عَمْـــرو بْن عَبْدِ مَنَافٍ ، مُظْهر الحِكَم

177. مُحَمَّـــدٌ أحْمَدٌ أصلٌ تَفَرَّعَ عَـــــــــنْ عَمْـــرو بْن عَبْدِ مَنَافٍ عنْ مَعَدِّهِـــــم

178. مَا النَّجْمُ إنْ شَبَّ نَبْتًا، أوْ نَمَا شَرَقًـــــــا عِنْـــدِي بِأحْسَنَ منْ تَفْرِيع أصلِهِـــــم

179. يَا مَنْ تُرَقِّيهِ منْ أرْض إلَى أفُـــــــــقِ إلَـــى سَمَـــاءٍ إلَـــى مَحْبُوبِـــهِ الكَـــرَم

180. كمَـــا تُدَلِّيهِ منْ عَلْيَاءِ حَضْرَتِـــــــــــهِ إلَـــى سَمَـــاءٍ ، إلَـــى أرْض إلَى خَرَم

181. بَدِيعُ تَطْرِيزَ نَظْمِي فِيكَ مُرْتَسِـــــمٌ يَا حُسْنَ مُرْتَسِمٍ، يَا حُسْنَ مُرْتَسِـــــم

182. عَلَيْكَ صَلَّى إلهُ العَرْشِ مَا اتَّضَحَـــتْ أيٌ بِتَفْصِيـل إجْمَـالٍ لمُـقْتِهِـــم

183. وآلِكَ الأشْيَاخُ الطَاهِرِينَ، وَمَـــــنْ فِـي هَـلْ أتَـى تَنْكِيتُ مَدْحِهِـــم

184. وصَحْبِكَ الرُّحَمَاءِ الأتْقِيَاءِ، ومَـــــنْ قَدْ أرْغَمُوا الشِّرْكَ فِي اسْتِتْبَاعِ دِينِهِـم

185. لمْ يَشْهَدُوا مِثْلَكَ بَدْرًا فِي سَمَا أُحُـــدٍ إلا لِتَـرْشِيحِهِمْ لِلْخَيْـرِ فِي القِـدَمِ

186. وَلَمْ يَرُدُّوا العِدَى عَنْ نَيْلِ حِزْبِهِـــم إلا لِتَصْرِيفِ أبْوَابِ نَيْـلِ حَرْبِهِـــمِ

187. بِطَائِرٍ لا يَذُوقُ المَوْتَ ذِي لَسِـــنِ أبَـانَ مِنْ غَيْـرِ نُطْقٍ نَقْدَ حَتْفِهِـــم

188. حلُّوا عُقُودَ الأمَانِي باعْتِرَافِهِـــــم لِـذَا عَلَوْا فِـي المَعَالِـي بِالْتِزَامِهِـم

189. قَدْ أدْمَجُوا النَّصْرَ فِي أفْلاذِ سُمْرِهِــم فَأظْهَـرُوا مَا عَلَـى أفْـوَاهِ بَيْنِهِـــم

190. صُقْرُ الحَنَاجِيبِ، حُمْرُ البِيضِ،خُضْرُ يَدٍ بِالشُّهْبِ ، و السمْرِ يَدًا سُودُ زُرْقِهِـــمِ

191. صُيُدًا إذَا ازْدَوَجُوا بِالبِيضِ أوْ اعْتَقَلُـوا الأرْمَاحَ صَالُوا، ونَالُوا مِنْ عَدُوِّهِـــم

192. شُمٌّ، كُمَاةٌ، رُؤُوسٌ، أعْيُنٌ ، سُحُـــبٌ زُهْـرٌ ، هُدَاةَ الجُورِ فِي اتِّسَاعِهِـــم

193. نُجُومُ رُشْدٍ أبَانُوا النُّورَ إذْ سَفَـــرُوا نُـورَ الكِتَابِ فَوَحِّـدْ بِاشْتِرَاكِهِـــم

194. سحابُ جُودٍ بْلا فَيْضٍ يُمَازِجُهُـــــمْ مُنَزَّهُونَ عَنِ الفَحْشَاءِ وبَسْطِهِـــــم

195. فِي مَعْرِضِ الذَّمِ مَدْحِي قَالَ إذْ قَصَـرُوا لا عَيْبَ فِيهِمْ سِوَى الإقْبَالُ وَ الكَـــرَمُ

196. هُمُ، هُمُ، الزهر، أبْدُوا فِي تَعَطُّفِهِـــمْ جبْرَ الكَسِيرِ ، فَرَاقِبْ نُورَ زَهْرِهِـــم

197. تَنَازُعُ المَعْنَيَيْنِ اشْتَدَّ إذْ جَلَسُـــــوا حالا مَشَى وهَمًا طَوْعًا لأمْرِهِـــــم

198. طَرِيقُ نَصْرِهِ خَطِيٌّ باجْتِمَاعِهِــــم قَــدْ ولَّدَتْ لــي نَقِيًّـا بِاتِّبَاعِهِـــم

199. لا راعَكَ الله كَرِّرْ مَدْحَهُمْ كَرَمًـــــا و أهْمِـلْ عَدَاهُمْ كَمَا مَالُوا لِعَكْسِهِـــم

200. زَيِّنْ بتشبيبٍ شرَّ فِتْنَةٍ فَنِيَــــــتْ بحُسْنِ ظَبْيٍ غَضِيضٍ مِنْ تَعَطُّهِـــم

201. و اسْمَحْ بِتَزْيِينِ آلِ زَيْنِ مَادِحِهِـــمْ بِقِنَّةٍ لَمْ تبِنْ إلا بِخَيْفِـــــــهِـــم

202. رقِّطْ بِحُبٍّ، وَ شَوْقٍ كَيْ أزِدْ تَلَقَــــا بِصبٍّ مِنْ عَزَّلِي فِي حَيٍّ حُبِّــهِـــم

203. وزرْ ذُرىً دَار زُوواه ذُرَرًا ، وَدَعْ زُرَارَة، و ارْدَعْ رَاق قَطْعِهِـــــــم

204. فَصِّلْ تَجِدْ عَهْدَ حُبِّي غَيْرَ مُنْتَقِـــــــــضِ   فِيهِمْ كَمَا عُجْبِي غَيْرَ مُنْفَصِـــــــــم

205. مَعْكُوسُهُمْ مُسْتَوْفَى حُبِّهِمْ فَلِـــــــــذَا   كَانَ أنْ يَحْيَا يَحْيَ فَيَـــا نِعَـــــم

206. أسْلُوبُهُمْ حِكْمَةٌ نَالُوا بِهَا شَــرَقَـــــــا   فَقُلْتُ يَا مَا حَوَى مِنْ اشْرَفِ الأمَـــــمِ

207. كَمْ تَتَزَاحَمُ عَلَى قَلْبِي مَدَائِحُهُـــــــــمْ   إنْ كَانَ مِنْ حِزْبِهِمْ أوْ مِنْ عَدُوِّهِـــــمِ

208. اجْمَعْ بِمُؤْتَلَفٍ فِيهِـــــمْ وَمُخْتَلِــــفٍ   تَقديمُ صَدِيقِهِم في حَلْبَةِ القِـــــــدَمِ

209. و إنْ تَعْرِضْ بِفَضْلٍ بعْدَهُ عُمَــــــرًا   وبَعْدَ عُثْمَانٍ وَالِي فِي عَلِيِّــــهِـــــم

210. واجْرِهِمْ بِتَعْلِيقِ شَاذَ شَيْخَهُمُ فَلَقَــــــدْ   أشَاءَ إذَا لمْ يَكُنْ فَرْضًا بِفِعْلِـــهِـــم

211. السَّابِقُونَ وَمَا أدرَاكَ يَا نَظَـــــــــرِي   مَا السَّابِقُونَ بِفَخْمِ بِامْتِدَاحِـــهِـــــم

212. و انْ بِإِيمَاءِ مَدْحِ رُمْتَ تَلْفَحُهُـــــــــمْ   فَقَدْ كَسَوْا مَا كَسَوْا مِنْ سَابِغ النِّعَــــم

213. وَصِلْ بِقَوْلِ عَلِيٍّ اذْ نَهَى عُمَـــــــــر   وَبِابْنِ عَبَّاسَ إذَا تَبَدَّ ابْنِ هِنْدِهِـــــــم

214. واحْذِفْ بعيْنِ صادَ كَافٍ مُنْقَصَـــــــةٍ   تَحْظَى بِقَافٍ، وَسِينِ عِنْدَ مِثْلِــهِـــمِ

215. هُمْ النُّجُومُ أرْجُو النَّجَـــــــاةَ وَأرَى   رَجْمَ العَدُوِّ وَقَوْفَ تَفْسِيرِ أُفْقِــهِـــم

216. يَاخَيْرَ مَنْ كَشَفَ التَّوْهِيمَ صَارِمُــــــهُ   إذْ قِيلَ أعْدَاهُ عِنْدَ المَوْتِ دُونَ فَـــم

217. وأكْثِرِ الرُّسْلَ إنْ عُدَّتْ مَرَاحِمُهُـــــــمْ   بِنَظْمِ دَرِّ الحَيَاةِ فِي لَبَّةِ الأكَــــــــم

218. رَجِيْتُ فِي مَنَامِي، و اعْتَمَدْتُ عَلَــــى   إيضَاحِهِ يَوْمَ يُدْعَى بِاسْمِ مُنْتَقِـــــــم

219. ومَا بَرَاعَةُ مَدْحِي أنْتَ هُــوَ طَلَبِــــي   مِنْ غَيْرِ نُطْقٍ يَعُمُّ يَا خَيْرَ مِنْ كَـــرَمِ

220. يَا رَبُّ سَهِّلْ إلَى الجِنَابِ مُنْقَلَبِــــــي   ونَجِّنِي بامْتِدَاحِي مِنْ لَظَى الهَــــرَمِ

221. واحْسِنْ رَيْحَانَ رَجَا ابْنِ الخَلُوفِ وَجُــــدْ   بِالعَفْوِ والجُودِ، يَا ذَا الصَّفْحِ وَ الكَرَمِ

222. وَ لا تُعَسِّرْ مَالِي لِلرُّجُوعِ يَــــــــدٌ   يَا ذَا الجَلالِ، وَيَا ذَا الإكْرَامِ وَالحَــرَمِ

223. لأنْشُدَ المَثَلَ الأعْلَى لِسَاكِنِـــــــــــهِ   مَنْ جَاوَزَ البَحْرَ لا يَسَلْ عَنْ الدِّيَــــم

224. وَ جَازِي بِاحْتِرَامِي فِي مَدَائِحِـــــــهِ   مِنْ غَيْرِ أمَدٍ، وَ وَاصِلْ وَافِرَ النِّعَـــم

225. وَ اتْمِمْ مُسَاوَاةَ بِرَجِيعِي بَدَائِعَـــــــهُ   بِحُسْنِ منتثِرٍ فِيهَا، وَمُنْتَظِـــــــــم

226. وبِابْتِدَاءِ المَدِيح خَلِّصْ أهْلَ مِلَّتِـــــهِ   وَوَالِدَيَّ، وَ هَبْ لِي حُسْنَ مُخْتَتَــــم!

إن البديعيات لون أدبي له علاقة وطيدة بعلم البديع ، فهي منظومات في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، ضمن ناظموها كل بيت لونا أو محسنا بديعيا ، إنها قصائد من البحر البسيط ميمية القافية ، تميزت بكونها خروجا وتجديدا عن القصيدة في بنية مضامينها ونظامها البلاغي، وليس في نظامها الإيقاعي الموسيقي، كما تعد نقطة تحول في ميدان الأدب- خاصة الشعر- في العصر المملوكي وكذا ترجمة لأحداثه وتداعياته حيث السياق الزمني له اثر في بروز مثل هذا الفن والإبداع الشعري الذي لم ينل حقه من الاهتمام والدراسة فقد ظل ولمدة طويلة طي النسيان وتحت الركام وبقي موضوعا مغمورا لاحظ له في دائرة البحث والدراسة باستثناء بعض الإشارات هنا وهناك في بعض الدراسات — ولقد تناولت الجانب الذي تميزت واختلفت فيه عن باقي القصائد أي مضمونها ونظامها البلاغي وبديعية ابن خلوف باعتبارها من عيون الشعر العربي فهي تعد نموذجا لإبراز خصوصيتها بالدراسة التاريخية الو صفية والموضوعية البلاغية وفي الوقت نفسه بالدراسة الفنية الحديثة الجمالية وذلك لتميز الموضوع وتشابكه، والأمر مثير لكثير من الشجون فهي تعبر عن تأزم روحي حافل بالتناقضات لعصر ساده الاضطراب إنه منتصف القرن السابع من ثم كانت ثورة في ميدان الفكر والأدب وفي أهم العلوم وأصعبها على الإطلاق علوم البلاغة.

ونظرا لجدة الموضوع كانت أولى البدايات تاريخية، فالتاريخ بأحداثه وظواهره وشخوصه مصدر هام للشعر، كذلك البديعيات كان ظهورها مرتبط بالعصر المملوكي وما شابه من أحداث فهي فن جديد ، لم يولد هكذا بل كانت له جذور وعوامل متعددة اتضحت في بحثنا الشائق في ظل محورين متناظرين انهيار العالم الإسلامي وروح المعارضة والتنافس بالإضافة إلى هذين المحورين وجدنا عوامل تتوسطها كطبيعة العصر الذي اتسم بالنظم والرغبة في التأليف البديعي وكذا الإقبال على العلم واجتماعه مع الشعر ، فتحول بذلك النسق المعرفي إلى شعري وولوع الشعراء بالألوان البديعية متوائمين في ذلك مع

حضارة العصر، كما كان للجانب الثقافي والاجتماعي دور كبير من خلال إقبال واستحسان جمهور العامة لمثل هذا النوع من النظم وانشغال السلاطين بأمور بعيدة كل البعد عن اللغة لعجمتهم.

فبالإضافة إلى هذا العمق والتوغل في ارض عربية خصبة وجدنا تمازجا وارتباطا فهذه الجذور كشفت لنا عن علائق هذا الفن بروافد شتى كانت فنونا أدبية مختلفة تمثلت في المدائح النبوية والتصوف والبردة و المولديات حيث العلاقة متشابكة ومتداخلة لتشابه العوامل التي أنتجتها .

أما موضوعها فانه يثير الفكر،فهي تجمع بين المديح النبوي والتأليف البلاغي فبدايتها نسيب مد من خلاله حبال الوصل في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم طالبا منه الشفاعة والغفران.

والأمر كذلك بالنسبة لزمن ظهورها فقد كان السبب المباشر في مثل هذا التفرد ورغم الاختلاف في شأن الأسبقية فإننا نجزم بتفوق الأدب خاصة الشعر بما أضافته إليه من زخم معرفي فقد عبرت عن مواهب مخبوءة لدى الكثير من الشعراء والأدباء واستهوتهم لدرجة كبيرة حيث استمر المد البديعي من القرن السابع الهجري إلى العصر الحديث.

هذا عن جانب التاريخ والحيثيات التي أحاطت بفن البديعيات أما مضمونها فقد اختلف عن باقي المدائح أو المنظومات بما أثارته في الوجدان فقد جسدت البديعيات التواشج بين اللون البلاغي والغرض في صورة جمالية تجلت من خلال الوقفة الطللية التي دلالتها العميقة فهي حلقة وصل بين الماضي والحاضر انه يبكي فيها الديار التي غدت أطلالا وصورا تتراءى له في الذهن يحاول بها استحضار الماضي الغابر من ثم فهي تستثير الذات بمعرفة غرض الشاعر الذي يتواءم والمعنى وهو ما بدا جليا في مطالع البديعيات الثلاث التي أشرنا إليها حيث كانت الألوان البديعية كأدلة على معان بذاتها.

لكن ما وجدنا في بديعية ابن الخلوف هو ذلك الإسهاب وهول النفس في السواء بين ألوان بديعية مكثفة وغزل ذي وشائج اوجية حيث هي توأمة فريدة من نوعها فلقد جسدت بديعية ابن

الخلوف ذلك بتفردها في مضمونها وان سارت مع نمط القصيدة العربية فإنها طبعتها بطابع خاص وعبرت عن مضمون مخبوء تحت ظلال الغزل إذا أبدع في الخلفية التي ابتدأت بالغزل وتناثر الدر من صدفاتها حيث أومأت لمضامين شتى فكان التدرج في المعاني والتلاحم حتى الغاية ممهدا للموضوع الرئيسي ، المدح الذي أسهب فيه ابن الخلوف و لم يكن ذلك لغرض الإطالة إذ جاءت أفكاره متوائمة متماسكة تنم عن براعة فنية ومقدرة إبداعية حيث انسابت المعاني انسيابا مشكلة صيغا تعبيرية ، عبرت عن مدى انفعاله ، كما أن معاني المدح أضافت جديدا و تفردا في كونها إعلان عن موقف تجاه أحداث عصر بأكمله ، وحسدت لنا ثقافة وموسوعية بالإضافة إلى وجدانية يحسها كل قارئ للبديعية من خلاله مزجه الرائع بين روح إنسانية و نسيج بديعي ، محققا لنا جمالا فنيا وزادا معرفيا ، صاغه في شكل رائق موائما إياه والمضمون الذي يثير في النفس مشاعر الشوق و التمسك بالقيم فقد استحوذت على مشاعر المتلقي بمعانيها التي تنمو إلى نهاية البديعية خاتما لها بالدعاء و التضرع ، متوسلا طالبا الإعانة و الغفران حيث لمسنا بين ثناياها عاطفة صادقة نابعة من الأعماق ، قلما نجدها بهذه الحرارة ، و هكذا ورد المضمون بتلك الخصوصية و التميز .

أما بالنسبة للنظام البلاغي في البديعية فقد اختلف من خلال إيلاء الشاعر الصدارة لعلم البديع بمصطلحاته التي هيمنت على امتداد الأبيات بين ذكر للنوع البديعي وتوريته أحيانا من ثم كانت البلاغة حاضرة في البديعة من مطلعها إلى نهايتها ، حيث تمكن الشاعر من رصد الألوان البلاغية في نظام دقيق لا يخرج عن النسق الثلاثي ينم عن دراية و رعاية تجلت في دقة الصياغة و الربط بين الألوان البلاغية في تعارض و تماثل و توال بالجمع بين الفنون المتقاربة ، مدركا في ذلك الأزمة الناتجة عن هذا الكم البديعي ، مستدركا حيث الألوان البلاغية تتطور وتنمو مع النص و تتكثف منبئة عن دلالات شتى ، فرصده لها كان رصدا لتاريخ مجيدا ارتبط بميراث أمة بأسرها ، كما دلنا على مخزونه المعرفي الهائل ، ما

جعل النص متميزا ، و خصوصيته تجلت أكثر في تفسيره للأنواع البديعية وجعلها موحية بالجانب المعرفي و الشعري الوجداني ، ثنائية برع الشاعر فيها وجسد عمق شعره وروعته فكان الانسجام مع المعاني منظرا لعلوم البلاغة ومطبقا في آن واحد ، مستلهما من التراث موائما مع وجهته الفنية ونزعته الوجدانية ، رغم ورود بعض الأنواع البديعية المتسمة بالغموض و الغرابة إلا أن " ابن الخلوف " جسد لنا البلاغة العربية بعمقها و صعوبتها في نص بديعي امتاز بازدواجية فذة مشكلا فكرة شعرية مزدوجة ، فلقد شكل لنا بذلك نموذجا مختلفا لفن الشعر من خلال نظمه ألوان البلاغة.

هذا عن الجانب البلاغي أما الجمالي فقد جسد لنا " ابن الخلوف " روعة الأداء و الجمال الفني ، من خلال المصطلحات البلاغية التي كانت بها جوانب متصلة بالأصوات و التراكيب و الدلالة ، و تبعا لذلك فقد جاءت البديعية في نسيج لغوي متميز ، حيث تراوح بين وجداني و إسلامي و بلاغي ، فقد تعددت الحقول الدلالية و تنوعت حيث كثف الشاعر من ألفاظ الوجدان ، مستلهما من موروث عربي زاخر أضفى على البديعية رونقا ، فوردت بلغة وجدانية عميقة زئبقية الألفاظ و المعاني ، فكان زخما معرفيا و حسنا بلاغيا متواصلا تجسد أكثر من خلال القاموس البلاغي ، الذي قدمه الشاعر في لوحة فنية ، فجاء الدرس البلاغي ظاهرا في البديعية ، حيث وازن بين الإبداع الشعري و المحور الدلالي ، مما أضفى جمالية أكثر عليها و ازدادت ألقا وقداسة بالثراء الذي اتسمت به وبتوظيفه لكل ما هو إسلامي ، إذ كثف من القصص و ذكر الشخصيات ، فكانت البديعية موشحة بأسلوب العقد ، و غدت بذلك ملتقى لنصوص متباينة ، مما دلنا على ثقافة الشاعر و قدرته الإبداعية ، إذ استوعبت بديعيته نصوصا مختلفة ، فشكل لنا بذلك خطابا شعريا يجمع بين دلالات فكرية ، وجدانية ، دينية ، اجتماعية ، ومعرفية ، فكون تشكيلا جديدا .

أما الجانب الإيقاعي ، فقد استعار الشاعر موسيقى الشعر في نظم ما ليس من أغراض

الشعر ، و أبدع في ذلك ، حيث اعتمد البحر البسيط ولهذا دلالته ، إذ جسد انفعالاته و لاءم تجربته ، بالإضافة إلى ذلك نجد أن إيقاع الحشو تكرر فيه الكسر كتعبير عن الانهيار و الحزن محققا التناغم و الانسجام ، و أظهر انفعال الشاعر و اضطرابه من خلال إكثاره للزحافات ، أما الروي فقد امتد حرف الميم المكسور في البناء الإيقاعي مدلا على تفوق الشاعر في خلق وشائج ، بين الصوت المكسور في القافية ورغبته في الانعتاق من هذا العالم المرفوض ، كما أنها وردت خالية من الردف و التأسيس مما أكد تفرد شعره بين أنساق الشعر العربي ، و الشق الثاني الذي تميز فيه هو ذلك الترابط بين الألفاظ و المعاني المتجلي من خلال موسيقى الألفاظ التي تنبع من المحسنات بنوعيها اللفظية و المعنوية ، حيث كان لها اثر جمالي موسيقي ، إذ وردت في قالب موسيقي رائع ، وهو في ذلك قد تحوى ما يناسب كل فقرة من فقرات البديعية من رنين صوتي و جرس موسيقي .

أما الصورة الفنية تجلت فنيتها في البديعية إذ ألقت بكامل ظلالها على كامل البديعية ، فهي لم تأت عبثا حيث عبرت عن فكر أمة بأسرها فصورة واحدة كافية لوصف وتجسيد معاناة الشاعر إذ تولدت بين تأليف بلاغي و صراع نفسي ، فقد وظف الاستعارة رغم أنها من علم البيان ومزج في شعره معبرا و ملخصا المضمون وواءمها مع مبنى و موضوع البديعية ، كما نجد الكناية التي جسمت المعنى و أخرجته صياغة جديدة لها ، حيث جمعت بين التقعيد و الوجدان ، وهو لم يقتصر على علم البديع – بل على البيان ، لكنها وردت شذرات ، لإضفاء الجمالية و الخصوصية ، فالتشبيه ورد بأشكال متعددة فيها ولكنه يعد بمثابة المعطى التجميلي .

لا غرو في أن " ابن الخلوف " قد شكل لنا لوحة فنية ، بلغت حد أقصى من التشابك و التواشج و التلاحم في المعاني و التباين في ألوانها ، فوردت فسيفساء تروق للكثير ، وتجد فيها المتعة بخصوصيتها و انفتاحها على كثير التأويل .